في ذمة الله الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

al-Waei al-Islami

العدد ٤٢٣ ـ السنة ٣٧ - ذو القعدة ١٤٢١ هـ - يناير/فبراير ٢٠٠١ م

تكنولوجيا تحديد جنس الجنين بين العلم والدين

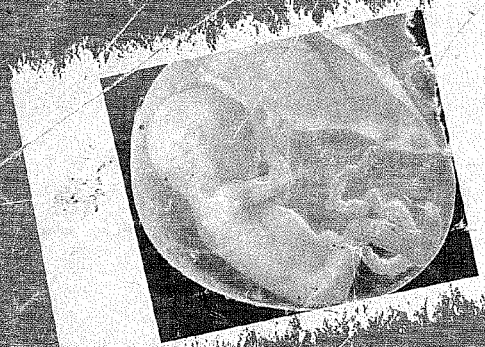

الكويت 2001
Kuwait 2001
Arab Cultural Capital
عاصمة للثقافة العربية

الكويت عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠١م

عندما يُنعت الإسلام بأمبراطورية الشر الجديدة!!

مشتملة على العديد من المواضيع الأخرى

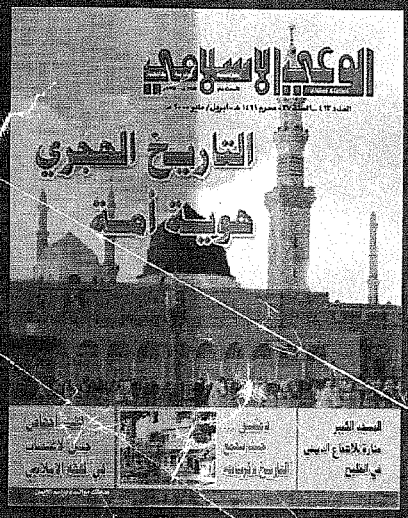

الآن

يمكنكم زيارة
موقع المجلة
على الإنترنت

www.awkaf.net/alwaei

مجلة الثقافة والفكر الإسلامي في ربوع العالم الإسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف: ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٠٠٩٦٥)
فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤ - ٠٠٩٦٥
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

الإشراف الفني ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 423 - السنة السابعة والثلاثون - ذو القعدة 1421 هـ - يناير / فبراير 2001 م

كلمة العدد

نحن والثقافة الوافدة

أعزاءنا القراء

يصدر هذا العدد من مجلة الوعي الإسلامي والكويت بدأت احتفاليتها باختيارها عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠١م، لذا حاولنا في هذا العدد التركيز على بعض الموضوعات ومنها: التحديات الثقافية الوافدة وكيفية التصدي لها، واحتوائها لصالح ثقافتنا العربية الإسلامية ومن أبرزها: العولمة الاقتصادية وكيفية التعامل معها.

المستشرق «كارل بروكلمان» ودسائسه ضد الإسلام والمستغربون وافتتانهم بالمدنية الغربية، عندما يُنعت الإسلام بأمبراطورية الشر الجديدة، البعد الإيماني الغائب في الثقافة الغربية.

إن ترسيخ الجانب الثقافي وتأصيله إسلامياً مطلب أبناء هذه الأمة في شتى أقطارها، فهل يستجيب مفكرونا لهذا المطلب، ويبادرون لإيجاز مشروع ثقافي متكامل يعبر عن هويتنا وأصالتنا، هذا ما نأمله. والله من وراء القصد ■

الوعي الإسلامي

الأسعار

• الكويت: ٥٠٠ فلسا • السعودية: ٧ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٧ ريالات • الامارات: ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٥٠٠ جنيه • موريتانيا: ٢٠٠ أوقية • تونس: ٢ دينار • الجزائر: ١٠ دنانير • اليمن: ٧٠ ريال • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٥٠ ليرة • المغرب: ١٠ دراهم • ليبيا: دينار واحد • اوروبا: ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • امريكا ودول العالم: ٣ دولارات أو مايعادلها.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦
٥٣٤٨٩٥٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الاشتراكات

• داخل الكويت:
للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• الدول العربية:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم:
للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات:
٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت. برقيا نيوزبيبر

في العدد

في ذمة الله

ابن عثيمين ... علم هوى

خسر العالم الإسلامي أخيراً علماً من أعلام الهدى، ممن أمضوا حياتهم في الدعوة إلى الله بعيداً عن الأضواء والشهرة، مبتغياً مرضاة الله عزَّ وجلَّ، وخدمة دينه وشريعته إنه فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ـ رحمه الله.

10

قضايا

عندما يُنعت الإسلام بأمبراطورية الشر الجديدة

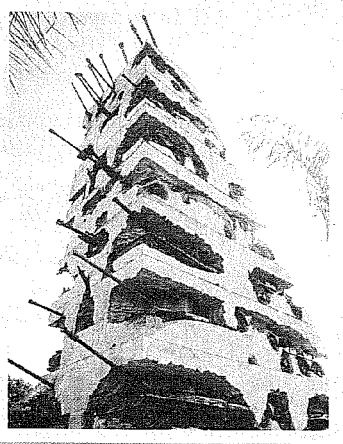

اتهام الغرب للإسلام في عصرنا الراهن كونه منبع الشر أوهام وتصورات خيالية غربية هدفها تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتكوين عملية دعائية تخويفية لتغريب وأسلمة الأرهاب الدولي.

30

علوم

حكمة الله في الأحزمة الواقية من الإشعاعات

من رحمة الله بنا وعظيم قدرته، أن جعل خطوط المجال المغناطيسي كلها تقف في وجه الإشعاعات الآتية من النجوم والكواكب، وتشكل أحزمة تمنع الإشعاعات الضارة من مواصلة التدفق إلى الأرض.

22

الفهرس

٣	كلمة العدد: نحن والثقافة الوافدة	التحرير
٥	الافتتاحية: على هامش اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	الكويت تحتفل لاختيارها عاصمة للثقافة العربية	التحرير
١٠	في ذمة الله: الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين	التحرير
١٣	تكنولوجيا تحديد جنس الجنين بين العلم والدين	د.وجدي عبدالفتاح سواحل
١٩	دراسات قرآنية: يوم العرض الأكبر	صديق بكر علي عطية
٢١	اقتصاد: أشكال العولمة الاقتصادية وكيفية التعامل معها	رامز طنيور
٢٥	استشراق: كارل بروكلمان ودسائسه ضد الإسلام	د.مصطفى رجب
٢٨	حضارة: المستغربون وافتتانهم بالمدنية الغربية	أحمد حسن القضاة
٣٠	قضايا: عندما ينعت الإسلام بأمبراطورية الشر الجديدة	د.حسن عزوزي
٣٣	شعر: العيد الحزين	د.محمد سليم الغزال
٣٤	دراسات قرآنية: الخلفية النظرية لمادة القرآن الكريم	أحمد بن أحمد شرشال
٣٦	فكر: العلم الذي لا ترد به العبادة ليس علماً	د.التهامي محمد
٣٨	رؤية: البعد الايماني الغائب في الثقافة الغربية	د.محيي الدين عبدالحليم
٤٠	إدارة: الوظيفة العامة في الإسلام مسؤولية وأمانة	أحمد أبوزيد
٤٢	حوار: مدير مركز الإعجاز العلمي في باكستان	محمد عبدالشافي القوصي
٤٥	دراسات: دور البناء النفسي للصحابة في إنجاح تطبيق الشريعة	غازي التوبة
٤٨	دعوة: بصائر دعوية في جانب المدعو (١٢)	د.محمد أبو الفتح البيانوني
٥٠	أحكام: الوقف «إدارته واستثماره» (٢/٢)	د.محمد رواس قلعه جي
٥٣	أحكام: التقليد ومسخ الشخصية	د.محمد محمود متولي
٥٦	نظر الفقهاء في زواج المسلم بالمرأة من أهل الكتاب	د.عبدالرحمن العمراني
٦٠	اقتصاد: التجارة الإلكترونية ومستقبل التعاون الاقتصادي في العالم الإسلامي	خالد محمد خلاوي
٦٢	علوم: حكمة الله في الأحزمة الواقعية من الإشعاعات	سعد شعبان
٦٦	شخصيات: رجال ومواقف	محمد يوسف الجاهوش
٦٨	البيت المسلم: هل يكون الخلع بإرادة الزوجة وحدها	د.عبدالحميد الأنصاري
٧٠	إرشادات استهلاكية للأسرة	د.زيد بن محمد الرماني
٧٢	أسعد نفسك وأسعد الآخرين	د.حسان شمسي باشا
٧٦	٢٢ أسلوباً تسهم في تقريب الأم من أبنائها	سلوى فؤاد
٧٧	الأطفال وسوء المعاملة	عبدالستار خليف
٧٨	قراءة في كتاب التربية الجنسية للأطفال والبالغين	وفيق مختار
٨١	الدودة الدبوسية وكيف نقي أطفالنا منها؟	د.محمد السحري
٨٤	قصة: عندما أفطر الحجر	محمد المكين صافي
٨٦	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٨٨	أخبار الاقتصاد الإسلامي	عبدالكريم خليل
٩٠	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩٢	نافذة على العالم	التحرير
٩٥	ترجمات: ثلاثون مليون لاجئ في العالم	عبدالمنعم أحمد
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	سلافة: من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة	عبدالرحمن قرة حمود

على هامش اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية

تحت رعاية سمو أمير البلاد . حفظه الله . وبحضور سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، احتفلت الكويت يوم ٢٠٠١/١/٦م ببدء فعاليات احتفالية الكويت عاصمة للثقافة العربية، ولا شك أن هذا الاختيار لم يكن اعتباطاً أو أنه جاء من فراغ نتيجة مجاملات أو اعتبارات معينة، فالكويت كانت ومازالت منذ عقود خلت حصناً من حصون الفكر والثقافة في عالمنا العربي والإسلامي، وعلى أرضها الطيبة تحققت كثير من الإنجازات الثقافية والفكرية والأدبية، على يد المثقفين الكويتيين وغيرهم، مما أسهم في إثراء الحركة الثقافية العربية والإسلامية، ودفع مسيرتها وتطويرها إيجاباً.

إن ريادة الكويت الثقافية يجب أن تتعزز بعد هذا الاختيار الجديد لها كعاصمة عربية ثقافية، وهذا لن يتم إلا بالنظر للحركة الثقافية العربية المعاصرة نظرة واقعية فاحصة نتخلص فيها من السلبيات التي رانت عليها، ونعزز الإيجابيات المعاصرة التي حققتها، وندعمها بكل ما هو مفيد وجديد حتى نجذرها ونرسخها في ضمير الأمة، فأمة بلا ثقافة هادفة وراسخة، أمة لا مكان لها بين الأمم، ولا أثر لها في المسيرة الثقافية الإنسانية.

إن اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية يستدعي من رواد الثقافة والفكر في بلدنا وفي عالمنا العربي والإسلامي تحقيق الأمور التالية:

١. التفاعل مع الثقافات العالمية والاستفادة من إيجابياتها وطرح سلبياتها، على أن تقوم هذه الثقافات وفقاً لميزان فكري وثقافي إسلامي يأخذ بعين الاعتبار عقيدة وهوية الأمة وأصالتها بعيداً عن التبعية والإسفاف اللذين خربا العقول والنفوس وجرا إلينا الويلات.

٢. إيجاد المثقف العربي المسلم الذي يتبنى قضايا أمته، ويسعى لحل مشاكلها من خلال ثقافة جادة وهادفة، سواء كان ذلك من خلال القصة أو المسرح أو الكتاب أو السينما أو غيرها من أدوات الثقافة.

٣. بناء المثقف العربي المسلم الذي يستطيع أن يقف مرفوع الرأس أمام الثقافات الأخرى، مما يبعد عنه روح الانهزامية والدونية.

٤. نريد المثقف العربي أن ينطلق بثقافته إلى البعد العالمي فيشارك في قضايا ومشكلات وهموم الإنسانية جمعاء دون مهادنة الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي.

٥. تخليص المثقف العربي المسلم من التعصب أو تبني الرؤية الفردية تجاه قضايانا ومشكلاتنا المتعددة.

إن تحقيق القضايا السابقة أمر في غاية السهولة، فنحن أصحاب تجربة ثقافية ثرة وغنية بالدروس والعبر، فثقافتنا فرضت نفسها على العالم أجمع رخاء وأمناً وعدلاً وازدهاراً قروناً عدة، وتفاعلت إيجاباً مع كل الثقافات السابقة (فارسية، يونانية، صينية، بيزنطية...)، فأخذت منها ما يناسبها ولفظت ما يخالفها وتكرار التجربة ليس بالأمر الصعب.

فإذا كنا جادين فعلاً في بناء ثقافة مميزة معاصرة، يجب أن يسعى مثقفونا إلى تحقيق هذه الطموحات، وإبراز وجه الكويت الثقافي والإنساني والحضاري المشرق، هذا ما نأمله.

(وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة:١٠٥■

رئيس التحرير

بريد القراء

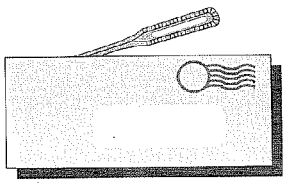

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

الجمال جمال الروح

سئلت عجوز - يفيض وجهها بشراً وجمالاً -: أي مواد التجميل تستعملين؟ فقالت: استخدم لشفتي الحق ولصوتي الذكر، ولعيني غض البصر وليدي الإحسان، ولقوامي الاستقامة، ولقلبي حب الله، ولعقلي الحكمة، ولنفسي الطاعة، ولهوايّ الإيمان.

فالحق قال تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرادقها) الكهف:٢٩. الحق ضد الباطل، قال تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) الإسراء:٨١، قل الحق ولو على نفسك، فالحق طريق الرحمن والباطل طريق الشيطان.

والإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومرّه، يقول تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) البقرة:٢٨٥.

والاستقامة قال تعالى: (إن الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كُنتم توعدون) فصلت:٣٠.

والطاعة لغير الله معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

والحكمة: يقول تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد) لقمان:١٢.

هنيئاً لك يا من قضيتِ الليل تناجين الرحمن راجية محو الذنوب والغفران.

هنيئاً لك يا من عاديت الهوى وسلكتِ طريق الهدى بقلب صادق الإيمان.

هنيئاً لك يا من دمعت عيناكِ خشية ربٍّ لا ينام. هنيئاً لك يا من رحلت عن الدنيا بزاد التقوى وجمعت من الأعمال ما يرضي الرب عند اللقاء فحقاً من الأعماق هنيئاً لكِ.

أم عبدالله

سطحية الثقافة ووعي الأمة

تقدر ثقافة الأمة بما يُقاس من تقدمها، وبقدر ما يكون عمق هذه الثقافة يقدر وعي الأمة، وبقدر وعي الأمة تكون قوتها وعظمتها ومهابة الأمم والشعوب الأخرى لها، فالأمة العميقة الثقافة أمة ذات شأن عظيم، كلمتها مسموعة بين العالم كله لقوتها بوحدتها، ولهذا وصف الله عزَّ وجلَّ الأمة الإسلامية بالأمة الواحدة في قوله سبحانه: (إنَّ هذه أمَّتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢.، هذه الأمة الواحدة كانت ذات يوم أعظم الأمم، عبد ابناؤها الله حق العبادة، وتفقَّهوا في الدين كأحسن ما يكون التفقه، نبذوا الخلاف والفرقة، وابتعدوا عن الثقافات السطحية الهابطة، واستمدوا ثقافتهم من كتاب ربهم وسنّة نبيه فبنوا بذلك عظيم مجدهم.

يا أمة وقف الزمان لها انتباهاً بعد التمسك بالكتاب والصلاة

يا أمة الإسلام من للإسلام، من للثقافة الإسلامية الواعية القوية المنصبَّة صباً من أجل خدمة الإسلام وأبنائه المخلصين، من يواجه الثقافة المنحطة والإعلام المسموم ويقي الأمة منه، إن الأمل معقود على مثقفي الأمة الإسلامية، خيرة أبنائها (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤، فلنعمل سوياً، كُتَّاب المسلمين على تعميق ثقافتنا وتقويتها وتنقيتها من الشوائب العالقة بها.

محسن عبدالمعطي عبدربه. مصر

رسائل خاصة

● **بيت الزكاة الكويتي في القاهرة**

يصل إلى المجلة من الشقيقة الكبرى «مصر» خطابات ورسائل كثيرة يطلب أصحابها مساعدات مالية أو عينية، ونفيد هؤلاء أننا لسنا جهة خيرية، وأن بإمكانهم مراجعة مكتب بيت الزكاة الكويتي في مصر وعنوانه:
٣٣ شارع دمشق - المهندسين - القاهرة - هاتف ٣٣٦٣٨٩٣ - ٣٣٥٠٠٢٠ - فاكس: ٣٦٠٢٤٧٧.

● **القارئ عبدالكريم حسن - ليبيا:**

شكراً على عواطفك الصادقة تجاه المجلة ونأمل مستقبلاً أن تصبح المجلة في بلدكم في متناول الجميع وجزاكم الله كل خير.

● **القارئ بابا إبراهيم مولي - غانا:**

يمكنكم مراسلة إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للحصول على ما تريدونه من كتب إسلامية.

● **الكاتب عبدالرحمن سالم - مصر:**

الموضوع المرسل طويل جداً ولا يمكن نشره في المجلة.

● **القارئ صاحب التسجيلات القرآنية - مصر:**

مؤسسات التسجيلات الإسلامية كثيرة جداً، يمكنكم عن طريق من تعرفونه من الأصدقاء التعاقد مع إحداها وشكراً لكم.

الإسلام الجريح

عندما جاء هذا الدين للبشرية برسالته السامية ومبادئه النبيلة، وقف أصحاب الهوس والملذات والأهواء، يصدون وينفقون الأموال ويخططون ويحيكون المؤامرات والدسائس، ولأن الله طمس على قلوبهم ووعيهم قالوا كما يحكي القرآن عنهم: (لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه) فصلت:٢٦، ثم ازدادوا غباءً وحقداً على الدين ورسوله وأصحابه.

فقالوا: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) الأنفال:٣٢.

يقول شيخنا الراحل محمد متولي الشعراوي: إنهم لو كانوا عقلاء لقالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، ثم يقولون في آية أخرى: (لاتسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه لعلكم تغلبون) فصلت:٢٦، لماذا يقولون هذا الكلام؟ لأنهم بفطرتهم اللغوية وأدائهم البياني يفهمون أن كل من يسمع القرآن يقلب خال من ضده لابد أن يقتنع به، ولذلك فهم لم ينهوا الناس عن سماعه فقط، ولكن أمروا بالتشويش عليه، وهذا دليل على أن القرآن لو ترك ليصل إلى آذان الناس لابد أن يعمر قلوبهم ولابد أن يلفتهم إلى الحق ويقتنعوا به».

فليس ما يفعل الآن بأهل الإسلام في بقاع شتى على الكرة الأرضية بغريب، لأن الحقد الأعمى والبغض القلبي تأصّلا وتوغّلا في قلوب الأعداء منذ بزوغ فجر دعوة الحق التي نادى بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم عرفوا أن هذا الدين منذ ولادته سيكون له شأن عظيم، فكيف لا يحاصر ويقتل قبل أن ينمو ويتمكن من شعاب القلوب وتدين به الأمم قاطبة.

وفي جولة عبر التاريخ نختار بضع مواقع «ظلامية» تمطر وترعد سماؤها سموم سوداء ترسلها رياح أهل البغض والحقد من المستشرقين وأهل التبشير «التنفير» والذين يمثلون معاول هدم للقيم والمثل من خلال مدارس أقاموها وشيّدوها في مجتمعاتنا وصار لهم تلاميذ وخدم، هم أهل التغريب والتضليل والتزييف وخفافيش الظلام والإرهاب الفكري، الذين يخططون لنسف منابر الحوار العلمي العقلي الرصين.

يقول غلادستون: مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان.

ويقول: المبشر تاكلي: يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام نفسه وحتى نقضي عليه تماماً يجب أن نبيِّن للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً.

ويقول المبشّر وليم جيفورد بالكراف: متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نقول: إن العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه.

يقول زويمر: ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية، ونسهِّل التحاقهم بها، هذه المدارس تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب.

ويقول المبشّر لورنس براون: إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير.

أخي القارئ: أظن أن بفطنتك وذكائك عرفت لماذا الحروب تدور رحاها وتنزل بصواعقها المدمرة وأسلحتها الفتّاكة على رؤوس المسلمين تبيد الأخضر واليابس في كوسوفو ومن قبل البوسنة والهرسك، الشيشان، أفغانستان، والصومال، فإذا أردت أن تستزيد فعليك بالمزيد من كتاب «زاد الدعاة - د.عبدالحي الفرماوي أستاذ التفسير بجامعة الأزهر» ففيه ما يكفيك، نحن في حاجة إلى تدمير آثار الخراب والدمار الذين أحدثهما كلام هؤلاء ونفذه بعض الزعماء في تقويض بنيان المعتقدات والقيم داخل المجتمعات الإسلامية.

فهل نحن فاعلون داخل المجتمعات الإسلامية ■

درغام عبدالله حسين

الوحدة أولاً

لابد للعرب أن يعرفوا أن قوتهم في وحدتهم لمواجهة تحديات العصر ولمواجهة العدو الإسرائيلي الذي زرعه الاستعمار في وسط عالمنا العربي ، هذا العدو الذي لا يفي بوعود وليس له عهود، والحل الوحيد في مقاومته هو وحدة العرب لتحرير الأراضي المحتلة وتحرير القدس أولى القبلتين.

حسن سيد بكر سليمان . مصر

تحت رعاية سمو أمير البلاد

الكويت تحتفل لاختيارها عاصمة الثقافة العربية للعام ٢٠٠١م

• جانب من الحضور •

• الشيخ سعود الناصر الصباح •

مع إطلالة العام الميلادي الجديد ٢٠٠١م اختيرت الكويت عاصمة للثقافة العربية تقديراً لإسهاماتها ودورها الرائد في دعم الحركة الثقافية العربية طيلة العقود الماضية... أقيم يوم ٢٠٠١/١/٦م تحت رعاية سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح حفل افتتاح لهذه المناسبة، وافتتح الحفل سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، وقد شهد الحفل حضوراً رسمياً وشعبياً يتقدمهم رئيس مجلس الأمة جاسم محمد الخرافي، وعدد من الشيوخ ونواب رئيس مجلس الوزراء والمحافظين وأعضاء مجلس الأمة، والأمين العام لجامعة الدول العربية د.عصمت عبدالمجيد، والأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الشيخ جميل

وزير النفط ووزير الإعلام بالوكالة:

مرجعيتنا الثقافية تنبع من الإسلام السمح المتسامح

الحجيلان، والأمين المساعد للتعاون الفني في منظمة الوحدة الإفريقية، وعدد من وزراء الثقافة العرب في كل من الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان وقطر وسوريا ولبنان، وكبار المسؤولين ورؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدة لدى دولة الكويت، بجانب عدد من الفعاليات الثقافية والفكرية والشخصيات الأهلية وجمع من الأدباء والفنانين.

وأعرب وزير النفط وزير الإعلام بالوكالة الشيخ سعود الناصر الصباح، عن تقدير أهل الكويت البالغ، لرعاية سمو الأمير فعاليات اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية قائلاً: إن سموه راعي نهضة الكويت الحديثة، وصاحب الأيادي البيضاء على الثقافة والمثقفين.

ونبَّه الوزير في كلمته التي ألقاها نيابة عنه الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب د.محمد الرميحي في الحفل الذي دشَّنت به الكويت احتفالها باختيارها عاصمة للثقافة العربية بأن الثقافة في الكويت رافد مهم من روافد الثقافة العربية بعمقها المتجذر في التاريخ وهمومها المعاصرة وهواجسها المستقبلية.

وقال: من هنا فإننا في ظل العولمة التي تجتاح العالم، نطمح إلى أن يكون للثقافة العربية دورها وشأنها اللذان يلتقيان بها بين ثقافات العالم.

الثقافة والتنمية

وزاد: أن الثقافة عضد التنمية ونهج للتطور والمعاصرة وقيمة مضافة لقدرات أي شعب، وقد استقر في ذهن أهل العلم والمعرفة أن التنمية الحق هي الثقافة الحق، ومن ثم نتطلع إلى ثقافة معاصرة تأخذ بالجوهري والنافع في الزمن الحاضر، وتستلهم خصوصيتنا المميزة وتراثنا الغني وهي ثقافة تقوم على الحوار فتتخذ منه مسلكاً ونهجاً بقدر ما هو قيمة حضارية وثراء معرفي... إنها ثقافة تدين الحروب وتناهض الإثم والعدوان وتنبذ التعصب، ثقافة تشيع التسامح وتقبل التعددية وتسعى إلى الحرية وتعلي من شأن القيم الإنسانية وحقوق الإنسان وترعى الإبداع وتجدد تراثاً إسلامياً أسهم في تقدم العالم.

وتابع وزير النفط: إن سنتنا الثقافية هي التي نحتفل بانطلاقها هذا المساء، والتي نعتبرها أساساً لجهد طويل ومتواصل يجب أن يبذل من الجيل المعاصر، ليستكمل جهداً طويلاً وجاداً أيضاً بذل من جيل البناة والرواد. هذه السنة ستكون عامرة بعمل ثقافي جاد ودؤوب، بما في ذلك من مشروعات للبنى التحتية، وبرامج تنفيذية، ونشاطات ثقافية وفنية متنوعة.

تجربة الكويت الثقافية

وقال: إن الكويت، وهي ترحب بضيوفها، تضع بين أيديهم تجربتها الثقافية الطويلة في خدمة الثقافة والتنمية العربيتين، وهي تجربة نعرف أنها منكم وإليكم وبكم، ونحن نتطلع إلى أن نتعاون جميعاً من أجل إشاعة ثقافة تنمي الوعي بالمخاطر الكامنة والفرص المتاحة، والتحديات الكبيرة، مستذكرين دور منظمة اليونسكو ومستلهمين تجاربها التي تهدف لإيصال الثقافة إلى الجماهير العريضة على مستوى العالم، تحدونا في

• د. عصمت عبدالمجيد •

د.عصمت عبدالمجيد:

اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية جاء نتيجة لإسهاماتها المميزة في دعم الإبداع الثقافي

عملنا الثقافي مرجعية تنبع من الإسلام السمح المتسامح، موقنين بأن الحكمة يصل إليها الناس بالحوار المنوط بأهل العمل والاختصاص.

جهود مشكورة للمثقفين الكويتيين

من جانبه ونيابة عن ضيوف الكويت، ألقى أمين عام جامعة الدول العربية د.عصمت عبدالمجيد كلمة أشاد فيها باختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠١م، قائلاً: إن من حسن الطالع أن يتزامن هذا الاحتفال الذي يحظى برعاية سامية من سمو الأمير مع البدايات الحقيقية للقرن الحادي والعشرين والذي بقدر ما يميز به من انفتاح كبير في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فإن ما يختزن بداخله من تحديات يفرض علينا كأمة عربية أن تتضافر، وأضاف د. عبدالمجيد: لقد جاء اختيار الكويت لتكون عاصمة للثقافة العربية، نظراً لإسهاماتها المميزة في دعم الإبداع الثقافي والفني والفكري، ولعلنا نتذكر جهود المثقفين الكويتيين الأوائل في إبراز مخطوط الموطأ للإمام مالك بن أنس، والذي يعد أول مخطوط عربي أثرى الفكر الثقافي العربي، كما لا يمكن إنكار إشعاع الكويت الثقافي وامتداده إلى كل البلاد العربية من المحيط إلى الخليج.

الكويت مركز إشعاع ثقافي

وتابع كلمته قائلاً: ولا شك أن كل ذلك ساعد على تحويل الكويت إلى مركز إشعاع حضاري، ومنارة ثقافية... وإننا إذ نشيد بإنجازات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب والقائمين عليه، وإصدارته الثقافية القيِّمة، فإننا نزجي الشكر الجزيل لكل مؤسسات الكويت الثقافية والعلمية، والتي تبذل قصارى جهدها من أجل ترسيخ قيم التفاهم والتفاعل مع كل الحضارات في إطار من المحافظة على قيم الثقافة العربية الأصيلة.

وقال د.عبدالمجيد: إن اهتمام الكويت بنشر المعرفة والإصدارات الثقافية من خلال معرض الكتاب السنوي الذي يُقام على أرض الكويت، يؤكد إيمان الكويت العميق بدور الثقافة في صياغة مستقبل الأمة، ولا ريب في أن تحديات القرن الحادي والعشرين تفرض علينا أن نفكر معاً في صياغة أجندة ثقافية عربية موحدة تبرز فيها آمالنا وطموحاتنا الثقافية، آخذين في الاعتبار تراث أمتنا وحضارتنا التليدة، وأن تتعامل مع التحديات الثقافية التي تواجه أمتنا العربية ونحن على قلب رجل واحد.

وفي تواصل مع فقرات حفل الافتتاح أقيم العرض الفني الذي تضمن أوبريت وطن الكتاب مع عرض بالليزر ثم الختام بالسلام الوطني ■

بيـــان

وزارة الأوقـــاف والـــشـــؤون الإسلامية تنعي ابن عـثـيـمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) الأحزاب:٢٣.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم» رواه مسلم.

لقد اختار الله تعالى إلى جواره عالماً من علماء المسلمين، هو فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين التميمي، حيث توفي. رحمه الله تعالى. في مدينة جدة عن عمر ناهز الرابعة والسبعين، قضاها. رحمه الله تعالى. في العبادة وخدمة العلم وعامة المسلمين.

فقد درس. رحمه الله تعالى. العلوم المختلفة على يد كثير من علماء المملكة العربية السعودية، ولما تم له ما أراد، وبلغ من العلم مبلغاً يستطيع معه الإفادة، تصدى للتدريس والإمامة والخطابة والفتيا، فكان يدرِّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويؤم الناس ويخطب فيهم الجمعة في الجامع الكبير في مدينة عنيزة في منطقة القصيم في وسط المملكة العربية السعودية، كما كان عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

وقد ترك. رحمه الله تعالى. الكثير من المؤلفات العلمية القيّمة، وحاز على ثقة ملايين المسلمين في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي بخاصة والدول الإسلامية بعامة، وكانت له مشاركات كثيرة في الدروس الدينية والفتاوى التي كانت تذاع في المؤسسات الإعلامية السعودية المرئية والمسموعة.

ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، إذ تنعى للمسلمين هذا العالم الجليل، وتشيد بمواقفه ودروسه وفتاواه وخدمته للعلوم الإسلامية، لتدعو الله تعالى للفقيد العزيز بالمقام العالي عنده، وأن يتغمده الله تعالى برحمته ورضوانه، وأن يجزيه، عمّا قدَّم من خير وفير للمسلمين نال به ثقتهم وحبهم، أحسن الجزاء، وأن يعوض المسلمين عنه خيراً.

إنا لله وإنا إليه راجعون

العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله

خسر العالم الإسلامي يوم ١٥ شوال ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠١/١/١٠م، العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين أحد العلماء الكبار والمعروفين بعلمهم، والمتبحرين في علوم الدين والفقه عن عمر يناهز ٧٥ عاماً.

وكان الشيخ بن عثيمين - رحمه الله - قد ولد في عنيزة عام ١٣٤٧هـ في شهر رمضان، ومنذ نشأته طفلاً وهو منصرف إلى طلب العلم الشرعي في بلدة كانت حافلة بالحركة العلمية، وكانت مساجدها وبيوتها مسرحاً للكثير من الحلقات العلمية والنقاشات الفقهية في حركة شملت نساء البلدة أيضاً، كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب «روضة الناظرين».

وهكذا نشأ الشيخ في هذا الجو العلمي وتتلمذ على مجموعة من المشايخ، إلا أن أكبرهم أثراً فيه هو عالم عنيزة الكبير الشيخ عبدالرحمن السعدي، فقد لازمه الشيخ - رحمه الله - كثيراً منذ كان طفلاً، وتوسّم الشيخ السعدي فيه النبوغ حتى قال لوالد الشيخ ابن عثيمين لما قرر الانتقال إلى مدينة الرياض «دع محمد عندنا يستفيد»، وأبى الشيخ السعدي أن يفارق حلقته محمد بن عثيمين، واستمر الشيخ ابن عثيمين على ذلك حتى توفي شيخه ابن السعدي، فخلفه في إمامة الجامع الكبير في عنيزة وفي الخطابة فيه، وكان قبل ذلك في أثناء حياة الشيخ ابن السعدي قد التحق بالمعهد العلمي في عنيزة أول ما أسس، وأنجز الدراسة فيه في سنتين ثم التحق بكلية الشريعة عن طريق الانتساب، وظل يواصل التعلم على يد الشيخ السعدي حتى توفاه الله كما أسلفنا.

وهناك شيخ آخر بارز كان له أثر بالغ في حياة الشيخ ابن عثيمين وهو الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - فقد أثّر فيه كثيراً، كما يحدّثنا الشيخ المرحوم ابن عثيمين عن نفسه، في جانب الاهتمام بالحديث والعناية به، وقد جلس الشيخ ابن عثيمين للتدريس منذ عام ١٣٧١هـ، ومن المحطات المهمة في حياته رفضه تولي القضاء بعد إصرار من الشيخ ابن

إبراهيم مفتي السعودية ورئيس القضاة في حينه.

بل إن إبراهيم أصدر قرار تعيينه رئيساً لمحكمة الأحساء الشرعية، لكن بعد محاولات من الشيخ ابن عثيمين أفلح في إقناع الشيخ ابن إبراهيم بالعدول عن قراره هذا، وكان أول كتاب ألّفه الشيخ ابن عثيمين هو «تلخيص الحموية» وهي - أي الحموية - فتوى مطوّلة لابن تيمية في العقيدة جواباً لأهل مدينة حماة، وقد أصدر الشيخ ابن عثيمين تلخيصه هذا عام ١٣٨٠هـ، ثم توالت نشاطات الشيخ بعد ذلك في حركة دائبة درساً وتدريساً وتأليفاً إلى يومنا هذا، ويكاد يجمع المهتمون بحركة العلم الشرعي في السعودية أن الشيخ ابن عثيمين أعطى بجهوده الدائبة والمتنوعة زخماً لحركة العلم ليس في السعودية فحسب، بل خارجها وفي شتى مجالات العلم الشرعي وعلومه المساعدة، حيث إن أشرطة الكاسيت التي سجلت عليها شروحه في العقيدة والتوحيد والفقه وأصول الفقه وقواعده والنحو وغير ذلك بلغت حداً إلى درجة صار من غير المبالغة أن تقول: إن أشرطة الشيخ ابن عثيمين تكوّن مكتبة سمعية كاملة.

ومن هذه المكتبة بدا كثير من كتب الشيخ تخرج إلى حيّز الوجود على هيئة كتب مقروءة، مثل شرحه الفقهي على المتن الحنبلي «زاد المستقنع» «الذي مازال إلى الآن يخرج تباعاً، كذلك الشرح الذي طبع لكتاب «رياض الصالحين» في بضعة مجلدات، وغير ذلك من الشروحات، وهذه ملاحظة لافتة للانتباه وهي عدم وجود وفرة كافية في حركة التأليف المكتوب عند علماء نجد ربما باستثناء اسم أو اسمين.

ومع هذا فالشيخ محمد بن عثيمين، بالإضافة إلى كتبه الكبار التي فرّغها تلاميذه من أشرطة الكاسيت بموافقته، فقد ألّف ما يزيد على الأربعين مؤلفاً، كما جُمعت فتاواه في مجموعات عدة أبرزها ما قام به فهد السليمان، حيث جمع فتاواه في أكثر من ١٤ مجلداً من مطبوعات دار الثريا، كما جُمع لقاؤه الأسبوعي بزواره في أجزاء كثيرة والتفسير، كما نحسب لهذا القبول.

والاهتمام بالشيخ ابن عثيمين ونتاجه، يتلخص في أمور، أولها حسن الترتيب والتأليف عند الشيخ ابن عثيمين، فهو دقيق العبارة، ويركز على التفصيل والتقسيم في المسائل حتى يسهّل على الطلبة المستفتين تحليل المسألة وفهمها، ومنها غلبة الطابع المدرسي عليه في طريقة تعليمه، فهو لا يكتفي بمجرد إلقاء المعلومات وكفى، بل يسأل ويناقش الطلبة وقد يفاجئ أحد طلابه وهو في أقصى الحلقة بسؤال مباشر مما يُبقي الأذهان إليه مشدودة ومتحفزة.

وهذا الأسلوب لم يكن رائجاً كثيراً في طريقة التعليم النجدية التقليدية، فهي قائمة على البث والإلقاء فقط، فطريقة التعليم النجدية لا ترحب بكثرة الأسئلة والمناقشات.

لكن الشيخ ابن عثيمين وقبله شيخه السعدي خالفا هذا المألوف، ومنها أيضاً اهتمام الشيخ ابن عثيمين بطلبة العلم حتى أقام لهم سكناً بجوار جامع عنيزة على نفقة الملك خالد - رحمه الله - يأتيه فيه الطلبة من أنحاء السعودية ومن خارجها، ولهذا ازدهرت حركة العلم الشرعي،

وفوق هذا وذاك تحرر الشيخ ابن عثيمين من التقليد المذهبي، وأخذ كثيراً باجتهادات ابن تيمية ما جعله أكثر استقلالاً في آرائه الفقهية.

جائزة الملك فيصل العالمية

هذا النشاط العلمي للشيخ بن عثيمين أهّله لنيل جائزة الملك فيصل العالمية، فقد قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية منح الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الجائزة لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وذكرت لجنة الاختيار في حيثيات فوز الشيخ بالجائزة ما يلي:

١ ـ تحلّيه بأخلاق العلماء الفضلاء التي من أبرزها الورع والزهد ورحابة الصدر، وقول الحق والعمل لمصلحة المسلمين والنصح لخاصتهم وعامتهم.

٢ ـ انتفاع الكثيرين بعلمه تدريساً وافتاء وتأليفاً.

٣ ـ إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

٤ ـ مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة.

٥ ـ اتباعه أسلوباً مميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح فكراً وسلوكاً.

آراء صائبة

وكان رحمه الله خلال مسيرته العلمية والدعوية يدلي برأيه في كثير من القضايا، فعن كيفية تغيير المنكر قال:

العنف لا يخدم المصلحة، ولا يحصل به إلا ما هو شرٌّ منه، فلا يجوز استعماله، لأن الواجب اتباع الحكمة، والعنف الذي منه الضرب والتأديب والحبس، إنما يكون لولاة الأمور، وأما عامة الناس فعليهم بيان الحق وإنكار المنكر، وأما تغيير المنكر ولا سيما باليد، فإن هذا موكول إلى ولاة الأمور، وهم الذين يجب عليهم أن يغيروا المنكر بقدر ما يستطيعون لأنهم هم المسؤولون عن هذا الأمر، ولو أراد الإنسان أن يغير المنكر بيده كلما رأى منكراً لنتجت عن هذا مفسدة قد تكون أشد من المنكر الذي أراد أن يغيّره بيده، فلهذا يجب اتباع الحكمة في هذا الأمر، إنك تستطيع أن تغيّر المنكر في البيت الذي ترعاه بيدك، لكن تغيير المنكر بيدك في السوق قد تكون نتيجته أسوأ من بقاء هذا المنكر.

الدعوة بالحكمة

كذلك رفض استخدام العنف لفرض نظام الإسلام، واستشهد بقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) والواجب على دعاة الخير أن يسلكوا أقرب الطرق إلى حصول المقصود، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»، وقال: «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»، فالإنسان يتحين الفرص ولا يفوت فرصة يمكن أن يدعو فيها إلى الله إلا سلكها.

التطرف لا يقاس بأذواق الناس

وعن رأيه في موقف الإسلام من التطرف قال: كثير من الناس متطرف من جهة الزهد في الدين وعدم الالتفات إليه ويريد أن يكون الناس أحراراً في كل شيء ولو على حساب الدين، وأن يكون كل إنسان يفعل ما يريد، ويقول ما يشاء، هؤلاء متطرفون لا شك تطرفاً سيئاً، وهناك من يغلو في الدين ويتجاوز الحد ويسلك طريقاً غير مشروع، ودين الله تعالى بين المغالي فيه والجافي عنه والتطرف لا يُقاس بأذواق الناس، لأننا لو فعلنا ذلك لكان في الناس من يرى أن التمسك بالدين تطرف، فالمرجع في التطرف وعدمه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

رحم الله شيخنا الراحل وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، إنا لله وإنا إليه راجعون.

أهم مؤلفات ابن عثيمين

- تسهيل الفرائض ـ ط٤، مزيدة ومنقحة ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- الزواج في الشريعة الإسلامية «مشترك» الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- عقيدة أهل السنة والجماعة ـ المدينة المنورة: دار ابن القيم ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ـ بيروت: عالم الكتب ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- الأصول في علم الأصول ـ ط٣ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة ـ ط٣ ـ المدينة المنورة ـ الجامعة الإسلامية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ■

وقفة في حياة ابن عثيمين

قبل سنتين كان الشيخ يتحدث على الهواء مباشرة في البرنامج الإذاعي المشهور «نور على الدرب»... اتصلت إحداهن وقالت: يا شيخ لقد رأيت رؤيا غريبة للغاية أريد منك تفسيراً لها؟ فقال الشيخ هذا البرنامج للأسئلة الفقهية... فضلاً عن أني ليس لي علم كثير في تفسير الرؤى، ولكن الفتاة أصرّت على الشيخ أن يفسّر لها رؤياها... فلما وافق قالت له: لقد رأيت رجلاً أعرفه يطوف حول البيت الحرام وهو عريان!، فقال الشيخ أبشري فإن هذه الرؤيا دليل على صلاح هذا الرجل وقربه العظيم من الله... ورؤيته عرياناً، دليل على أن الله قد غفر له ذنبه... وفي الحديث يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غفرت له ذنوبه «رجع كيوم ولدته أمه» فهذا الرجل يا أختي هو على خير عظيم وقرب من الله فقالت الفتاة يا شيخ هل تعلم أن الذي رأيته يطوف حول البيت عرياناً هو أنت...! فتحشرج صوت الشيخ وأخذ يجهش في البكاء ولم يستطع إكمال البرنامج في ذلك اليوم.

حلم تحديد جنس المولود قديم جداً، داعب كل العقول سواء العربية أو الغربية في كل العصور وعلى امتداد الكرة الأرضية، فقد تعددت وتشعبت الافتراضات والاستنتاجات حتى استطاعت أساليب الهندسة الوراثية وضع الطريقة المثلى لتحقيق هذا الحلم.

تُرى كيف يتم تشكيل وتمييز الذكر عن الأنثى طبيعياً؟ وما نظريات التحكم في نوع جنس المولود عبر التاريخ؟ وما طرق الهندسة الوراثية لتحديد جنس المولود قبل الشروع في الحمل أو بعده؟ وما الأهمية الطبية لمثل هذه الطرق؟ وما موقف الدين الإسلامي من هذه القضية؟ هذا ما سنتعرّف عليه في هذه الدراسة.

تكنولوجيا تحديد جنس الجنين بين العلم والدين

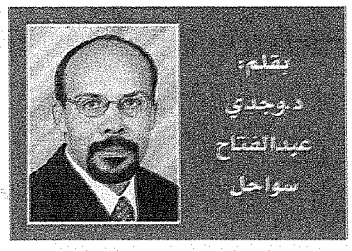

١ ـ تميُّز الذكر عن الأنثى

يتكون جسم الإنسان من نوعين من الخلايا وهما الخلايا الجسدية والخلايا الجنسية ويحتوي كل منهما على النواة (مخزن الهيئة الوراثية أو الطاقم الوراثي) والسيتوبلازم. والطاقم الوراثي عبارة عن وحدات وراثية منتظمة ومرتبة في خيوط أو أشرطة مزدوجة تسمى الكروموسومات. ويوجد في كل خلية من خلايا جسم الإنسان (ما عدا الخلايا الجنسية) ٤٦ كروموسوماً مرتبة في شكل أزواج متماثلة (٢٣ زوجاً) نتيجة قدوم نصف هذا العدد من الأب (الذكر) والنصف الآخر من الأم (الأنثى). والخلايا الجنسية في المرأة هي البويضات وتحتوي على زوج متماثل من الكروموسومات (XX) وفي الرجل هي الحيوانات المنوية وتحتوي على زوج غير متماثل من الكروموسومات (XY).

والمعروف علمياً أن المسؤول عن تحديد الجنس في الإنسان هو الرجل وليست المرأة، حيث إنه ينتج نوعين من الحيوانات المنوية الأول يُسمَّى (Y) «المشيج الذكري» والثاني (X) «المشيج الأنثوي» بينما تنتج الأنثى نوعاً واحداً فقط وهو (X). وعند حدوث الإخصاب في أعلى قناة فالوب بين الحيوان المنوي والبويضة، لو التقى المشيج الذكري (الحيوان المنوي) من النوع (Y) مع البويضة (X) فسيكون الجنين ذكراً وتركيبه الكروموسومي (XY) أما إذا التقى المشيج الأنثوي (الحيوان المنوي) من النوع (X) مع البويضة (X) فسيكون الجنين أنثى وتركيبه الكروموسومي (XX).

ويعتقد أن الجينات المحمولة على الكروموسوم X Y والخاصة بتحديد الجنس تعمل فقط في الأشهر الأولى من نمو الجنين في الإنسان، فبعد ستة أسابيع من الحمل يبدأ الجنين في إنتاج هرمونات ذكرية إذا كان الكروموسوم (Y)، فإن أعضاءه التناسلية تبدأ في التمايز عن الأنثى خلال الأسبوع الثاني عشر من الحمل تقريباً.

٢ ـ نظريات وافتراضات التحكم والتنبؤ بجنس المولود عبر التاريخ

أ ـ نظرية أبقراط «الإغريقي».

إذا قوى زرع المرأة والرجل (أي البويضات الأنثوية والحيوانات المنوية)، وإذا غلبت على الزرع الحرارة وإن حَسُنَ لون المرأة الحامل، ووجدت ثقلاً في الجانب الأيمن من الرحم وكانت حركتها وحركة عينها اليمنى أثقل وإذا دُعِيَت امرأة حاملاً لتمشي فرفعت

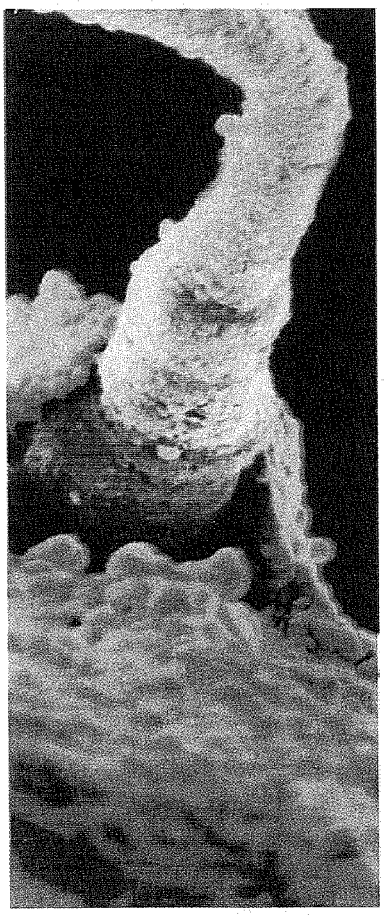

• حيوان منوي يخصب بويضة •

قدمها اليمنى أولاً كان المولود ذكراً.

ب ـ نظرية أرسطو «اليوناني»:

العلاقات الجنسية في الهواء الطلق عند مهب ريح الشمال للحصول على طفل ذكر لأن ريح الشمال تجعل البدن صلباً وتمنع الحرارة من الانتشار فيخرج الزرع ناضجاً، ولذلك غالباً أبناء الشيوخ إناثاً وغالباً أبناء الشباب ذكوراً.

جـ ـ نظرية الجدة الريفية المصرية.

إذا حَسُنَ لون المرأة الحامل، فإن ذلك يدل على أن الجنين أنثى. إن كان شكل بطن الحامل مدبباً فهو ذكراً وإن كانت متكورة فهي أنثى.

د ـ افتراض أميدوكل:

ممارسة العلاقة الجنسية بعد الدورة الشهرية مباشرة للحصول على أنثى.

هـ ـ نظرية نوعية الغذاء والجوع.

قديماً كانت وصفات السحرة والكهان والتي مازالت تستخدم حتى الآن في أعماق الريف الأوروبي مثل أكل أمعاء الأرانب وخصيانها يعتقد أنها من العوامل المساعدة في إنجاب الذكور، وحديثاً في هذا القرن في أوائل الستينيات في أميركا، حيث ساد الاعتقاد بين الأمهات الحوامل بأن التي تريد إنجاب الذكور عليها أن تضيف إلى غذائها كربونات الصوديوم. وإذا كانت المسؤولية قد ألقيت على عاتق الغذاء في بعض الأوقات، فإن الجوع في أوقات أخرى تحمل المسؤولية، إذ أرجع البعض زيادة المواليد الذكور بعد بعض الحروب إلى الجوع والحرمان. ولكن هذا الافتراض تحطّم بعد أن بيَّنت الإحصاءات زيادة معدل مواليد الإناث في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبذلك تحطّم الاعتقاد بأن الطبيعة تعوِّض نقص الذكور في أثناء الحرب.

و ـ نظرية العرب.

امتلأت كتب العرب التراثية بالبحث في هذا الأمر المهم، فقد ناقشه الطبري في كتابه «فردوس الحكمة» الذي رفض فيه آراء «أبقراط» و«أرسطو»، وكذلك ابن القيم الجوزية في كتابه «تحفة المودود بأحكام المولود» والذي أورد فيه حديثاً شريفاً يتناول

تلك المسألة فقال «جاء يهودي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائلاً: جئت أسألك عن الولد. قال «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا وعلا مني الرجل مني المرأة، فذكر بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل فأنثى بإذن الله تعالى» فقال اليهودي «لقد صدقت وإنك لنبي».

٣ - طرق التحكم في جنس المولود

مما سبق يتضح أن عملية التحكّم في الجنس تعتمد على توافر الظروف المناسبة لزيادة احتمال قيام الحيوان المنوي الذكري أو الأنثوي - حسب الرغبة - بعملية الإخصاب أو تحديد جنس الحيوان المنوي قبل القيام بعملية الإخصاب ويتم ذلك كالتالي.

الطريقة غير المباشرة:

تعتمد هذه الطريقة على افتراضين هما:

أ - افتراض شيتلس

الحيوان المنوي الذكري الحامل للكروموسوم (Y) وذو الرأس المستديرة الصغيرة يتفوق على الحيوان المنوي الأنثوي الحامل للكروموسوم (X) وذو الرأس الكبيرة في الوسط القلوي. لذا إجراء عملية الإخصاب مع اقتراب موعد التبويض عند المرأة والذي تزيد فيه نسبة القلوية يؤدي إلى زيادة احتمالية أن يكون الجنين الناتج ذكراً.

ب - افتراض ستولكوفسكي

تتحكم الأيونات الموجودة على سطح البويضة في نوعية الحيوان المنوي المُخَصِّب. فإذا كانت الأيونات هي البوتاسيوم والصوديوم فيتم الإخصاب بوساطة الحيوان المنوي الذكري، وإذا كانت هذه الأيونات هي الكالسيوم والماغنسيوم، فيتم الإخصاب بوساطة الحيوان المنوي الأنثوي، ويمكن التحكم في هذه الأيونات بوساطة نظام

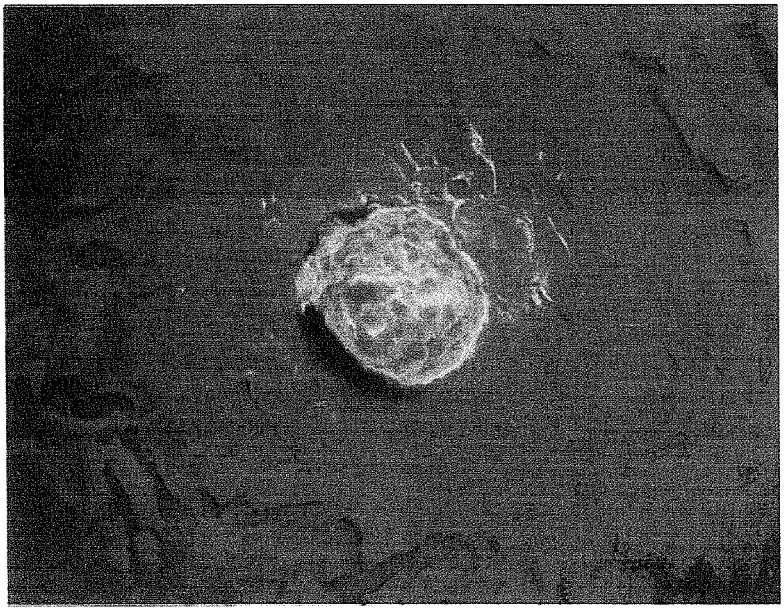

• نيسج جنيني ملتصق بجدار الرحم •

بعض الحالات المرضية التي تستفيد من اختيار جنس المولود مثل الصفات المرتبطة بالجنس

غذائي ملائم، فتناول المرأة للغذاء الغني بالبوتاسيوم والصوديوم (مثل اللحوم والأسماء والسبانخ والخرشوف والمياه المعدنية الغنية بالصودا) سيسبب ميلاد الذكور والغذاء الغني بالكالسيوم (مثل اللبن والبيض والمياه المعدنية الغنية بالكالسيوم) سيكون ملائماً لمن يريد الإناث. وكان نجاح تلك التجربة بنسبة ٨٠٪.

الطريقة المباشرة:

نظراً لأن الطرق السابقة أقرب إلى التخمين والصدفة منها إلى الحسم والتأكيد، فقد اتجه العلماء إلى تحديد وتصنيف وفرز وعزل الحيوانات المنوية الذكرية والأنثوية قبل عمليات الإخصاب، ثم يلي ذلك تخصيب البويضة بحيوان منوي محدد جنسه مسبقاً أي الكروموسوم (X) ذاته المحدد للجنس الأنثوي أو الكروموسوم (Y) ذاته المحدد للجنس الذكري ثم وضع النسيج الجنيني

نوع الفرد او الصفة	التركيب الكروموسومي	الجنس
ذكر عادي	٤٦ : ٤٤ + XY	ذكر
أنثى عادية	٤٦ : ٤٤ + XX	أنثى
حالة داون (بله مغولي)	٤٧ : ٤٥ + XY	ذكر
حالة داون (بله مغولي)	٤٧ : ٤٥ + XX	أنثى
حالة كلينفلتر	٤٧ : ٤٤ + XXY	ذكر
حالة تيرنر	٤٥ : ٤٤ + X	أنثى
تضاعف جنسي	٤٧ : ٤٤ + XXX	أنثى
تضاعف جنسي	٤٨ : ٤٤ + XXX	أنثى

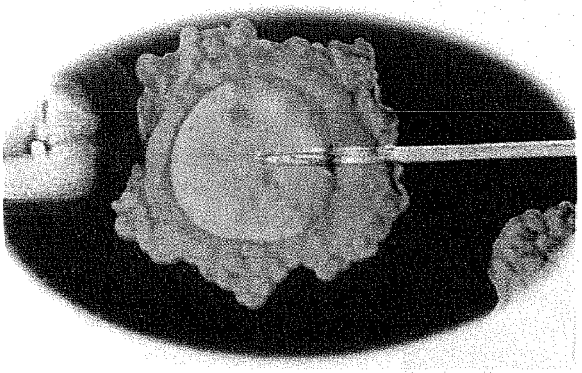

• حقن الحيوان المنوي المعروف جنسه داخل البويضة •

في رحم الأم حتى الولادة، وبذلك ينتج مولود معروف جنسه قبل الإخصاب. كما يمكن تشخيص جنس الجنين بعد الإخصاب وذلك عن طريق تخصيب بويضة ناضجة من الأنثى بحيوان منوي من الذكر في أنبوبة اختبار تحتوي على وسط غذائي مناسب. وعندما يكون عمر الجنين ثلاثة أيام ويتكون من ثمانية خلايا فقط يتم تحديد جنس الجنين عن طريق التحليل الكروموسومي لخلية واحدة منها. فإذا كان (XX) يكون الجنين أنثى وإذا كان (XY) يكون ذكراً. يلي ذلك وضع الأجنة التي تحمل الجنس المطلوب - ذكراً كان أم أنثى - في رحم الأم.

٤ - الأهمية الطبية لتكنولوجيا تحديد الجنس

هناك بعض الحالات المرضية التي تستفيد من اختيار جنس المولود مثل الصفات المرتبطة بالجنس فعند الإنسان يعتبر كلاً من عمى الألوان (أي عدم القدرة على تمييز الألوان وخصوصاً الأحمر والأخضر) والهيموفيليا (وهو نزيف الدم الوراثي المستمر والذي ينتج من فقدان أحد عوامل تجلط الدم) تعتبر حالات مرضية مرتبطة بالجنس. ولقد أظهرت دراسات سجل نسب العائلة أن هاتين الصفتين منتحيتان ونادرتا الحدوث عند الإناث وتنتقل من الأم إلى أبنائها الذكور بينما يورثها الرجل المصاب إلى أحفاده البنين من خلال بناته. وكذلك حالات ضمور العضلات وبعض حالات الأنيميا التي تصب الذكور فقط، وتكون الإناث حاملات المرض فقط، لذلك تفيد هذه العمليات في اختيار جنس الجنين ليكون أنثى بدلاً من ولادة طفل ذكر من المحتم إصابته بهذا المرض.

كما توجد أيضاً حالات شاذة في جنس الإنسان تنتج من عدم توزيع الكروموسومات الجنسية بالتساوي في أثناء الانقسام الميوزي وتكوين الأمشاج ما يؤدي إلى حالات متعددة للشذوذ في عدد الكروموسومات الجنسية والجسمية ونوعيتها في الإنسان كما هو موضح لبعضها في الجدول المبين.

٥ - أخلاقيات اختيار جنس المولود

لقد انقسم العلماء إلى فريقين، فريق معارض لتكنولوجيا تحديد الجنس، حيث يرون أن اختيار جنس الجنين يختزل المولود إلى مجرد سلعة، ويزعزع قيم العلاقات الزوجية بوجه خاص، والحياة ذاتها بوجه عام، إذ يصبح بإمكانك الحصول على ما تريد وفي أي وقت تريد، كما يرون أيضاً أنه لو أصبح اختيار جنس الجنين متاحاً، فإن التفضيل الأكبر على نطاق العالم بأسره سيكون «للأولاد» وهذا من شأنه أن يخل بتوازن المجتمع، ونسبة السكان وسيضع النساء في مرتبة متدنية لأجيال لاحقة، وقد أجرى كثير من علماء الاجتماع في دول متقدمة كثيرة، عدداً من الاستبيانات خلال العقدين الماضيين، وتبيَّن لهم أن الأغلبية الساحقة تفضِّل إنجاب الذكور على إنجاب الإناث، لذلك تنبأ هؤلاء بأن العواقب ستكون وخيمة فيما لو انتشرت طرق اختيار جنس الجنين.

ولكن المدافعين عن فكرة اختيار جنس المولود يقولون: إن هذه الانتقادات هي الانتقادات نفسها التي واجهتها عمليات التلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب، كما أن استفتاء الناس شيء، وما قد يفعلونه عندما يواجههم الموقف بالفعل شيء آخر، فعلى سبيل المثال، إن مرض ضمور العضلات (ويطلق عليه أيضاً اسم الحثل العضلي) يصيب الذكور فقط، ومن شاهد أخاه أو ابنه يدخل في صراع مع المرض والألم والموت المبكر فسيكون الحمل المجهول له نوعاً من الرعب والمعاناة والقلق. ويتساءل مؤيدو

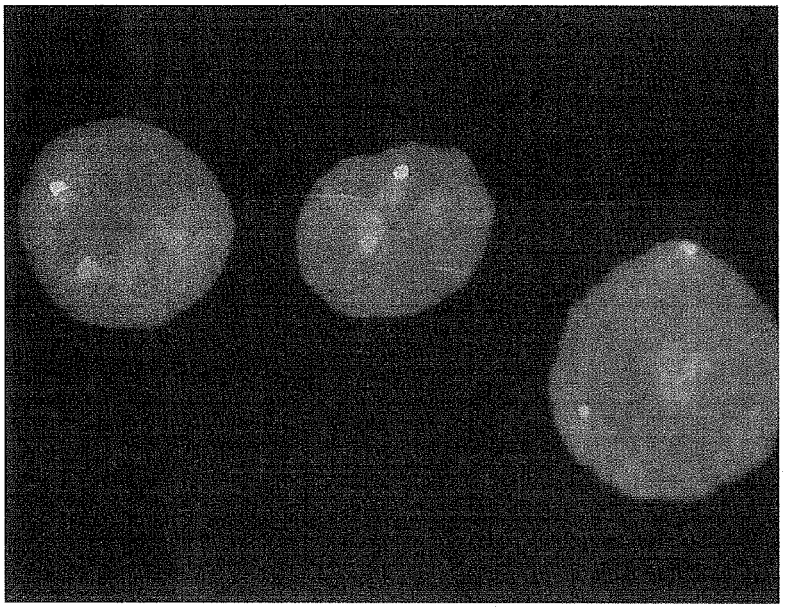

• الحيوانات المنوية الذكرية، لون أحمر Y (أعلى الصورة) الحيوانات المنوية الأنثوية، لون أخضر X (أسفل الصورة) •

المعروف علمياً أن المسؤول عن تحديد الجنس في الإنسان هو الرجل وليست المرأة

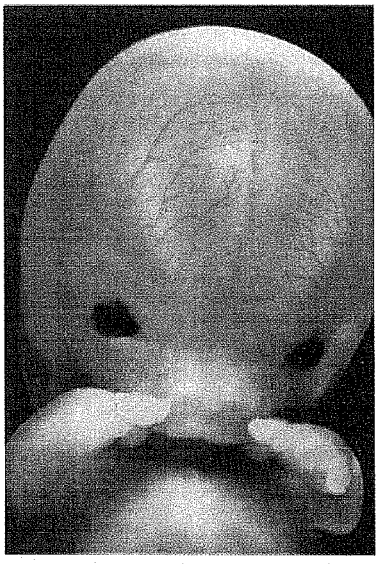

تكنولوجيا تحديد الجنس: ماذا يفعل الإنسان عندما يعرف أنه إذا أنجب ذكوراً سيتحتم عليه قبولهم متخلفين عقلياً مثل مرض (متلازمة داون) الذي يصيب الذكور فقط، هل سيقبل ذلك مدّعياً أنه قدره، ومتجاهلاً للأساليب العلمية في دفع وتجنب المرض بمنعه من إنجاب الذكور؟! وهكذا فإن اختيار جنس المولود مسبقاً سيزيل جميع تلك المتاعب بإذن الله.

٦ - تحديد جنس الجنين: فتاوى وآراء إسلامية

يعتبر الكثير من الناس تدخل الهندسة الوراثية في تحديد أو التحكم النسبي في نوع الجنين (ذكراً أو أنثى) قبل الشروع في الحمل أو بعده جريمة وتدخلاً في قدرة الله تعالى الذي يختص وحده بهبة الإناث والذكور لمن يشاء كما قال تعالى في سورة الشورى في الآيتين ٤٩ - ٥٠: (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير) متجاهلين أن الوصول إلى ذلك ضرب من العبث أو التحدي لقدرة الله وإنما هو مجرد وقاية وعلاج حتمي، بل إجباري في بعض الأحيان.

فهذه الأساليب لا تتعارض مع مشيئة الله الذي أوجد لنا المعرفة وسخّر العلم لخدمة وسعادة الإنسان - كما أن حدوث الحمل باستخدام حيوانات منوية مُحددة الجنس ووسائل التلقيح الصناعي غير مضمون في أي مركز في العالم، حيث لا تصل نسبة الحمل في أفضل المراكز إلى ٥٠٪ فلا تعارض هنا مع مشيئة الله التي قد تمنع حدوث الحمل نفسه.

وقد أصدرت هيئة الفتوى التابعة للإدارة العامة للإفتاء والبحوث الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت فتوى رقم ١٧٥ ع/ ١٩٩٤م في هذا الشأن وهي: «إذ لم يكن لدى الزوجين أولاد، أو كان لديهما إناث فقط ويرغبان بمولود ذكر فإن ذلك يعتبر حاجة مشروعة، وعلى ذلك فلا مانع شرعاً من فصل الحيوانات المنوية الذكرية، واستخدامها في عملية التلقيح الصناعي، إذا تم تلقيح الزوجة بحيوانات منوية مأخوذة من زوجها حال حياتهما، وفي أثناء قيام الزوجية بينهما، مع وجوب توافر الاحتياطات اللازمة لمنع اختلاف العينات، لما ينشأ عنه من اختلاط الأنساب وهو محرَّم شرعاً. والله تعالى أعلم».

كما أشار الشيخ كامل الخولي - عضو لجنة الفتوى بدار الإفتاء المصرية - إلى أن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نأخذ بالأسباب لأنه جعل لكل شيء سبباً، وأن نترك السبب يتصرف في ملكه وفق مشيئته وإرادته، وعلى هذا لا مانع شرعاً من الأخذ بتكنولوجيا تحديد الجنس لأسباب طبية على أساس أننا نأخذ بالأسباب - وهم الأطباء - والسبب هو الله يفعل ما يشاء ولا يكون ذلك تحدياً لإرادته سبحانه وتعالى، لأنه الفعّال لما يريد. غاية ما هنالك أن تكون عقيدتنا وإيماننا بأن يكون كل شيء بإرادة الله وقضائه، وأن ما فعله ما هو إلا الأخذ بالأسباب تنفيذاً لقوله تعالى في الآيتين ٨٤ - ٨٥ من سورة الكهف: (وآتيناه من كل شيء سبباً. فأتبع سبباً).

كما أشار د.أحمد محمد كنعان - رئيس قسم الأمراض المعدية، «إدارة الرعاية الصحية الأولية، منطقة الشرقية، السعودية» إلى أنه يمكن اللجوء إلى استخدام تكنولوجيا تحديد الجنس في بعض الحالات الخاصة، هذا إذا كانت نتائجها لا تؤدي إلى أضرار بالجنين أو بالحامل، علماً بأن اللجوء لمثل هذه العمليات لا يتعارض مبدئياً مع آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن أن الله عزَّ وجلَّ يهب لمن يشاء الإناث ويهب لمن يشاء الذكور، لأنها نوع من التداوي المباح أصلاً، إلا إذا كان سياسة عامة تؤدي إلى خلل عام في نسبة الذكور والإناث فإنه حينئذ يحرم ■

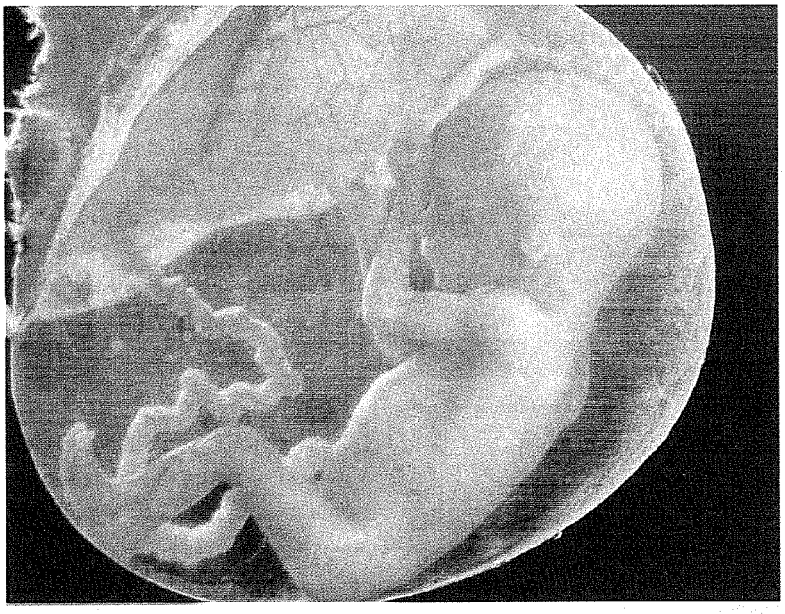

• جنين داخل الرحم •

عملية التحكم في الجنس تعتمد على الظروف المناسبة لزيادة احتمال قيام الحيوان المنوي الذكري أو الأنثوي بالاخصاب

من صور الإعجاز الفني في القرآن الكريم

يوم العرض الأكبر

بقلم: صديق بكر علي عيطة

قال الله تعالى في سورة الحاقة: (فإذا نُفخ في الصور نفخة واحدة. وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة. وانشقت السماء فهي يومئذ واهية. والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية. فأما من أوتي كتابه بيمنه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه. إني ظننت أني ملاق حسابية. فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية. كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام. وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابيه. ولم أدر ما حسابيه. يا ليتها كانت القاضية. ما أغنى عنّي ماليه. هلك عني سلطانيه. خذوه فغلّوه. ثم الجحيم صلّوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه. إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولا يحضُّ على طعام المسكين. فليس له اليوم هاهنا حميم. ولا طعام إلا من غسلين. لا يأكله إلا الخاطئون).

هذه الآيات من سورة «الحاقة»، إحدى السور المباركة التي نزلت في العهد المكي، وقد جاءت ـ كما هو الشأن في معظم سور هذا العهد ـ لتثبيت العقيدة في النفوس، وتأكيدها في القلوب والعقول والمشاعر. ولقد سلكت السورة لتحقيق هذا الهدف الكبير طرائق شتى: طريقة اللفظ الموحي بموسيقاه وحروفه. وطريقة الكلمة المعبِّرة بمعناها المباشر، وطريقة الحكاية السريعة المركزة، وطريقة الصورة المتحركة ذات الظلال والألوان. وطريقة التناسق الفني بين الفواصل، على نحو ترى وتسمع من خلاله المشاعر والأحاسيس... وليس من شأننا الآن ذكر أمثلة تفصيلية لكل ذلك، لأنه يخرج بنا عن سواء القصد، وهو بيان الصورة الفنية لمشهد القيامة، ومقدماتها، وأوجه العظمة والدقة في هذا البيان المعجز، وسنكتفي بالإشارة لما يعرض من هذه الطرائق خلال عرض الصورة الفنية.

ولابد من أن نعرف أن هذه الصورة الفنية، التي نحن بصدد الحديث عنها الآن، والتي تصور في إعجاز فني رائع ممتد، مشهد القيامة بمقدماتها المذهلة المرعبة، قد سُبقت بما يمكن أن نسميه بقيامات صغيرة ـ بالرغم مما فيها من رعب وفزع ـ إذا قيست بالقيامة الكبرى، التي تنهي دورة الحياة بكاملها، ليبدأ العرض الأكبر، والحساب العظيم، والجزاء الأوفى على نحو ما تعرض الصورة الفنية... هذه القيامات الصغيرة، كانت جزاء لبعض الأمم إزاء مسلكهم مع رسلهم: (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية. وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخَّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية. فهل ترى لهم من باقية. وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة. فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية. إنّا لما طغى الماء حملناكم في الجارية. لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية).

هذه صور سريعة مركزة، توضح نهاية الأمم السابقة، التي كذبت رسولها، وهي بذلك إنما تبين أن سنة الله في خلقه لا تتخلف في إثابة الطائعين، ومعاقبة العاصين.

والملاحظ من خلال هذا العرض السريع لهذه الأحداث، أنها تتدرج في سعة العرض وتفصيلاته من الأقل إلى الأكثر، لتكون خاتمة المشاهد ممثلة في هذا العرض الكبير، الذي تتسع مساحته لتشمل أهوال هذا الانقلاب الضخم المذهل: في الأرض... وفي السماء... وفي عالم الأملاك والأفلاك... وفي عالم النفوس والمشاعر، ثم تتمدد رقعته حتى تشمل مصير أهل الجنة، وما يلقونه من تكريم الله لهم الذي يباهون به الخلائق يوم القيامة... وأهل النار، وما يلقون من مذلة وخزي ومهانة يندمون فيها على ما فرط من أمرهم في الدنيا!!.

ونحن في دراستنا لهذه الصورة لا يعنينا إلا الجانب الفني، ولن نتحدث فيما اختلفوا فيه حول ما إذا كان المراد بالنفخة: الأولى أو الثانية، فكل ما يعنينا أنها النفخة التي يعقبها دمار الكون بكل آفاقه وأجزائه، دماراً شاملاً مفزعاً... كما هو مستفاد من النص الكريم.

وتبدأ الأحداث، بالنفخ في الصور، والصور هو البوق، ويُسمَّى أيضاً القرن، وهو الذي يحمله الملك الموكل بذلك، فإذا نفخ هذه النفخة المنتظرة، كان الهول الأكبر والأحداث الجسام، التي تتوالى في قوة طاغية، لا راد لها، ولا عاصم من أمرها: فهذه الأرض التي

عهدناها ثابتة، راسخة، ثقيلة... تصبح كالريشة، لا وزن لها، ولا ثقل، حينما تحمل هي وما عليها من جبال راسيات شامخات... لتنفض نفضاً ثورياً يدكها دكة واحدة، لتصبح مستوية هامدة، خربة لا نتوء فيها ولا تضاريس... هذا في الأرض، أما في السماء فلا نجاة أيضاً من هذا الدمار الماحق الشامل، حيث إنها تتشقق وتتصدع بعد أن كانت بناء قوياً متماسكاً، متين الأركان، فسيح الأرجاء(١) لتصبح هشة... واهية... توشك أن تسقط فوق الرؤوس. عند ذلك يفزع ما عليها من أملاك، ويلجأون إلى أطرافها يحتمون بها، فلعل بها بعض القوة والتماسك... ويشتد الهول، ويعظم الكرب... وهنا (يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)(٢)، فالحمل ثقيل... والأمر خطير... والدمار ساحق ماحق(٣)... ويسكن المشهد، وتنصب الموازين، ويتجلى الملك، وتسود الرهبة، ويبدأ العرض والحساب: (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)... ياللهول... ياللهول!! أين يتم ذلك؟! بل كيف يكون ذلك؟! لا يعلم إلا جبار السماء والأرض!!.

غير أن ما يجب أن يتصوره المرء ويعيش قضيته بمشاعره وأحاسيسه، وكل خلجة من خلجات نفسه... وكل ذرة من ذرات كيانه... أنه سيكون «يومئذ» عارياً من كل شيء...!! من الأرض التي كانت تقله، وتخفي أسراره، ومن الجبال التي كانت تؤويه، ويتحصن داخل كهوفها وشعابها، ومن السماء التي كانت تظله وتستره، حتى ما كان يكنّه في صدره ونفسه من أسرار، لا يعلمها إلا الله تعالى، تصبح هي الأخرى عارية، (لا تخفى منكم خافية)، وجازى عليها جزاءه العادل «فالكل مكشوف، مكشوف الجسد، مكشوف النفس، مكشوف الضمير، مكشوف المصير، وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار، وتتعرى النفوس وتترى الأجساد، وتبرز الغيوب بروز الشهود... ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره ومن تدبيره ومن شعوره، وتفضح منه ما كان حريصاً على أن يستره حتى عن نفسه...»(٤)

وهنا تنقسم الخلائق إلى فريقين: فريق يأخذ صحائف أعماله بيمينه، ويقرأ ما فيها، فيطمئن قلبه، ويسكن فؤاده، ويعلو فيه نبض الفرحة، ويسري في كيانه السرور البالغ، فيرفع صوته ليسمع أهل الموقف جميعاً، وكأنه يعلن فرحته على رؤوس الأشهاد (هاؤم اقرأوا كتابيه. إني ظننت أني ملاق حسابيه) لقد كان شأنه شأن التلميذ المجدّ، الذي لا يستكثر ما بذل من مجهود كبير في سبيل تحصيل الفوز، ويظن أنه محاسب على تقصيره، مأخوذ به... ثم يفاجأ بعد ذلك بهذا الجزاء العظيم والحياة السعيدة الراضية الهانئة... في الفردوس الأعلى الذي ينعم فيه بكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين... وهنا يسمع هذا الخطاب الأعلى الذي يملأ جنبات النفس رضى وسعادة (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية).

وفريق آخر يأخذ صحائف أعماله بشماله، وعندما يقرأها تعلوه الكآبة، ويطبق عليهم الهمّ، ويسيطر الندم، ويجأر بهذا النداء المنكر صارخاً: (ياليتني لم أوت كتابيه) وهنا يتمنى الفناء الكامل، الذي لا حساب معه ولا جنة ولا نار (ياليتها كانت القاضية)، كما يرد في موقف آخر على لسانه أيضاً (يا ليتني كنت تراباً)(٥)، فهو يتمنى أن لو كانت موتته قاضية عليه، وهنا يبدو أمامه ما جرّه عليه ماله وغناه في الدنيا من ويل ونكال في الآخرة، وقد كان فرحاً به ظاناً أنه سيحمل عنه وزره، فإذا به يزج به في نار جهنم زجاً، ويقضى على حججه وبراهينه، التي كان يأمل أن يتذرع بها فيرفع صوته نادماً ضارباً كفاً بكف: (ما أغنى عني مالية. هلك عني سلطانيه)، وهنا يصدر أمر الملك، الحاكم العادل. الذي لا معقب لحكمه، ولا راد لما قضى به، والذي لا يجامل ولا يداور أو يناور (خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلّوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) ويشفع هذا الأمر الأعلى والقضاء العادل، بحيثياته ومبرراته - وهو الغني عن الحيثيات والمبررات -: (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولا يحض على طعام المسكين)، وهنا يأتي دور المذكرة الإيضاحية، التي تحدد ملامح عقابه: (فليس له اليوم هاهنا حميم. ولا طعام إلا من غسلين. لا يأكله إلا الخاطئون)!!.

صورة فنية ممتدة، فسيحة الأركان، مترامية الأطراف، متعددة الظلال والألوان، تجمع في إطار واحد أحداثاً قوية مثيرة تصل ما بين آخر أيام الدنيا، وحتى المشهد الأخير الذي يستقر فيه أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار... مروراً بالنفخ في الصور، وحمل الأرض والجبال، ودكهما دكة واحدة، وتصدع بنيان السماء، وفرار الأملاك إلى أطرافها، وزيادة عدد الأملاك، الذين يحملون العرش عند تجلي الحق تبارك وتعالى، ونصب الموازين للعرض والحساب الذي لا تخفى معه خافية، وبعد ذلك ينقسم الناس إلى فريقين: فريق

يؤتى كتابه بيمينه، والآخر يؤتى كتابه بشماله.

إن هذه الصورة، ذات طبيعة خاصة، لا تتكرر كثيراً في القرآن الكريم، ما يجعل لها مذاقاً خاصاً، وأثراً قوياً في النفوس والقلوب والمشاعر، يدفع المرء إلى أن يحيا هذه الأحداث الجسام في عالم التصور والأحاسيس، حياة أشبه ما تكون بالحياة الحقيقية الواقعة إذا هو كان ذا عقل راجح وقلب ذكي، ونظرة تتخطى بموضوعيتها عالم الشهادة، فمن الخصائص الفنية التي تتمتع بها هذه الصورة:

أولاً: أن كل مشهد فيها محاط بإطار من العبارة المنسقة، على نحو يوحي بالجو الشعوري السائد فيه.

خذ لذلك مثلاً، المشهد الأول: مشهد الانقلاب الهائل المدمر، الذي تتحول فيه الصورة بين لحظة وأخرى من النقيض إلى النقيض... أقول: «بين لحظة وأخرى» وأنا أعني الزمن الذي لا يتسع لأكثر من قراءة ست آيات قصار (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة. وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة. وانشقت السماء فهي يومئذ واهية. والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)، أما الزمن الذي يستوعبه هذا الانقلاب، وما يشمله من أحداث جسام متتابعة أو متزامنة، فلا يدري حقيقته إلا الله تعالى... وهذا الانقلاب المدمر، الهائل، الذي يصوره هذا المشهد يقع في جو من الشعور بالشدة والسرعة والحسم، الذي لا مجال فيه لتكرار الحدث الواحد، وهو ما يتضح في (نفخة واحدة... دكة واحدة... وقعت الواقعة... انشقت السماء... لا تخفى منكم خافية).

أما المشهد الثاني: مشهد التمييز بين فريق الجنة، وفريق النار، وتحديد مصير كل منهما، فإنه يسوده جو مفعم بالسعادة والبهجة في جانب، والحسرة والندامة في جانب آخر: (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه. إني ظننت أني ملاق حسابيه. فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية. كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه. ياليتها كانت القاضية. ما أغني عني ماليه. هلك عني سلطانيه)، ففي الجانب الأول تبدو العبارة فوارة بالسعادة، نضاخة بالبهجة، حتى لتكاد تطوف آفاق العالمين لتعلن عن نفسها (هاؤم... عيشة راضية... جنة عالية... قطوفها دانية... كلوا واشربوا هنيئاً) أما في الجانب المقابل، فإن الحسرة والندامة تبدوان في (ياليتني... ياليتها... ما أغني عني ماليه... هلك عني سلطانيه)، ندم... حسرة... خزي... نكال!! حتى ليكاد القارئ يراه يلطم خده بكلتا يديه... ويخمش وجهه بأظافره، هذا من ناحية المدلول البلاغي للعبارة بما تحمل من ظلال الموقف، وألوان الجنة والنار.

أما قافية الآيات، التي تتمثل في الهاء: سواء، أكانت هاء السكت، أم التاء المربوطة، التي تتحول إلى هاء عند الوقف، فإنها تشعر عند خروجها من أعلى الصدر عند القارئ، بالفرحة والسعادة، التي تملأ جنبات النفس، وتموج داخل الصدر في الجانب الأول من المشهد. كما أنها تحمل زفرات الأسى وحرارة الندم اللذين يملآن الصدر، ويترعان النفس في الجانب الآخر.

وأما المشهد الثالث، فهو مشهد العقاب مصحوباً بالحيثيات والمبررات، التي هي أشد وقعاً في النفس، وإيلاماً في الضمير من العذاب ذاته، ويسود هذا المشهد جو من العنف والشدة والغلظة: (خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلّوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه. إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولا يحض على طعام المسكين. فليس له اليوم هاهنا حميم. ولا طعام إلا من غسلين. لا يأكله إلا الخاطئون)!! تأمل هذه المدود التي تتوالى في اتجاه واحد (خذوه - غلوه - صلوه - اسلكوه) وكأنها قوى الكون كله في سباق لتنفيذ الأمر الصادر من الحاكم العادل في حكمه.

أحداث يوم القيامة يعرضها القرآن الكريم بتدرج من الأقل إلى الأكثر

ثانياً: أن هذه الصورة الفنية العجيبة، اعتمدت في بناء مشاهدها على مواد الحس والمشاهدة، ومواد النفس والشعور، بعد أن مزجت بينهما بطريقة مثيرة ليس لها نظير، مما يجسد لعين الفاحص المتأمل جانباً كبيراً ومهماً في مجال الإعجاز الفني في القرآن الكريم. وكان هذا المزج على النحو التالي:

- مشاهد حسية ذات دلالات شعورية.
- حالات شعورية نفسية تنقلنا إلى تصور أحداث حسية.
- مشاهد يتعانق فيها الجانب الحسّي مع الجانب الشعوري، ويدخلان إلى حواس المشاهد، ومشاعره معاً وفي لحظة واحدة.

أما اللون الأول، فإننا نطالعه في هذه «النفخة»، التي يسمعها جميع الخلائق، فتقلب موازين الكون والحياة رأساً على عقب، كما نطالعه في مشهد الأرض والجبال، اللذين يُحْملان بما عليهما من خلائق وعجائب، وبرغم هذا الثقل الهائل، الذي يعجز التصور أمام إدراك حقيقته، لتُنفضا وتدكا دكة واحدة... واحدة فقط ولم تكونا في حاجة إلى ثانية إذ لم يبق فيها ما يُدك بعد ذلك، كما نطالعه أيضاً في مشهد السماء وهي تتصدع، وتوشك أن تسقط فوق الرؤوس!! مشاهد حسية، ترى بالعين وتسمع بالأذن، لتلقي في النفس ظلاً كثيفاً من الفزع والخوف والرعب، وترقب الهلاك

وتوقعه قادماً من كل اتجاه!! ولكن تبقى حقيقة مؤكدة، أنها تبدأ بالمشهد الحسي، الذي ينقل المشاهد إلى هذه الحال الشعورية، ويدخل في هذا الإطار أيضاً، فشهد من يؤتى كتابه بيمينه، ليحمله بين يديه طالباً من جميع أهل الموقف - فخراً واعتزازاً - أن يقرأوه... ومن يؤتى كتابه بشماله، وهو يصرخ نادماً (ياليتني لم أوت كتابيه).

وأما اللون الثاني، فإننا نشعر به في الإخبار بوقوع «الواقعة»، وهذا اللفظ يشعر - وللوهلة الأولى - بالخوف والرعب، بجرسه ومعناه العام... (الواقعة)... وبعد ذلك يبدأ تصور حقيقة هذه الواقعة، من خلال ما يحيط بها من أحداث، وكذلك في حال الفزع الذي يؤدي إلى انتشار الملائكة هنا وهناك على أطراف السماء، فإذا ما ربط الذهن والتصور بين انشقاق السماء وتصدعها، وبين انتشار الملائكة على أرجائها، اتضحت الحركة، وتمت أهداف المشهد، وأدى غايته في إطار الصورة العامة ليوم الفزع الأكبر.

والحق أن هذا اللون قليل الوقوع في بناء الصورة العامة، ويكاد يختفي بين حشودها وأطوائها، ولا نكاد ندركه إلا عند تحليل الصورة إلى مشاهد جزئية نقارن من خلاله بين المشاهد التي يعلو فيها نبض الشعور أكثر، وتلك التي تظهر فيها حركة الأحداث الحسية المشاهدة أكثر، وسوف نزيد هذه النقطة إيضاحاً بعد الحديث عن اللون الثالث.

وأما اللون الثالث: وهو المشاهد التي يتعانق فيها عنصر الحسّ المشاهد مع عنصر الشعور الداخلي، وقد تعادل نبضاهما في التأثير على المشاهد، فإنه يبدو في تجهيز مساحة العرض، الذي لا تخفى فيه خافية واحدة، حيث يصبح كل شيء مكشوفاً، أما الخلق، مُعَداً للحساب والثواب والعقاب، وكذلك يبدو في هذا لأمر الغليظ الصادر من أعلى في لهجة حازمة قوية مرعبة: (خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلّوه)، وفي مشهد الملائكة، وهم يجرّونه مكبلاً بسلسلة ذرعها (تعدادها) سبعون ذراعاً - مع أن ذراعاً واحداً يكفي للتكبيل - فعند التأمل ترى هذين المشهدين يثيران في النفس كثيراً من الخوف والفزع والرعب، بقدر ما في الأول من حركة التجهيز، وإعداد الموازين، والكتب التي تسلم لأصحابها... وأما في الثاني من عنف وقسوة يؤخذ بها هذا المسكين، الذي جرد من حَوْلِهِ وطَوْلِهِ وقوته، التي كان يعتد بها في الدنيا، وهو الآن أعزل في مواجهة هذه القوة العاتية.

ونحن في هذا التحليل الذي أسفر عن تقسيم مشاهد الصورة إلى ثلاثة ألوان، إنما نؤدي واجبنا في بيان أوجه الإعجاز، في بناء واحدة من الصور الفنية في القرآن الكريم. هذا الفن التصويري الذي يخاطب كل نفس بما يؤثر فيها ويعطيها من الجرعات كفاء حاجتها نوعاً ودرجة، والله أعلم، حيث يجعل رسالته.

صورة يوم العرض الأكبر كما صورها القرآن لها أثر قوي في النفوس والمشاعر

ولكنا لا نقرأ الصورة الفنية ونتذوقها مقطّعة هكذا، وإنما هي صورة فنية واحدة، ذات مشاهد متعددة، تتبادل فيها الظلال والألوان مع الحركة والصوت درجة الظهور والتأثير على امتداد الصورة كلها: فتارة تعلو درجة الحركة وتشتد، ويعلو صخب الأصوات وضجيجها، ليسود الفزع وتعظم الرهبة، وتتلاطم في المشاعر أمواج الخوف من وراء ذلك. كما هو واضح في مشاهد اللون الأول، وتارة تشتد حرارة المشاعر، وتكتم الأنفاس عند سماع خبر معين، انتظاراً لما يسفر عنه المشهد، وهذا واضح في مشاهد اللون الثاني، وتارة تعنف الحركة، وتقسو مع ارتفاع درجة ما يحيط من مشاعر الخوف والفزع، حتى ليحس المشاهد أن كلاً منهما طريق للإحساس بالآخر، كما هو الحال في مشاهد اللون الثالث. وهكذا نرى أن هذه الصورة الفنية بلغت في قوة الأداء وجمال العرض ودرجة التأثير، ما لا قبل لبشر بمثله، فسبحان من هذا كلامه!! ■

الهوامش:

١ - قال تعالى: (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون).

٢ - يقول العلامة الشيخ عبدالقادر المغربي: «والمراد من الثمانية مسكوت عنه، فهم ثمانية ملائكة، أو ثمانية صفوف منهم، أو ثمانية قوات إلهية أخرى تحمل عرش الرب فوق رؤوس ملائكة الأرجاء، أو تحمله زيادة عليهم، بحيث يكون الجميع مشتركين في الحمل - كل ذلك يحتمله لفظ الآية، فلا يحس القطع بشيء منه» (تفسير جزء تبارك - سورة الحاقة).

٣ - كان من المنتظر أن نتوقف في عرض الصورة الفنية عند هذا الحد، حيث إن مباحث هذا الفصل تدور حول مقدمات القيامة، وقد أرجأنا الحديث عن أهوال القيامة، وما يتم فيها إلى فصل تالٍ... ولكن امتداد المشاهد، وتلاحم العرض، وتتابع الأحداث، وتداخل الظلال والألوان، كل ذلك يدعونا إلى أن نستمر في تتبع العرض الكبير حتى نهايته.

٤ - سيد قطب - في ظلال القرآن.

٥ - سورة النبأ آية: ٤٠.

٦ - جاء في «الجامع لأحكام القرآن»: «والغِسْل (بالكسر) ما يغسل به الرأس من خطمي وغيره. الأخفش: ومنه الغسلين، وهو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم.

وقال الشهيد سيد قطب في «ظلال القرآن»: «والغسلين هو غسالة أهل جهنم من قيح وصديد! وهو يناسب قلبه النكد الخاوي من الرحمة بالعبيد!».

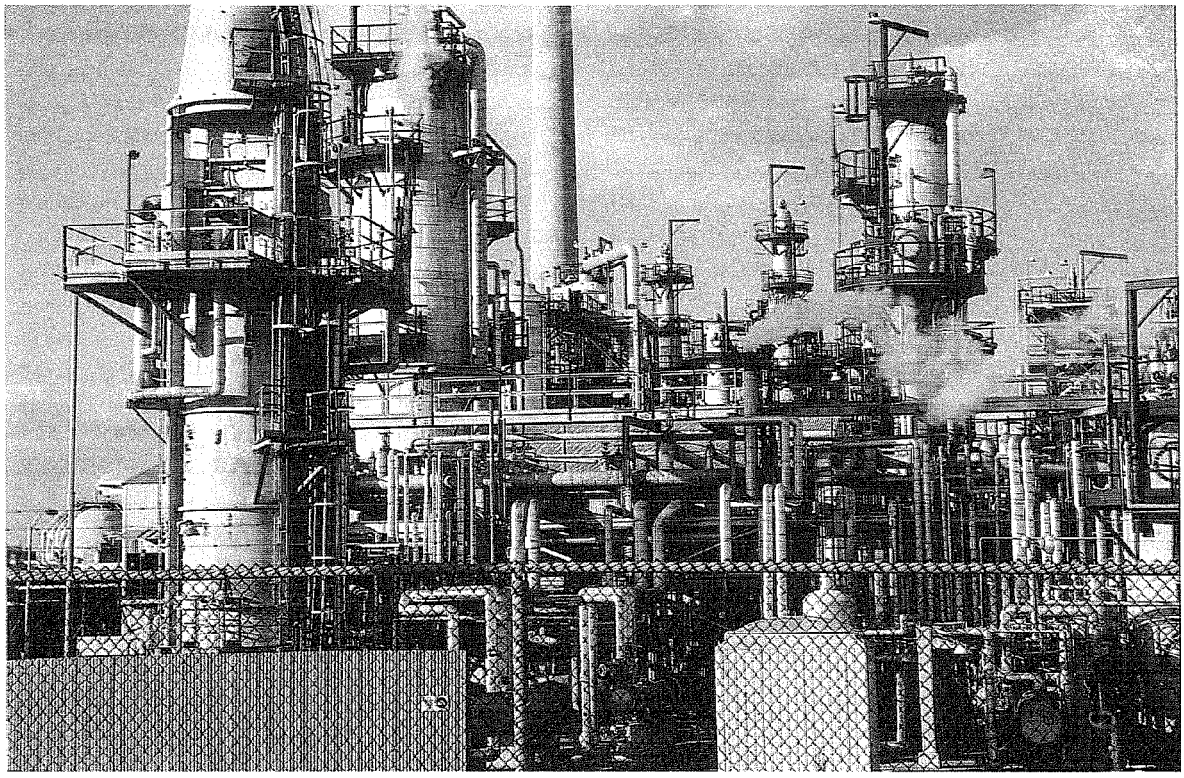

أشكال العولمة الاقتصادية وكيفية التعامل معها

بقلم: رامز طشبور

بالرغم من البُعد السياسي والثقافي للعولمة والذي يواجه بمسيرات الرفض والاحتجاج في كثير من العواصم العالمية ما يعكس إدراك الشعوب ووعيها لخطورة العولمة، يبقى البُعد الاقتصادي الذي يشكّل معاناة كبيرة ترزح تحت عبئها الشرائح العريضة في الجماهير التي تعيش حال الكفاف أو حال البحبوحة البسيطة، ولم يقف الأمر عند شكوى الشعوب، بل إن حفظ العولمة الاقتصادية بتشعباتها وأدواتها أصبح يهدد الدول ويضغط على سياساتها وخياراتها، فصندوق النقد الدولي والبنك الدولي مؤسسات مالية عالمية تتحرك وفق سياسات محددة لتشكل مظهراً من مظاهر العولمة، ودورها كبير جداً وخطير لن نتوقف عنده، ولكي نتمكن من أن نلقي الضوء على أشكال أخرى من أشكال العولمة الاقتصادية التي تُمارسُ تدخلاً يومياً في حياتنا الاقتصاديةَ على المستوى العام والخاص، والتي أصبح لها من القدرة والقوة ما مكّنها من أن تبسط امتدادها عبر اتجاهات الكرة الأرضية الأربعة بوساطة الشركات العابرة للقارات وأسلوب الخصخصة وذلك بعد سقوط جدار برلين عقب انهيار الاتحاد السوفييتي فسقطت معه تجربة القطاع العام.

فالشركات القومية تعاظمت واتسعت وما لبثت أن تعددت قومياتها وتطورت منهجيتها في السيطرة على الأسواق المحلية إلى السيطرة على الأسواق العالمية، إيذاناً بمرحلة العولمة الاقتصادية المتقدمة، فبرزت الشركات العابرة «المتعدية الجنسية»، وهي تخترق كل الحدود مؤثّرة في الاقتصاد والسياسة من خلال تأثيرها على مفهوم الدولة والسيادة.

إن ضخامة الشركات «المتعدية الجنسية»، والتي تعتبر ركيزة أساسية من ركائز العولمة الاقتصادية بلغت مبلغاً مهماً، حيث شكّل رقم المبيعات لهذه الشركات أرقاماً خيالية تفوق الكثير من اقتصادات الدول الكبرى، فلقد سجل حجم الإيرادات للشركة الأولى من بين الخمسمئة الأكبر في العالم «ميتسوبيشي» عام ١٩٩٥م مبلغ ١٨٤,٤ مليار دولار، وحققت أصغر شركة في المجموعة مبلغ ٨,٩ مليار دولار هي شركة «تيليبراس». وفي عام ١٩٩٧م تصدّرت شركة جنرال موتور وحققت إيرادات بمبلغ ١٦٨,٤ مليار دولار، أما أقل الإيرادات فكانت من حظ بنك إيطالي ٩,٤ مليار دولار.

إن من أبرز مواصفات الشركات «المتعدية الجنسية» ضخامة حجمها وتنوع نشاطاتها واختراقها لكل حدود، وقد أصبحت رقماً صعباً في التجارة الدولية، واتسع تأثيرها ليطاول الجانب الاقتصادي والمالي والسياسي في الكثير من الدول، نظراً لما تمتلكه تلك الشركات من قدرات مالية وتكنولوجية وبشرية، فقد بلغ مجمل إيرادات أبرز خمسمئة شركة «متعدية الجنسية» في عام ١٩٩٦م مبلغ ١١ تريليوناً و٤٣٥ مليار دولار أميركي، في حين بلغ مجموع الناتج المحلي الإجمالي لدول العالم عام ١٩٩٥م نحواً من ٢٧,٨ تريليون دولار وإجمالي إيرادات الولايات المتحدة منفردة ٦ تريليون و٩٥٢ مليار دولار، فهذه الشركات الخمسمئة من دون الباقي من الشركات التي يقدرها بعضهم بسبعة وعشرين ألف شركة، تلك الشركات الخمسمئة الأولى شكلت ٤١٪ من الناتج المحلي الإجمالي للعالم. أما اليوم فإن التقديرات الأولية تشير إلى وجود ما يزيد على سبعة وعشرين ألف شركة يبلغ إجمالي إيراداتها ما يزيد على نصف الناتج المحلي الإجمالي للعالم، وعدد العاملين فيها نحو خمسة وثلاثين مليون عامل وصافي الأرباح تفوق الـ٤٠٤ مليارات دولار.

إن هذه الإمكانات الهائلة للشركات «المتعدية الجنسية» لا يمكن لأي دولة أن تحد من قدراتها وانتشارها، وهذا ما ستعاني منه الدول النامية الإسلامية منها والاشتراكية سابقاً، التي دخلت خضم اقتصاد السوق دون مقومات ومؤهلات على مستوى المرحلة، أما الدول الرأسمالية الكبرى فهي بمنأى عن الغزو الاقتصادي لما تمتلكه من قدرات وإمكانات ولما يسهم به أفرادها ومؤسساتها وأثرياؤها في تلك الشركات التي تعود عليهم بفائض كبير.

أما سياسة الخصخصة والأسواق الحرة فهي تقتحم على الدول سياساتها الاقتصادية، وتفرض عليها نمطاً جديداً من الحركة الاقتصادية لم تستعد له فتضيع في متاهاته، فهناك متاهات واسعة تخسر معها الدول شيئاً من سيادتها وتخسر الشعوب الكثير من ثرواتها.

إن سياسة الخصخصة هي الجوهر الذي تدور حوله قضية العولمة الاقتصادية، وإن ازدهار المؤسسات الخاصة أصبح ظاهرة بارزة، ورغم ما تحمله من فوائد اقتصادية إلا أنها إذا لم تضبط ضمن السياق الاجتماعي العام للدولة وإشرافها، فإنها ستؤدي إلى مآزق كبرى واستغلالات عظيمة، ومنافسة قاسية مع الأنظمة والدول يكون الشعب بنتيجتها هو الخاسر الأكبر، إن الخصخصة سلاح ذو حدّين فهي تحرّك عجلة الاقتصاد والتنمية، وفي الوقت نفسه تتسرب من خلالها الشركات «المتعدية الجنسيات» والمؤسسات النقدية الدولية بشكل يفوق قدرات الدول على الضبط والتوجيه.

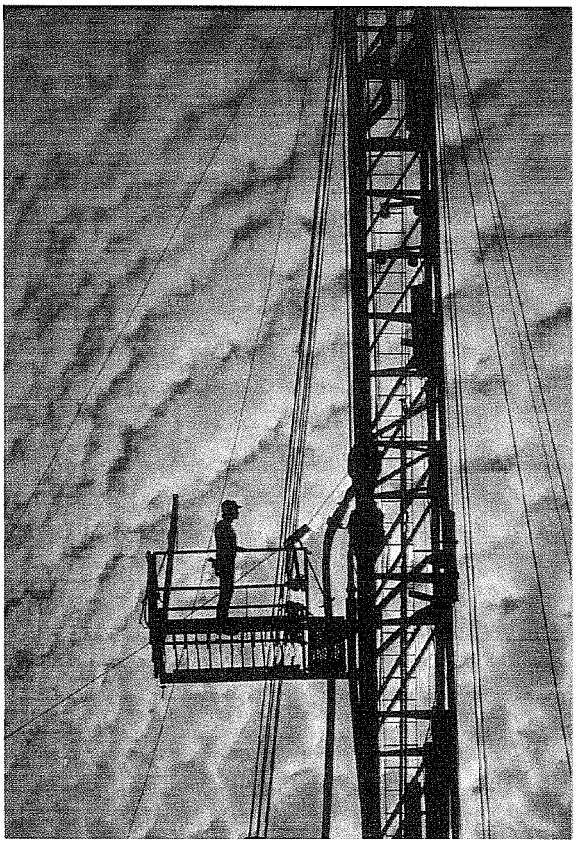

إن النموذج الاقتصادي المتقدم اليوم بلا منازع أصبح نموذج السوق، ومن أبرز مقوماته وعلاماته تحرير الاقتصاد وتركه لقوى السوق تتحكم به وتحركه، ما يعني تحرير عمليات الإنتاج للسلع والخدمات وتحرير تسعيرها، وتحرير قطاعات الإنتاج المختلفة في قيود الدول الإدارية والضرائبية وتقديم الدعم لها وتركها لقوانين العرض والطلب في السوق، وفتح المجال أمام الاستثمارات العالمية والتدفقات المالية عبر الدول الكبرى وعبر المؤسسات المالية مع حيّز كبير لدور الشركات الضخمة المتعدية الجنسية

إن تسهيل حركة رؤوس الأموال وجلب الاستثمارات يحقق بلا شك منافع جليلة للدول النامية من حيث المبدأ، إلا أن ترك الأمر لقوى السوق الاقتصادية دون تدخل الدول من حيث الإشراف والتنسيق، فإنه بلا شك سيؤدي إلى هلاك اقتصادي وتدهور مالي لتلك الدول. وقد شكّلت تجربة دول جنوب شرق آسيا «النمور السبعة» نموذجاً حياً لذلك، فبعد النمو الهائل الذي حققته هذه الدول بفضل سياسات اقتصادية واستثمارات مهمة في الخارج، تعرضت هذه الدول إلى زعزعة الاستقرار المالي والاقتصادي والسياسي في عام ١٩٩٧م، ويمكن لنا أن نأخذ درساً واقعياً ونمطياً من تلك الدول، وبأن لا يغيب الحذر والترقب وبأن يبقى للدولة مكانتها في الإمساك بالإشراف والتوجيه والتدخل أحياناً، للحفاظ على المقدرات الاقتصادية والمنجزات الحضارية.

إن العولمة الاقتصادية تحققت كل مكوناتها، وتشكلت كل المؤسسات المؤدية لها، وهي ماضية في الاختراق والتمدد، ضمن سياسة رأسمالية جديدة تتقن الدور وتعرف الهدف. أما الدول النامية والفقيرة فلاتزال تتخبط في خياراتها وواقعها المتأزم، فهنالك من يميل ميلة واحدة نحو العولمة والسير في ركابها على غير هدى، وهنالك من يرفضها وينغلق على نفسه إلى مزيد من التخلف، بينما الخيار المطلوب هو الذي تتجلى فيه مصلحة الشعوب الآنية والبعيدة المدى للحفاظ على مقدرات الشعوب وثرواتها، فنحن لا ننكر ما تقدمه العولمة من فرص التواصل مع الآخرين واقتناء علومهم والاستفادة من تقنياتهم إلى حد ما وهذا مطلوب بحد ذاته، ولكن من جهة أخرى المطلوب أيضاً المحافظة على مقومات اقتصادية ذاتية وتنميتها لإفادة الأجيال منها، لا لإباحتها لسوق العولمة وترك المستقبل بلا مقدرات ولا قدرات، وإن هذه المعالجة تحتاج لرؤية سياسية واقتصادية واقعية تضمن المصلحة العليا للشعوب على أنهم كائنات حية تختلف عن السلع في عالم الاقتصاد.

هذا الواقع الاقتصادي «المعولم» لابد أن يعيه المجتمع المسلم بأفراده ومؤسساته لكي يتعرف إلى حجم ما يحيط به من صعوبات

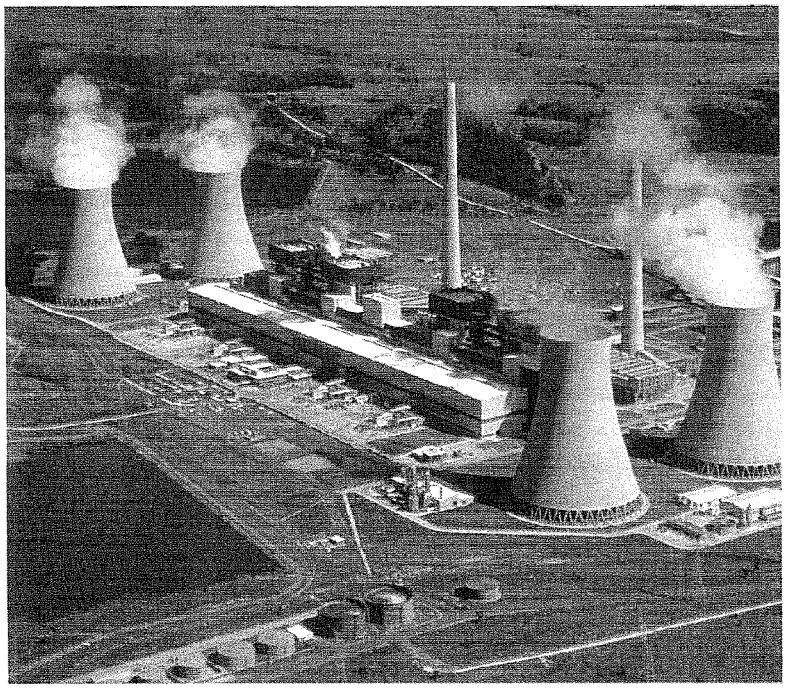

أبرز مواصفات الشركات «المتعدية الجنسية» ضخامة حجمها وتنوع نشاطاتها واختراقها لكل حدود

وخطوب، ولكي يستعد للمواجهة بأسلوب واعٍ واضح الهدف والطريق في سبيل التحرر من الهيمنة الاقتصادية، وفي سبيل ذلك لابد من استلهام الروح الإسلامية الباعثة على العزة والقوة والمنعة من خلال الإعداد والوحدة وفقاً للتعاليم التي أُسس عليها المجتمع الإسلامي القوي استجابة لقوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يد الله مع الجماعة»...

إن لب المواجهة يكمن في الوحدة وفي الإعداد، وطالما أن الأمة الإسلامية تتقاسمها دول وأنظمة متنافرة، فإن الهيمنة الاقتصادية وغيرها من أشكال الهيمنة ستستمر وتتعاظم ولا يمكن الخروج من هذا النفق المظلم إلا بالعمل على توحيد الصفوف والتقريب بين الدول، أما القول: إن دواعي الوحدة الفورية غير متوافرة حالياً، فإن ذلك لا يلغي إمكانية التنسيق والتوافق على كثير من الأمور، لما فيها من مصالح مشتركة لجميع الدول والأفراد، وذلك ما نصبو إليه، وقد تحققت بوادره من خلال المبادرة الطيبة التي قامت بها دول الخليج بإنشاء مجلس التعاون الخليجي الذي أعطى لأعضائه الكثير من المنعة والقوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية، وذلك بسبب التنسيق والتوافق اللذين يشكلان معبراً حقيقياً للوحدة المستقبلية، وأمام هذه التجربة الناجحة يمكن لباقي الدول الإسلامية أن تنحى هذا المنحى من خلال تجمعات إقليمية تتضافر فيها جهود الدول المتجاورة وتتفتح معها أسواق العالم الإسلامي على بعضها بعضاً لكي تشكّل كياناً مهماً ومؤثراً يمكن له أن يتحسس بوعي وإدراك مواقع أقدامه وهو يسير نحو العولمة أو يفرُّ منها، فالتنسيق بين الدول الإسلامية على طريق الوحدة وإن كان مطلباً إسلامياً عاماً، فهو كذلك مطلباً واقعياً وضرورياً في سبيل مواجهة العولمة والقدرة على التعامل معها ■

ينقسم العرب حين يتحدثون عن المستشرقين عادة ثلاثة أقسام: قسم واضح في عداوته للمستشرقين والحط من قدرهم والإزراء بما أنتجوا من مؤلفات تتصل بتراث المسلمين، وقسم ثان فخور بهم يثني خيراً على ما أسدوه من خدمات، ويدافع عنهم بحماسة واضحة، وقسم ثالث يصطنع لنفسه الموضوعية والحياد، فهو معهم ما أحسنوا، وهو ضدهم إذا بدا له منهم ما يريبه.

ولست أشك في أن أسباب كل موقف من هذه المواقف الثلاثة أسباب انفعالية عاطفية، حتى الفريق الثالث الذي يريد أن يوحي لنا بأنه متعقل يزن الأمور بميزان العدل والحيدة، ليس في نظرنا سوى إنسان يريد أن يحاكم إنتاج الآخرين على حسب ما يراه هو صواباً أو خطأ، ثم إن هذا الفريق الثالث يمثل في رأينا نوعاً من التميع والضبابية ورمادية الرؤية وإمعية الفكر. وإنما الموقف الصحيح في رأينا أن يكون للمسلم موقف صارم حازم حاسم واضح: إما معهم وإما عليهم. أن نقبل كل ما يكتبون، أو نشك في كل ما يكتبون ونعلوه بمعاول النقد العلمي الصريح الذي لا مداراة فيه.

بقلم: د. مصطفى رجب

كارل بروكلمان ودسائسه ضد الإسلام

وممن دافعوا عن المستشرقين بحماس - وإذا أشاروا إلى تعصبهم أشاروا إشارة هينة لينة - المؤرخ الراحل الدكتور حسين مؤنس وفيما يلي نقتبس فقرة تعكس النموذج الذي يمثله موقفه من المستشرقين، يقول د. حسين مؤنس: (مجلة العربي الكويتية، العدد ٦٦، مايو ١٩٦٤م): «فمنذ زمن بعيد ونفرٌ ممن لا يقرأون الكتب الغربية في لغاتها يصرّون على أن كل ما كتبه المستشرقون عنّا تحامل وعصبية، حتى ثبت في أذهان بعض قرائهم أن كل مستشرق عدو.

وهذه فكرة خاطئة، فإن الكثيرين جداً من المستشرقين منصفون، وقد قالوا الحق كما تصوروه، حقيقة هناك ناس متحاملون من أمثال «الويس استبرنجر، وهنري لامانس، والأب زويمر»، لكن إلى جانب هؤلاء هناك علماء أجلاء لا يستطيع الإنسان إلا تقديرهم واحترامهم، وإذا وجد المسلم في كتاباتهم ما لا يرضيه، فليس من الضروري أن يكون ذلك صادراً عن سوء نية، بل هذا هو الحق كما رآه، وما دام قد صدر فيما يكتبه عن إخلاص فنحن نحترم رأيه وإن لم يرضنا».

فانظر إلى الدكتور مؤنس كيف يهوِّن من شأن مغالطاتهم ويصفها بأنها «قد لا ترضينا» ثم يستأنف إشادته بهم فيقول:

«ولا ننسى كذلك أن أولئك المستشرقين خدموا لغتنا وعلومنا خدمات جليلة، ويكفي أننا تعلَّمنا منهم تحقيق النصوص ونشرها، وطريق البحث العلمي الصحيح على أساس من النصوص، ومهما كان في آرائهم مما لا يرضينا فهي آراء لا تنقص من قيمة الخدمة التي قاموا ويقومون بها».

وإذا أمعنَّا في البحث عن رأي الدكتور مؤنس في «كارل بروكلمان» شخصياً بوصفه واحداً من أهم المستشرقين الذين لقيت أعمالهم رواجاً عظيماً بين المثقفين العرب على اختلاف مشاربهم، وجدنا له مقالاً كاملاً اختص به «كارل بروكلمان» ونشره في مجلة العربي الكويتية أيضاً (العدد ١٣٩ الصادر في يونيو ١٩٧٠م)، وقد قدَّم لهذا المقال على مدى صفحتين، موجز رؤيته التي أشرنا إليها من المستشرقين بعامة، ثم انتقل إلى الحديث عن بروكلمان وموقعه بين المستشرقين فقال:

«وفي مقدمة أولئك الأفذاذ الذين قدَّموا للدراسات العربية في العالم أجل الخدمات كارل بروكلمان، الذي أكمل سلسلة معاجم أسماء الكتب والمؤلفين العرب وتراجم حياتهم وأهم مؤلفاتهم. لقد اشترك في كتابة هذه السلسلة أعلام من أمثال ابن خلكان، وياقوت الحموي، وابن النديم، وحاجي خليفة، ثم جاء الألماني الفرد فأربى على كل ما فعله غيره، فإن أولئك الذين ذكرناهم آنفاً كتبوا عن أهم «المؤلفين والمؤلفات»، فجاء «بروكلمان» وكتب عن «كل» المؤلفين والمؤلفات، أي أنه عمد إلى الاستيفاء والشمول، وهذا هو المطلب العسير، لأنك إذا قلت إنك ستذكر «أهم» المؤلفين فتحت على نفسك باباً واسعاً للاعتذار عن النسيان وتبرير السهو، أما إذا قلت «كل المؤلفين» فقد ألزمت نفسك بالإحصاء الشامل وأقفلت على نفسك باب الاعتذار والتبرير».

وبعد أن لخص الدكتور مؤنس لقارئه حياة «بروكلمان» انتقل للحديث عن كتابه الخطير (تاريخ الآداب العربية) فأوسعه إشادة وتقريظاً وحمداً ومدحاً. ولم يبد أي ملاحظة تغمط من قدر الكتاب على رغم ما فيه من مطاعن اتضحت فيما بعد للدارسين المنصفين.

على أن حديثنا في السطور اللاحقة لن يتجه إلى كتاب بروكلمان الضخم (تاريخ الآداب العربية) وإنما سنخصصه لكتاب آخر لا يقل خطراً عن تاريخ الأدب العربي وهو كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) وهذا الكتاب شديد الخطر حقاً، لأسباب كثيرة منها ما يمثله مؤلفه من مكانة مرموقة كما أشرنا آنفاً، ومنها ضخامة حجم هذا الكتاب فطبعته العربية التي بين يديَّ الآن تقع في نحو تسعمئة صفحة وهي الطبعة الثانية عشرة بعد الطبعة الأولى التي صدرت عام ١٩٤٨م، وقد نقله إلى العربية الأستاذان نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي ونشرته دار العلم للملايين (البيروتية).

وقد أشار المترجمان في مقدمة الطبعة الأولى إلى ما يمثله الكتاب من أهمية منتهجاً نهج د. مؤنس في رفع شأن الكتاب وصاحبه، ثم قالا وهما

يهونان من شأن دسائس بروكلمان بأسلوب فيه لين واسترخاء:

«وإذا كان في الكتاب بضعة آراء (لاحظ استخدام بضعة) خاصة بالمؤلف تتنافى أحياناً (لاحظ استعمال: أحياناً) مع وجهة النظر الإسلامية، فقد عهدنا بالتعليق عليها إلى زميلنا المرحوم الدكتور عمر فروخ أستاذ الفلسفة في كلية المقاصد الإسلامية في بيروت... ولسنا في حاجة إلى القول: إن هذا لا يفيد، بالضرورة، موافقتنا المؤلف على آرائه الباقية جميعاً. لأننا لم نستهدف بالتعليق إلا تلك الآراء التي تتصل بحياة الرسول وتعاليم الإسلام».

وقد ظن المعرِّبان الفاضلان أنهما بهذا النص الهين اللين قد ضمنا براءة ساحتهما من موافقة المؤلف إذا جد الجد، ووضح أن المؤلف يدس السم في الدسم، كما أنهما أوضحا أن اهتماماتهما بأمر المراجعة التي وكلاها إلى المرحوم الدكتور عمر فروخ، قد انصب على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعاليم الإسلام.

والواقع أن في الكتاب مآخذ شديدة الخطر، لا نزعم أن الدكتور فروخ لم يلتفت إليها، ولكن بقاءها في الكتاب إلى اليوم على حالها دون تعليق، أمر يستثير حفيظة كل مسلم غيور، من الباحثين المدققين.

وفيما يلي نذكر نماذج مما نرى أنه مطاعن لا يسوغ السكوت أمامها، فقد يؤخذ بها أشباه الباحثين من الأجيال الجديدة من طلاب العلم ويتقبلونها على علاتها دون تمحيص، لا لشيء إلا لأنها صادرة عن (طوطم) كبير اسمه كارل بروكلمان والتي منها:

١ ـ التشكيك في المكانة الاجتماعية للهاشميين:

من المسلَّم به بين المؤرخين ـ عرباً وعجماً ـ أن زعامة قريش قبيل البعثة المحمدية كانت لبني هاشم بعد محاكمة شهيرة قضى فيها كاهن خزاعي لهاشم (واسمه عمرو بن العلاء) بسدانة الكعبة بعد أن نازعه إياها بني أمية ابن عبد شمس ابن أخي هاشم الذي خرج إلى بلاد الشام ثم لابنه عبدالمطلب من بعده، ولا يخفى على أحد أن تلك المهمة كانت هي مؤئل الشرف، وسر الزعامة التي انعقدت للهاشميين.

تلك حقائق لا ينكرها إلا من كان في قلبه مرض أو في نفسه غرض، فما موقف «بروكلمان» من تلك الحقيقة التاريخية؟

إنه يقول في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) ص٣٤: «وليس يبدو أن عشيرة هاشم، قد لعبت دوراً على شيء من الامتياز في مكة»، وهل هناك امتياز في عرف العرب ـ أيها المستشرق المنصف!! ـ أكبر من سدانة الكعبة».

وقد قال بروكلمان كلمته تلك في سياق فقرة طويلة شكك فيها في كل شيء: فقد شكك في تاريخ ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم حيث رجح تأخيره عما هو معروف لدى المؤرخين من أن مولده الشريف كان نحو عام ٥٧٠ من ميلاد المسيح عليه السلام، متبعاً في ذلك سنن «الأب هنري لامنس» المعروف بتعصبه، وقد ردَّ العلاَّمة المرحوم عمر فروخ في تعليقه على هذه النقطة فقال:

«كانت ولادة محمد رسول الله عام ٥٧٠ ـ ٥٧١ للميلاد على وجه التقريب، ولكن لم تكن بعد ذلك بزمن طويل، و«الأب هنري لامنس اليسوعي» قد حاول أن يؤخر ذلك عشر سنوات حتى ينقض القول الشرعي الذي يقول: إن محمداً بعث على رأس الأربعين من عمره، ويخرج إلى القول إنه ما دام الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين، ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين، فمحمد ليس نبياً، و«لامنس» غير ثقة في البحوث الإسلامية، لأن غايته الدسّ لا البحث عن الحقيقة، ويلام «بروكلمان» على الأخذ برأي «لامنس»، فـ«لامنس» معروف في أوروبا بهذه النزعة».

كما شكك في الحال المالية لعبدالله بن عبدالمطلب وفي حال أسرته بوجه عام دون أن يسوق على ذلك دليلاً واحداً، وفيما يلي نص فقرته:

«لسنا نعلم على اليقين السنة التي ولد فيها النبي. والمشهور أن ولادته كانت نحو ٥٧٠م، ولكن الذي لا شك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشيء، وليس يبدو أن عشيرته ـ هاشم ـ قد لعبت دوراً على شيء من الامتياز في مكة، والواقع أن الروايات الإسلامية قد سعت إلى أن تحيط النبي بهالة من التمجيد منذ اللحظة الأولى، ولكن هذا لا ينفي حقيقة مقررة، وهي أن أسرته كانت تعاني في الحقبة التي وُلد فيها ظروفاً قاسية جداً، والمعتقد أن والده، عبدالله بن عبدالمطلب، كان تاجراً صغيراً».

بروكلمان شكك في تاريخ ميلاد النبي ورجح تأخيره عما هو معروف لدى المؤرخين

٢ ـ التشكيك في مكانة المرأة في الإسلام.

من المسلَّم به بين المؤرخين أن العرب في جاهليتهم كانوا يرثون المرأة ضمن ما يرثونه عن آبائهم، بمعنى أن المرأة كانت متاعاً كالدواب، تُملك وتورث، بل كان بعضهم ينكح ما نكح آباؤهم من النساء، فلما جاء الإسلام نالت المرأة من الحرية ما لم تنله من قبل، ونالت حريتها الاقتصادية، بنوع خاص، على نحو لم يكن معهوداً، وكفل القرآن لهن تلك الحرية بنص قاطع، حيث يقول جل شأنه: (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن...) النساء:٣٢، ومثل هذه الآية آيات كثيرة حفظت للمرأة حقوقها بعامة، وحقوقها المالية بخاصة، ولكن هذا كله لم يقنع المستشرق (المنصف!!) كارل بروكلمان فيقول:

«وعندما شبَّ محمد عمل في تجارة خديجة، وهي ثيِّب غنية، كانت تستقل بتجارة ورثتها من زوجيها السابقين. ذلك بأن نساء العرب في الجاهلية، والمستقلات منهن اقتصادياً بصورة خاصة، كن يتمتعن بحرية أوسع بكثير من التي تمتع بها النساء في العهود التوالي».

٣ ـ الفجور في الاستنتاج.

ومن مجازفات «بروكلمان» القبيحة، واستنتاجاته الفاجرة، عند حديثه عن الهجرة إلى الحبشة مقولة: إن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يعتبر أن دينه لا يختلف اختلافاً كبيراً عن النصرانية!! فيقول:

«من أجل هذا عزم النبي على أن يقي بعض أتباعه، على الأقل، من أذى مضطهديهم، بوساطة الهجرة، وإذ كان لا يعتبر في ذلك الوقت، أن

دينه يختلف اختلافاً كبيراً عن النصرانية، فقد وجه أتباعه إلى أراضي النجاشي، أقرب ممثل سياسي للنصرانية يمكن أن يحتمي به».

ولا ندري من أين جاء «بروكلمان» بهذا الاعتقاد، ومن المعروف أن الهجرة الأولى للحبشة حدثت في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة، وكان القرآن المكي قد بدأ يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسورة الإخلاص التي هي أم التوحيد والتي تنفي عن الخالق جل وعلا أن يلد أو يولد كانت السورة الحادية والعشرين مما نزل بمكة وهي سورة فاصلة بين الإسلام والنصرانية.

٤ ـ سوء التعبير وسوء النية.

ومن بذاءات بروكلمان في حق النبي صلى الله عليه وسلم مواضع كثيرة لم يهتم الدكتور فروخ بتعقيبه عليها ـ ربما لكثرتها ـ ومن أمثلتها:

أ ـ قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن فتح مكة:

«وعندما بلغ محمد الكعبة طاف بها سبعاً على راحلته، لامساً الحجر الأسود بعصاة في كل مرة، وبذلك ضم هذا الطقس الوثني إلى دينه» والذي يعرفه المؤرخون ورواه السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين طاف بالكعبة عام الفتح على ناقته، ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها، كان حول الكعبة ثلاثمئة وستون صنماً مرصوصة بالرصاص، فكان صلى الله عليه وسلم كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فيقع الصنم على وجهه.

فجعل «بروكلمان» هذه الإشارة بالقضيب إلى الحجر الأسود طقساً وثنياً، أضافه محمد إلى دينه!!.

٤ ـ ب ـ اتهامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل بعض خصومه يوم فتح مكة، ثم قال: إن ممن قتلهم الرسول مغنيتين كانتا «أنشدتا بعض الأغاني في السخرية به».

والمعروف في كتب التاريخ والسيرة أن تينك المغنيتين هما: «قريبة» و «فرتنا» جاريتي ابن خطل ـ الذي ارتد عن الإسلام وهجا النبي بشعره ـ وكانتا تغنيان أشعاراً فيها هجاء للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمهما قتلت قريبة وهربت فرتنا، ثم عفا الرسول صلى الله عليه وسلم عنها وعاشت إلى عهد عثمان بن عفان.

اتهام الدين الإسلامي بالوثنية رجم بالغيب وسوء أدب ليس له أساس

٤ ـ ج ـ ومرة أخرى، يرجع «بروكلمان» إلى اتهام الدين بالوثنية فيقول (ص٦٥): «فبعد فتح مكة تحمّل النبي صابراً ـ أول الأمر ـ الاحتفال بموسم الحج على الطريقة الوثنية القديمة»، وهذا القول رجم بالغيب وسوء أدب ليس له أساس من عقل أو تاريخ أو اجتهاد.

٥ ـ تزوير التاريخ. وفي حديثه عن غزوة تبوك، يتعمد «بروكلمان» تزوير التاريخ فيقول في سفه ظاهر: «ولم يقدر لمحمد نفسه أن يخوض غمرات القتال من جديد إلا مرة واحدة، وذلك بأن الهزيمة التي أنزلها البيزنطيون بجيوشه، في مؤتة، ظلت على كل حال بلا ثأر، ومن هنا أمر أصحابه، في أشد أيام الصيف قيظاً من سنة ٦٣٠م، بأن يحملوا على البيزنطيين، ولسنا نعرف على اليقين ما الذي دعاه إلى انتهاج هذه السبيل في ذلك الوقت بالذات، فقد يكون قصد إلى أن يشغل أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون في حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين، ولعله كان يرجو إخضاع ما بقي من نصارى العرب، الذين كانت بيزنطة من ورائهم، تمدهم وتساندهم، ثم إنه خرج بجيش عظيم يبلغ عدد رجاله ثلاثين ألفاً ووجهته الشمال، حتى إذا بلغ تبوك، وهي واحة تزهو بما ينبت فيها من حنطة ونخيل، قرب الحدود البيزنطية، توقف بعد أن نال منه الجهد، واستشعر وطأة السن العالية، ولعله اقتنع بأن خططه للهجوم على الروم أمست غير ذات عناء. وهناك جاءه صاحب «أيلة» (العقبة اليوم) عند الطرف الشمالي الشرقي، من جانب البحر الأحمر الأيمن، وكان نصرانياً، فأقسم له يمين الطاعة، فمنح الرسول نصارى تلك المنطقة حرية العبادة أيضاً مقابل تعهدهم بأداء الجزية».

وفي النص السابق مغالطات عدة سخيفة منها:

أ ـ خاض رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه غمرات القتال مرات عدة، وليس مرة واحدة.

ب ـ وقوله: «ولسنا نعرف على وجه اليقين ما الذي دعاه إلى انتهاج هذه السبيل ـ يعني بذلك مسيرته إلى تبوك ـ فلا يخفى عليه، وهو المتخصص في تاريخ العرب، أن أنباء كثيرة وصلت إلى المدينة بأن البيزنطيين يحشدون الحشود لغزو المسلمين في المدينة، فكان لابد من الخروج لمقابلتهم على حدود الجزيرة الشمالية، وهو ما أجمع عليه مؤرخو السيرة، فكيف جهله «بروكلمان»؟ أم تراه تجاهله عمداً ليُظهر البيزنطيين كما لو كانوا ضحايا لغزو خارجي؟

ج ـ وقوله: «أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون في حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين» فيه مغالطة تاريخية كبيرة، فبعد أن اجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم بالأنصار فخطب فيهم خطبته الشهيرة التي ورد فيها رضاهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بدلاً من الغنائم، ارتاحت نفوسهم واقتنعوا بما قسم الله لهم من الغنائم، حتى لقد بكوا وتأثروا وكادوا ينزلون عمّا نالوه إرضاء للرسول صلى الله عليه وسلم.

د ـ وقوله: «توقف بعد أن نال منه الجهد واستشعر وطأة السن العالية» هذه العبارة وما بعدها فيها إساءة بالغة متعمدة، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يتوقف لما ناله من مشقة ولا لكبر السن، وإنما توقف لأن أخباره كانت قد وصلت إلى الروم قبل أن تصل جيوشه إلى تبوك كما بلغت الروم أخبار انتصاراته في معظم معاركه في جزيرة العرب. فأدركوا الخطر وآثروا الانسحاب من مواقفهم واعتصموا بحصونهم. فتوقف الجيش عن مسيرته وأقاموا في تبوك وبدأت قبائل النصارى تأتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد معاهدات السلام أو الجزية.

كل ما سبق كما قلنا في المقدمة، مجرد نماذج لما في هذا الكتاب الخطير من مزالق تحتاج إلى جهود مكثفة من علماء المسلمين لتجليتها بالحق، هذا من جهة، وتحتاج من دار النشر التي نشرت اثنتي عشرة طبعة من هذا الكتاب من سنة ١٩٤٨م إلى اليوم إلى أن تنشر طبعة محققة معلقاً عليها تعليقات وافية كافية شافية. هذا وبالله التوفيق ■

المراجع

١ ـ د.حسين مؤنس، مقال بمجلة العربي الكويتية، العدد ٦٦، مايو ١٩٦٤م.

٢ ـ د.حسين مؤنس، مجلة العربي الكويتية العدد ١٣٩ الصادر في يونيو ١٩٧٠م.

٣ ـ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط١٢، بيروت: دار العلم للملايين.

٤ ـ د.مصطفى رجب، فيض المنان في علوم القرآن، ط١، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠م.

٥ ـ هاشم معروف الحسني، سيرة المصطفى، بيروت: دار المعارف للمطبوعات، ١٩٩٦م.

المستغربون وافتتانهم بالمدنية الغربية

أحمد حسن القضاة
شاعر وكاتب إسلامي - الأردن

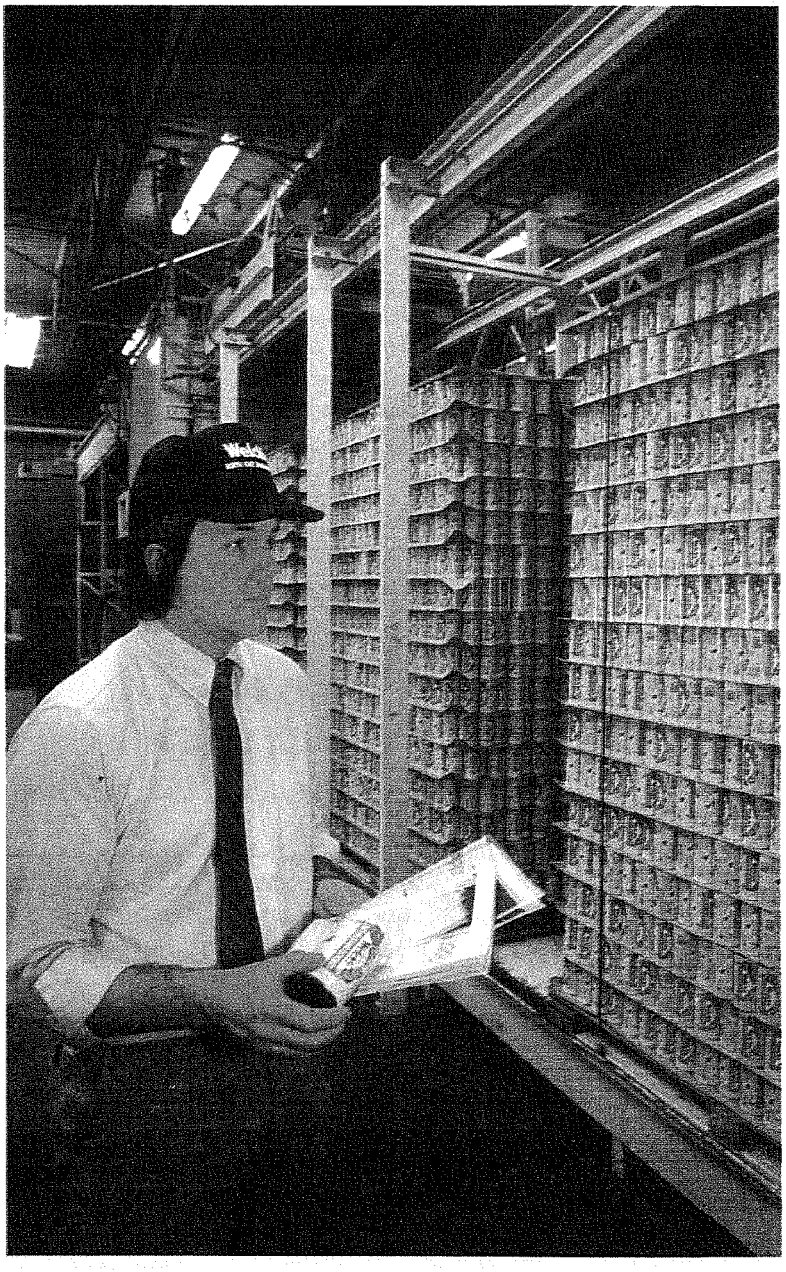

إن من أقسى ما يؤلم الإنسان المسلم العاقل، ويحيِّر الحليم في هذا الزمان أولئك المستغربون من بني جلدتنا الذين تتلمذوا على أساتذة غربيين، أو الذين عشقوا المدنية الغربية المادية(١) بعد إذ بهرتهم بزخرفها، وإن لم يكونوا من خريجي الجامعات والمعاهد الغربية، وتبجُّح هؤلاء وأولئك بما وصلت إليه تلك المدنية من سرعة في التقدم العلمي وتشدُّقهم بألفاظ رنانة مثل: الحضارة الغربية، والتكنولوجيا الغربية، والتقدم العلمي الغربي، والديموقراطية الغربية، وتخلُّف العرب والمسلمين ورجعيتهم وفقرهم... إلخ. فكأنهم - بهذا - يمتهنون قومهم ودينهم، ويحتقرون بني جلدتهم وكلَّ ما يمتُّ إلى الشرق العربي الإسلامي بصلة!.

لا أحد ينكر زخرف المدنية الغربية وبريق التكنولوجيا الغربية وسرعة التقدم العلمي التجريبي في الغرب الصليبي والشرق الملحد، بل نحن نعيش حياتنا اليومية بجزء من مدنيتهم ونستخدم وسائل متقدمة في شتى مناحي الحياة نتيجة ابتكاراتهم وعلومهم... ولكن... ليس معنى هذا أن نتنكر لأصالتنا، أو نتجرد من مبادئنا وقيمنا وحضارتنا التي سبقت حضارتهم وعاش العالم تحت ظلالها ردحاً طويلاً من الزمان!.

وثمة شيء آخر، ينظر المستغربون لإيجابيات المدنية الغربية فقط، ويتناسون الجوانب السلبية فيها - وما أكثرها - كالقلق النفسي لأفرادها، وفقدان الأمن والاستقرار الفردي والجماعي، وخلوّ نفوس أبنائها من «الروحانية» أو الإيمان الديني.

فعندما رفرفت راية الحضارة الإسلامية

على الدنيا حقبة طويلة من الزمان كانت أوروبا ودول العالم الأخرى إذ ذاك غارقة في سبات الجهل والظلم والوحشية والاستبداد، تحكمها شريعة الغاب، فالقويُّ يأكل حقوق الضعيف، والباطل يسرح ويمرح في مجتمعاتهم، والعدل مفقود، وليس هنالك من صفة «مدنية» أو «حضارية» تسود بلادهم، بل كانت صفة «البداوة» والهمجية والغزو والنهب والسلب هي السائدة والمسيطرة!.

وعندما كان المواطن يعيش في ظل الحضارة الإسلامية، فقد كان يتمتع بجميع حقوق «المواطنية» والأخوّة والإنسانية، يتساوى في ذلك جميع المواطنين، ويوفِّر لهم الأمن والغذاء والمأوى والكساء وعدة الجهاد... فضلاً عن الحقوق «الاعتبارية» وكرامة المواطن!، وقد شمل العدل الإسلامي بحضنه المواطنين جميعاً مسلمين وذميين.

فأين هذا من التمييز العرقي والديني الذي يغلِّف الحضارة الغربية اليوم؟ وأين هذا من الحقوق التي سُلبت من الناس في ظل المدنية الغربية وأشباهها على مرِّ التاريخ؟

انظر اليوم إلى المجتمعات الغربية... فلا المواطن آمناً على نفسه أو ماله أو عرضه أو ممتلكاته، ولا يتوافر له الغذاء، والمأوى إلا بشقّ النفس ومصارعة الأيام إلى درجة قد كثُر فيها العاطلون عن العمل... وينام المواطن عندهم وقد وضع سلاحه تحت وسادته أو فراشه خوفاً من سطوة اللصوص والإرهابيين على بيته لسرقة ماله أو لقتله أو الفتك بعرضه!.

ويتنكر المستغربون لحضارة أجدادهم ولعروبتهم وإسلامهم ويتجاهلون الدور الكبير الذي لعبته تلك الحضارة الإسلامية، وما قدمته للإنسانية عامة في شتى العلوم والمعارف والفلسفة والتاريخ والطب والفلك والفقه وعلوم اللغة، بل هل قامت مدنية الغرب الحاضرة إلا على قواعد وأسس الحضارة الإسلامية الغابرة؟ ألم يتعلم الغربيون فنون العلم في جامعات الأندلس الإسلامية، ثمَّ قاموا بترجمة كتب العلماء المسلمين إلى لغاتهم اللاتينية فأصبحت الركيزة والمنطلق

ينظر المستغربون لإيجابيات المدنية الغربية ويتناسون الجوانب السلبية فيها

لبناء حضارتهم فيما بعد؟

والأهم من هذا وذاك أن الحضارة الإسلامية كانت فريدة من نوعها، إذ كانت قاعدتها مبنيَّة على التوحيد لرب العالمين، وعلى إخلاص النيّة في القول والعمل، وعلى شعور أفرادها بمسؤولياتهم أمام الله تعالى في كل تصرفاتهم وسلوكهم وأعمالهم، وعلى حُبهم بعضهم بعضاً.. فكانت حضارة بمعنى كلمة حضارة، تزيّنها تقوى الله ومحبةُ الناس لبني جنسهم وللإنسانية جميعاً، والعدلُ الذي هو أساس بقاء الدول والحضارات، كانت حضارة روحانية مادية بآن واحد، يعمل أفرادها لدنياهم كأنهم يعشونَ أبداً، ويعملون لآخرتهم كأنهم يموتون غداً!.

فأين تلك الحضارة الإسلامية الرائعة من هذه الحضارة الغربية المائعة؟! انظر - أيضاً - إلى المواطن في الحضارة الغربية اليوم، وقد أصبح كالآلة التي يعمل عليها، خالياً من المشاعر الإنسانية، ومن الروحانية ومن الاهتمامات العالية والطموحات الراقية،

يتنكر المستغربون لحضارة أجدادهم ويتجاهلون ما قدمته تلك الحضارة للإنسانية جمعاء

وأصبح هدفه الوحيد جمع المال، والجري وراء الدولار، وأصبح هذا المواطن قلقاً على مستقبله، عازفاً عن الزواج «وقد أبيح له الزنى والولوغ في الفاحشة»، ويلجأ إلى الانتحار علاجاً لقلقه، أو يتعاطى المخدرات والمسكّنات، ولا يلجأ إلى الله لأنه لا يعرف الله إلا من خلال طقوس دينية خالية من التوحيد والإيمان، يمارسها طائفة من القُسس والرهبان والمتدينين في الأديرة والكنائس.

إن أمثال هذه الحضارة يجب ألا تبهرنا وإن وصلت في تقدمها العلمي التجريبي إلى درجة عالية، وإن اجتازت الفضاء واكتشفت الكواكب ووصلت إلى أعماق البحار!، لأنها حضارة «هشَّة» سرعان ما يأتيها أمر ربنا فيذرها قاعاً صفصفاً، وعندئذ لا ينفعها تقدمها أو علمها لأنه لا يساوي عند الله فتيلاً... والتاريخ خير شاهد على ما نقول، إذ كم من حضارات غابرة في جوف التاريخ سادت ثم بادت، كحضارة الفراعنة والفرس واليونان والرومان؟ لقد لفظها التاريخ لأنها لم تعرف طريق الله عز وجل، وتنكرت للرسل والأنبياء والمصلحين وقتلت بعضهم.

فإلى المستغربين من بني قومنا أدعوهم إلى العودة إلى دينهم وتراثهم، وإلى دراسة تاريخ أمتهم كي يقفوا على أسباب انهيار حضارتها... كما أدعوهم إلى أخذ الجانب الإيجابي «فقط» من الحضارة الغربية الراهنة، وأن يشمِّروا عن سواعد الجد - بدلاً من التغني بالحضارة الغربية - وذلك كي نلحق بركب الدول القوية المتقدمة، ونعيد حضارة أمتنا الماجدة ونبني فوقها... تحت مظلة التوكل على الله تعالى وإخلاص النية في العمل والتعاون والبناء.

والله الموفق سبحانه ■

الهوامش

١ - نقصد بالمدنية الغربية كل مدنية غير إسلامية، سواء أكانت أميركية أم أوروبية أم شيوعية.

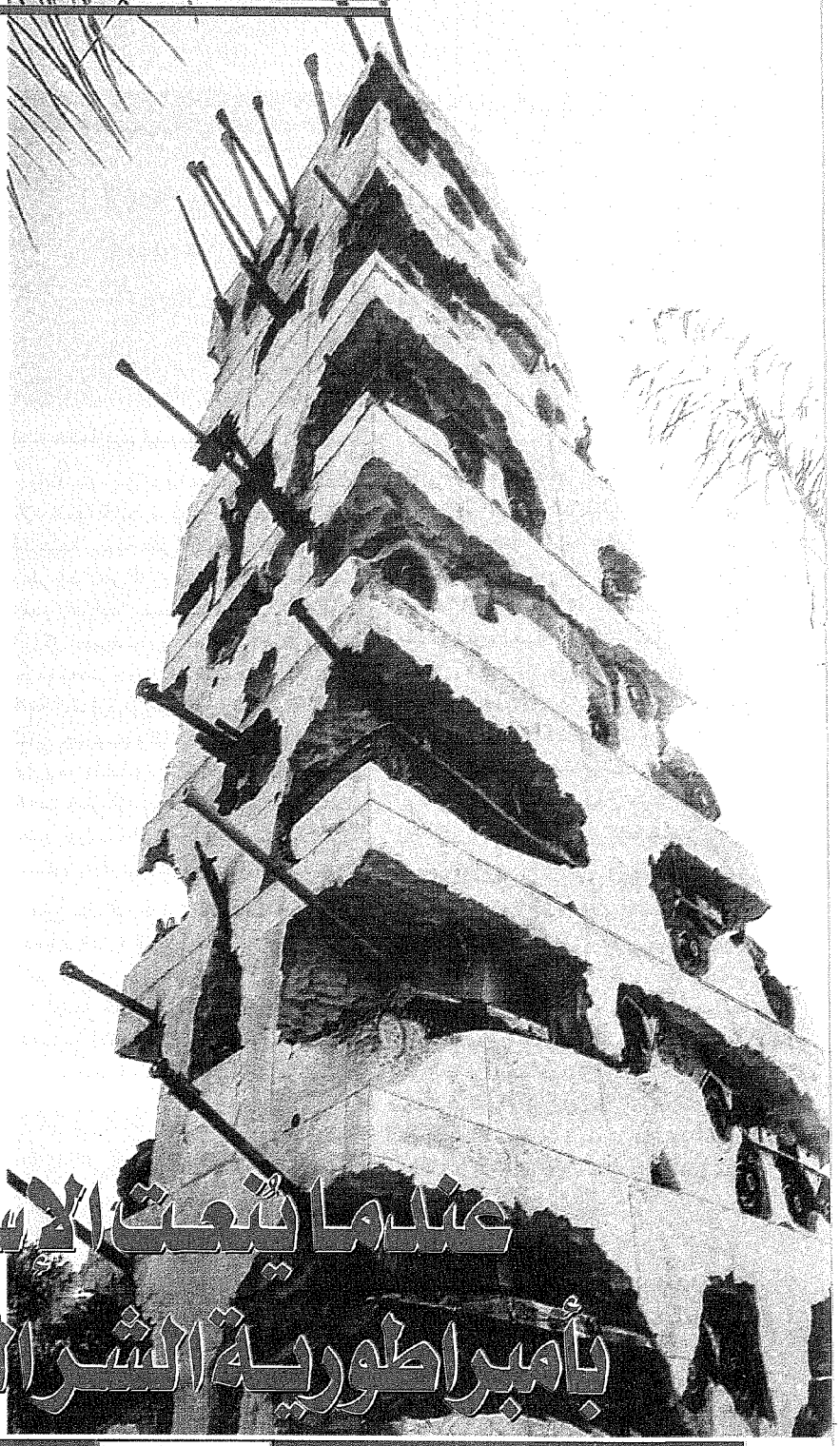

عندما ينعت الإسلام بأمبراطورية الشر الجديدة

بقلم: د. حسن عزوزي
كلية الشريعة - فاس

«أمبراطورية الشر الجديدة»، هو النعت الذي كان قد أطلقه الرئيس الأميركي السابق رونالد ريغان على الاتحاد السوفييتي البائد أيام الحرب الباردة، وهذا النعت تلقفته بعض وسائل الإعلام الغربية تلوكه وتمضغه لتصف به الإسلام على اعتبار أنه حل محل الشيوعية التي كانت في يوم من الأيام منبع الشر المستطير ومصدر التهديد والتخويف للحضارة الغربية.

جريدة لوموند الفرنسية كثيراً ما يحلو لها وصف الأصولية الإسلامية بهذا النعت، مُذكية في نفوس القراء نوعاً من التوجس والارتياب تجاه الإسلام والحركة الإسلامية، لذلك فإن هذه الحال المَرَضية «أي الخوف والتخويف من الإسلام» التي تُسَوَّد بها صفحات وشاشات أجهزة الإعلام الغربية تدفع حتماً إلى حال من الرّعب من الإسلام غير مبررة وغير واقعية على الإطلاق، بيد أن إطلاق لفظة «الشرير» على الإسلام له ما يسوغه في ذاكرة اللاوعي الغربي، فهو نعت كان له رواج إبان القرون الوسطى ضمن الأحكام الجاهزة التي كان يسقطها رجال الدين النصارى في الكنيسة الغربية على الإسلام.(١)، ولا ننسى أن هذا الدين الجديد الذي كانت رقعته الجغرافية وقتئذ واسعة وطموحه العالمي متوقّداً، وحيويته الروحية متدفّقة، كان ينظر إليه بعيون حاقدة ونفوس متوجسة وكأنه - حسب ما جاء في الكتابات القروسطية - دين شيطاني رجيم سماته

التجديف والغموض والعنف والرغبة في تقتيل النصارى.

لقد عرض «نورمان دانييل» في كتابه الشهير «الإسلام والغرب»(٢) نماذج من الإسقاطات السلبية الموغلة في الازدراء والإقصاء التي كان الغرب النصراني إبان القرون الوسطى يقدح بها الإسلام والمسلمين، وهي في مجملها تنصبّ حول اتهام الإسلام وقذف الإسلام بكونه مصدر الشر والرعب.

ولنعطِ مثالاً على ذلك بما سبق أن كتبه «دانتي» في «الكوميديا الإلهية»، حيث رسم «دانتي» صورة لنبي الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ تجسد تركيباً سلالياً متصلباً من الشرور مع من يسميهم «ناشري الفضيحة والفتنة»، وقد صنف «دانتي» رموز الإسلام ضمن تصنيفات تنبني على أساسي الخير والشر، وهو في كل ذلك قد تصرّف وغالى، وتوهّم وأبدى تصورات في منتهى الخيالية والشذوذ، وبصفة عامة، فقد كانت صورة الإسلام المتكونة في تلك العصور المظلمة عبارة عن قوالب نمطية ذهنية، فالإسلام بدعة نصرانية مرتدة ومنشقة انحازت إلى جانب الشر في الوقت الذي انتصبت فيه النصرانية جانب الخير. وانسجاماً مع هذا الموقف المعادي، فقد رُسِم الإسلام على هيئة نموذج قبيح وشرير يتناقض كلية مع النصرانية بوصفها ديانة الحق والخير.

لقد آثرت الرجوع إلى وعي النصرانية الغربية «الشعوري واللاشعوري» إبان القرون الوسطى، لكي تتبين لنا صورة النظرة الغربية المعاصرة، وهي وإن كانت أكثر تهذيباً وأقل قدحاً إلا أنها نظرة تتغذى من واقع الذاكرة القديمة ذاكرة الاحتكاك والعداء والصدام. يقول «إليكسي جوارفسكي» في كتاب أصدره قبل أربع سنوات: «يمكن القول: إن التصورات الغربية المعاصرة حول دين المسلمين لم تتكون وترتسم في صفحة بيضاء خالية وإنما انعكست في مرآة قديمة مشوهة، إذ إن سكان أوروبا المعاصرين

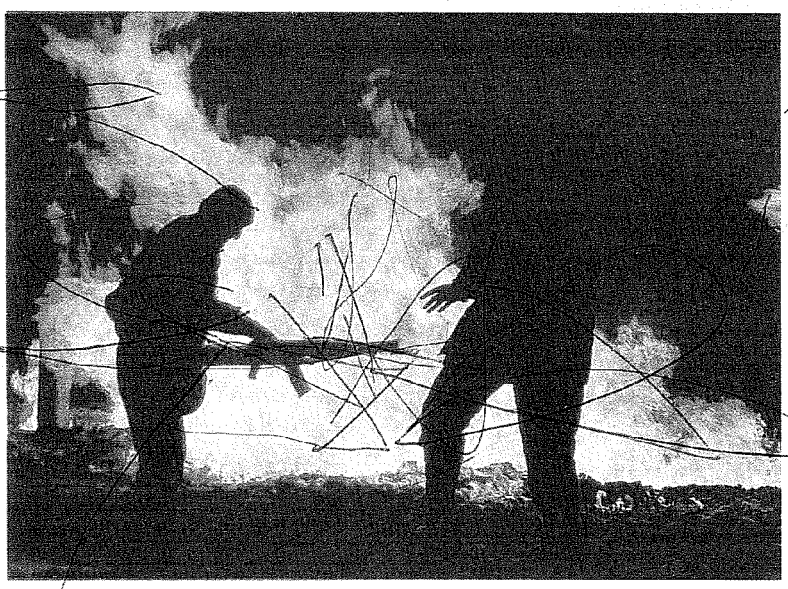

ورثوا عن أسلافهم من القرون الوسطى مجموعة عريضة وراسخة من الأفكار حول الإسلام التي كانت مظاهرها الخارجية تتغير تبعاً لتغيُّر الظروف في أوروبا ذاتها وتبعاً لطبيعة علاقاتها ومواقفها المستجدة نسبياً مع البلدان الإسلامية وثقافاتها الحديثة».(٣)

من جهة أخرى، يمكن القول إن الغرب الحديث لم يعُد يجادل الإسلام بوعيه الديني لكنه بقي عاجزاً عن تجاوز كيانه اللاشعوري تجاه الإسلام، وبقي الغرب بذلك مجسّداً للاتجاه المعادي للإسلام واصفاً إياه بأنه دين العنف ومنبع التعصب والشر.

غير أنه عندما نتحدث عن اتهام الغرب للإسلام في عصرنا الراهن كونه منبع الشرور فإننا لا نرمي بذلك إلى التعميم والإغراق في التشاؤم، فهنالك أصوات غربية

العالم العربي والإسلامي الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الإعلام «شيطنة العدو»

ومؤسسات ثقافية غير إسلامية تُكن للإسلام كامل الاحترام والتقدير على أساس كونه ديناً حضارياً مُسالماً، لكن المنابر الإعلامية بمختلف شبكاتها وروافدها هي التي لا تفتأ تثير من جديد الأوهام والتصورات الخيالية الغربية القديمة، وهي تهدف من وراء ذلك الإثارة ولفت الانتباه واجتذاب القرّاء والمشاهدين، كما أن هناك بعض التيارات السياسية الشيوعية القائمة على مبادئ وقواعد مخالفة ومناهضة تماماً، وهذا الأمر الذي كان بالإمكان تلمُّسه أيام الحرب الباردة قد انتقل هذه الأيام إلى ساحة الإسلام، حيث يمكن أن نلحظ في كثير من البلدان الغربية تحامُل بعض الأحزاب السياسية اليمينية العنصرية ضد الإسلام والمسلمين على اعتبارهما مصدر خطورة على البلد المضيف، وقد تكون تلك الأحزاب قائمة على أساس ديني كاثوليكي على وجه الخصوص، وقد تكون قومية متطرّفة لأنها لا تنبني على قاعدة الإيمان بالله الخالق. ومع تهافت النظام الشيوعي ظهر الإسلام أمام تلك الأحزاب الدينية كدين كاسح ذي نفوذ وتأثير بالغين على أتباع النصرانية، وبذلك أضحى منبعاً آخر للمخاوف والشرور. أما الأحزاب القومية المتطرفة التي لا يكاد يخلو

منها بلد في أوروبا وأميركا فهي تقف عاجزة أمام قوة الحضور الإسلامي ببلدانها وتزايد النزوح والهجرة المكثّفة من بلدان الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وإزاء هذا الواقع لا تجد تلك الأحزاب بُداً من قدح وشتم ديانة أولئك النازحين المهاجرين لكل النعوت والأوصاف البذيئة.

لنقدم مثالاً على ذلك بآخر ما طالعناه في هذا الشأن(٤)، فقد عقد مجلس العلاقات الإسلامية - الأميركية «كير» بالتعاون مع مؤسسات عربية وإسلامية عدة في مستهل شهر يوليو ١٩٩٩م - مؤتمراً صحافياً أمام مبنى الحزب الجمهوري في واشنطن للإعراب عن استنكارهم لتصريحات خبير السياسة الخارجية في الحزب الجمهوري «جيمس جورس جاترس» الذي تهجَّم على الإسلام والمسلمين بقوله: «إن الإسلام عبارة عن نتوء شاذ، وهو ليس من المعتقدات، (لا القديمة ولا الجديدة)، بل هو من ظلمات البيئة العربية».

ويضيف قائلاً: «إن الإسلام وُلد من خلال العنف والحروب والإرهاب»، ولم تخلُ تصريحات الرجل من ربط بين الشيوعية «أمبراطورية الشر القديمة» والإسلام «أمبراطورية الشر الجديدة»، حيث قال: «سأترك الأمر للخبراء ليحدِّدوا أيهما حقَّق نتائج أكبر كآلة قتل للنصارى: الإسلام أو «الشيوعية»، وإمعاناً منه في إشعال فتيل الخوف والرعب في نفوس الأمريكيين أنذر «جاترس» بضرورة المجابهة قائلاً: «في ضوء نمو حجم المهاجرين المسلمين سوف يكتشف المسيحيون الغربيون ضرورة المواجهة لأنها ببساطة مسألة بقاء فعلي».

إن مثل هذه التصريحات الشنيعة والمعادية للإسلام تعبِّر بوضوح وجلاء عن مبلغ الحقد والكراهية اللذين لا يتورع عن إظهارهما مسؤولون غربيون يتسلَّمون مناصب عليا وحسَّاسة، إن أمثال «جاترس» بصفته خبيراً في السياسة الخارجية في الحزب الجمهوري الأميركي يعتبر من صُنّاع القرار في سياسة أميركا الخارجية، وبالتالي فإن له دوراً سلبياً في تحديد طبيعة العلاقات الأميركية مع البلدان الإسلامية.

وينبغي ألا يغرب عن البال أن مثل هؤلاء يبحثون ويدرسون ويقومون بتحليل الظواهر

الإعلام الغربي لا يملّ الحديث عن الإسلام كمصدر للعنف والإرهاب

التي يخلقها الإسلام المعاصر بصورة تستجيب لما يبدو أن المصالح والأهداف الاستراتيجية للغرب، تفرضها وتحتاج إليها، والمثير للانتباه أن مجال بحث هؤلاء الخبراء محدود بمجالات معينة تشكل نقاط التحدي للغرب، وبذلك تبقى لهم القوة لاستنتاج ما يحلو لهم من استنتاجات وافتراضات ونتائج تشكل «وعياً» خاصاً بالإسلام ويتم فرضه وتمريره كي يتقبَّله الجمهور، وأما ما عدا ذلك من صور الإسلام الرائعة التي يتمثلها أغلبية المسلمين في مختلف أرجاء العالم، وهي الصور التي تجسد مبادئ السلم والحوار والتفاهم والتعاون والتعايش فإنه لا يكاد يُلتفت إليها، والسبب في ذلك هو أن ما يقع خارج التعريف الغربي لما هو «مهم» في الإسلام يجب بحثه وتحليله وتفسيره يعتبر غير ذي صلة بمصالح الغرب وأهدافه الاستراتيجية.

من جهة أخرى، يلاحظ أن الإعلام الغربي لا يملّ الحديث عن الإسلام كمصدر للعنف والإرهاب، وهو بذلك يتعمد تكريس مزاوجة تلقائية تقرن الإسلام بالإرهاب كلما تعلّق الأمر بالحديث عن هذه الظاهرة، وهذا ما جعل «برنارد لويس» أحد أبرز منظِّري فكرة «الإسلام العنيف»، يقول دون مواربة: «من المناسب أن نستخدم الإسلام كمصطلح للتحديد والتصنيف عندما نناقش موضوع الإرهاب اليوم». إنه بتكريس مثل هذه الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين أصبحت هناك قولبة إعلامية يتم من خلالها توصيف الإسلام في إطار قوالب نمطية موغلة في الازدراء والتشويه تهدف بشكل تبسيطي وتعميمي إلى وصف الإسلام انطلاقاً من أحداث ووقائع معزولة يرتكبها ويقوم بها بعض الذين ينتسبون إلى الإسلام.

ولا يخفى أن القولبة الإعلامية قد عملت منذ عقدين من الزمان «ابتداء من بروز الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م» على تكوين عملية دعائية تخويفية استهدفت تعريب وأسلمة «الإرهاب الدولي»، وبذلك أضحى العالم العربي والإسلامي الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الإعلام «شيطنة العدو» أي تحويل العرب والمسلمين إلى شرٍّ مستطير وإلى مصدر رعب وتخويف للغرب.

إننا ونحن نعنون هذا المقال بعنوان «عندما يُنعت الإسلام بأمبراطورية الشر الجديدة»، نريد من وراء ذلك أن يكون معبِّراً عن مدى التوجس المخيف الذي يستشعره الغرب من قوة الإسلام الروحية ويقظة المسلمين المثيرة، مؤكدين في الوقت نفسه أن هذا النعت أمسى اليوم يلصقه بعضهم بالإسلام بعد ما كان لصيقاً بالشيوعية المنهارة لم يطلقه الغربيون جزافاً، وإنما أريد له أن يكون باعثاً على إذكاء روح التخوّف والتوجّس في نفوس الغربيين مع الإيهام بأن الإسلام قد أضحى عدواً بديلاً حلَّ محل الشيوعية البائدة تجب مقاومته والنيل منه لأنه أخطر كثيراً من غيره من التيارات والمذاهب الأيديولوجية، يقول «لورانس براون»: «كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي والخطر الياباني الأصفر والخطر البلشفي، لكنه تبيَّن لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون فإن هناك دولاً ديموقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المُدهشة».(٥) ■

الهوامش

١ - هناك أدبيات كلاسيكية مهمة عالجت الموضوع، انظر على سبيل المثال:
R.W. Southern: Western riews of islam in the Middle Age 1992.

٢ - Norman Daniel: Islam and the west, Edinbwgh 1980

٣ - إليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، سلسلة عالم المعرفة الكويتية - العدد ٢١٥ نوفمبر ١٩٩٦م.

٤ - جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية، العدد ٧٥٢٥.

٥ - عمر فروخ والخالدي: التبشير والاستعمار ص ١٨٤.

العيد الحزين

أهلَّ العيد هذا العام وفي القلب غصة وفي النفس حسرة على ما يتعرض له أهلونا في فلسطين من جور وطغيان، وما يلقاه الأقصى الجريح من تدنيس وعدوان.

د. محمد سليم العزال

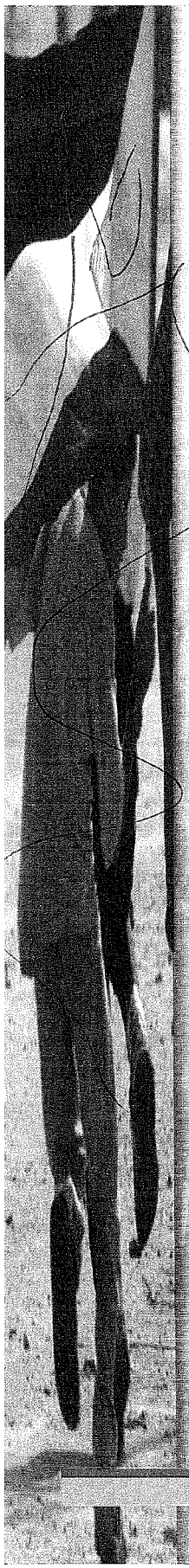

ألا كم زارني عيدٌ وعيدٌ
فأعقب وعده الزاهي وعيدُ
أراهُ مقبلاً فيرف قلبي
وتملؤني الأماني والوعودُ
وحين يحل أذكر ما تلاقي
فيقتل بالأسى الفرحُ الوليدُ
أتيتَ وقلب أمتنا كليمٌ
فعذراً أيها العيدُ السعيدُ
فقد نكأتْ جراحُ القدس تدمى
وفوق الجرح عربدت اليهودُ
أتيتَ ولم تزل سود الليالي
على الأقصى تعاقبُ وهي سودُ
وقبلك زارنا خمسون عيداً
ومازال الرقود همُ الرقودُ
ومازال الملوكُ بنا ملوكاً
ومازال العبيدُ هم العبيدُ
أرى الأعيادُ ملّتنا ازدياداً
وما فينا إذا كرَّت جديدُ
فتأتي كلَّ عام ثم تمضي
ونحن من المهانة نستزيدُ
فنملؤها إذا أتت اكتئاباً
وتذبلُ عندنا منها الوروُد
طوت أعلامَها حزناً علينا
وصوَّح زهرها وبكى النشيدُ
فأمر العود لو أضحى إليها
شككتُ بأنها يوماً تعودُ

***

ألا يا عيدُ عذراً لستُ أدري
أوصْلٌ في فؤادي أم صدودُ
بك الأفراحُ تدعوه ويأبى
له أطيافها حزنٌ شديدُ
فمن لي بالسرور وذي دمائي
بأرضِ القدسِ يشربها الصَّعيدُ
فيذهبُ بعضُ نفسي كلَّ يومٍ
إذا روَّى الترابُ بها شهيدُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وأهلي
إذا عدُّوا قتيلٌ أو طريدُ
وقومي فوق ذلهم نيامٌ
ولا يُبدي النؤومِ ولا يعيدُ
إذا حشد العدوُّ لهم جيوشاً
تقوم من الكلام لهم حشودُ
فهل لي عن قريب يوم ثأرٍ
فما لي قبل أن ألقاه عيدُ
وعيدي يوم تخفق فوق مسرى
رسول الله بالنصر البنودُ

الخلفية النظرية لمادة القرآن الكريم

بقلم: أحمد بن أحمد شرشال
كلية الشريعة . جامعة الكويت

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وصوَّره في أحسن صورة، وجعله من جسد وروح.

وإن الجسد أصله من التراب، لذا كان غذاؤه كله يعود إلى التراب، وأنه إذا مات عاد إلى التراب، وإن الروح من الله وحده، فسوَّاه ونفخ فيه من روحه، وغذاء هذه الروح كله من وحي الله، وهو القرآن الكريم، فإذا أهمل الإنسانُ غذاءَ الروح، أو غذَّاها بالغذاء البشري اعتلت وتردَّت وهلكت.

فالله سبحانه وتعالى هيَّأ الغذاء النافع لكل من هذين العنصرين، فجعل غذاء هذا الجسد من التراب، وجعل غذاء الروح الوحي، فنزل به الروحُ الأمين (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) الشورى:٥٢، فالقرآن الكريم وحي من الله به تتغذى الرُّوح فتحيا (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال:٢٤، فبه قوام الحياة.

هذه حقيقة مقررة في عقول العقلاء، وكل من قدَّم لهذا الإنسان الذي لم يشارك في صنعه غذاء غير غذائه المنزَّل، فقد أفسده.

فالله عزَّ وجلَّ خلق هذا الإنسان، وهو أعلم ما ينفعه وما يُصلحه، وما يرفعه عن مستوى مخلوقاته وكرَّمه وفضَّله، وجعل له منهجاً متكاملاً منوّعاً يزكيّه ظاهراً وباطناً، ويتعهّده من جميع الجوانب والجهات، ولم يتركه سدى، فأعطاه الله هذا القرآن يحفظ به حياته كلها (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً) القصص:١٤.

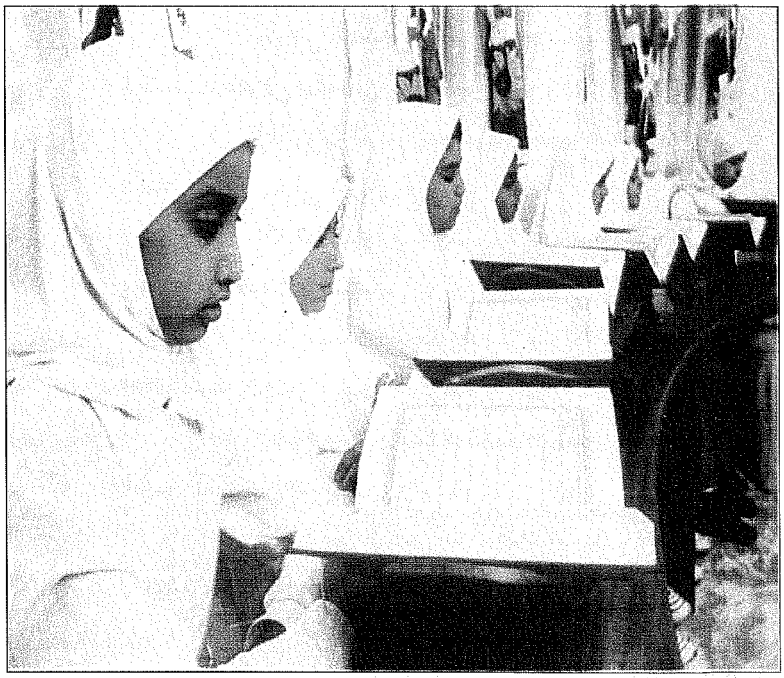

الأداء التربوي للقرآن الكريم

إن تقرير مادة القرآن وتعليمهُ للأولاد وتلقينهم له هو الرضاع بعد الفطام من نوع آخر، فحاجة الأطفال الصغار إلى القرآن وتلاوته أشد من أي حاجة أخرى، ليختلط بلحمهم ودمهم، فإذا اجتهدنا في تلقينهم له في هذه المرحلة الخصبة من حياتهم، فإننا نكسبهم مناعة قوية، وحصانة لا يخترقها شيء، ولا يخشى عليهم بعد ذلك من المؤثرات الظاهرة والباطنة، لأن لهم مناعة وحماية ربّانية تحميهم وتحفظ حياتهم النفسية والجسدية والسلوكية.

قال بعض العلماء: «إن الغلام إذا تعلَّم القرآن وهو حديث السن وحرص عليه وعمل بما فيه خلطه الله بلحمه ودمه»(١).

قال الحافظ السيوطي: «تعليمُ الصبيان القرآن أصلٌ من أصول الإسلام فينشأون على الفطرة، وتسبقُ إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية».(٢).

وقد أكَّد العلاَّمة ابن خلدون هذا المفهوم بقوله: «تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدِّين أخذ به أهلُ الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبقُ إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن وصار القرآنُ أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات»(٣).

أقول: إن ربط قلب الطفل بالقرآن الكريم وتغذيته به يعني ربطه بالكلام المعجز، وشغل صفاء ذهنه به، فإذا لم يشتغل بالقرآن الكريم شُغل بغيره حتماً.

إن ذهن الولد الصغير أصفى من ذهن الكبير، وإن اغتنام فرصة الصّغر يعدُّ عاملاً

مهماً في ثبات القرآن منقوشاً في الذهن فتتفجرُ ينابيعُ الحكمة فيما بعد ذلك، وهذا أمر معلوم بالضرورة وقد أكدته التجارب.

وللقرآن الكريم بغنّاته ومدّاته وصفات حروفه تأثير كبير على النفس البشرية عامة يهزُّها ويجذبُها، وكلّما اشتدّت النفسُ صفاء، كلما ازدادت تأثراً، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرتُه مازالت صفحة بيضاء فتسري روحُ القرآن في قلوبه ونورُه في أفكاره ومداركه.

والعجيب إذا تأمّلنا الآيات المكيّة والمقرّرة على الأطفال في المرحلة الابتدائية، وجدناها قصيرة تتناسبُ مع نفسه القصير، فهي قصيرة في قصار السور فلا يضيق بها نفسُ الطفل الصّغير فيلتئم نظمُ القرآن على لسانه، ويثبتُ أثرُه في نفسه، فيجدُه بعد ذلك سهلاً ميسوراً (ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) القمر:١٧.

فالله عزّ وجلّ بشّر وسهّل كلّ أسباب الحفظ والفهم والتلاوة لعباده، فيسّر كتابه للذّكر، ويسّر ألفاظه للحفظ ويسّر معانيه للفهم، ويسّر أوامره ونواهيه للامتثال، هذا من الناحية التربوية العملية.

السلوك التربوي

أما من الناحية السلوكية، فقد أثبت الله لكتابه الاستقامة ونفى عنه العِوج، ولتأكيد هذين الوصفين جمع بينهما في قوله تعالى: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين) الكهف:٢، ونفى عنه العِوج مرّة أخرى في قوله تعالى: (قرآناً عربياً غير ذي عِوج لعلّهم يتقون) الزمر:٢٨، فلم يجعل الله فيه إعوجاجاً ولا ميلاً، بل جعله معتدلاً مستقيماً.

وإذا كانت صفة هذا الكتاب العزيز الاستقامة والاعتدال، فإنّ من يسترشد به حفظاً وعلماً وتفقهاً وسلوكاً يكون سويّاً معتدلاً وعلى طريق مستقيم لا إعوجاج فيه ولا انحراف، (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) الإسراء:٩، يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل.

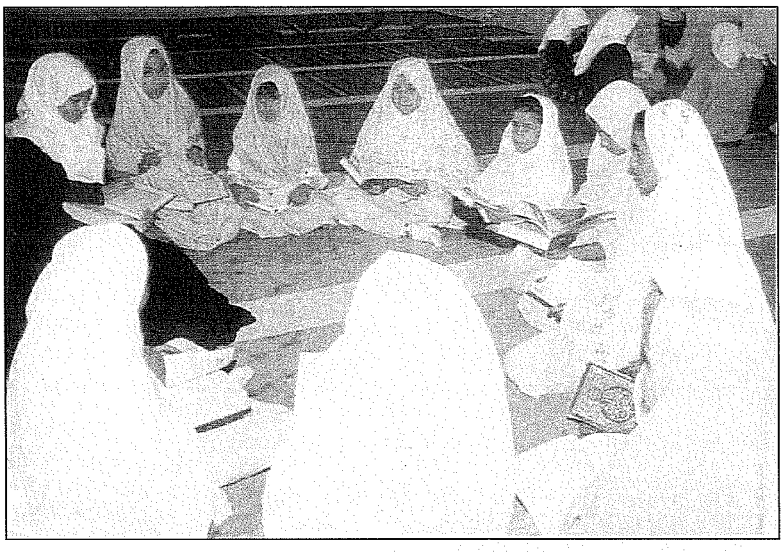

ألفاظ القرآن لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه

وإذا كان شأن كتاب الله جلّ وعلا كذلك، فإن الاقتصارَ عليه، والاستغناء به عن غيره حفظاً وفهماً وتفقهاً وسلوكاً يجعل الإنسان ذا شخصية متزنة معتدلة متميزة كما قال تعالى: (وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً) طه:١١٣. فيحدث القرآن في النفوس البشرية عظة وعبرة ويكسبُها علماً وشرفاً واستواء واعتدالاً ورقة في جانبه الروحي والجسدي والنفسي ظاهراً وباطناً.(٤)

السلوك العلمي

أما من الناحية العلمية، فمادة القرآن الكريم تُمد الطفل والمتعلم بثروة من العلوم والمعارف يصعب على الإنسان أن يُحددها وتعطيه التصور الصحيحُ والكامل لهذا الكون الذي يعيش فيه وما يجري فيه من أحداث ومتغيرات بأمر الله، وسيجد العلاج الكامل لكل ما جد ويجدُّ.

وكل علوم الشريعة أصولها وفروعها منتزعة من القرآن، وإلا فليس لها برهان، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين»، قال البيهقي مبيّناً كلامه: «أراد به أصول العلوم»(٥)، ومعنى «يُثوِّر القرآن» يتأمّله ويتدبَّره، ويفكر في معانيه وتفسيره(٦)، أما من الناحية اللغوية للأطفال وغيرهم، فالقرآن قاموس ومعجم لغوي.

قال الراغب الأصفهاني في مقدمته: «فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب، وزبدتهُ وواسطتهُ وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزعُ حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم»(٧) ■

الهوامش:

١ ـ الرعاية لتجويد القراءة ٥٨ فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٧.
٢ ـ منهج التربية النبوية ١/١٨٢.
٣ ـ مقدمة ابن خلدون ٣٩٧.
٤ ـ فضائل القرآن لأبي عبيد ٩٦.
٥ ـ البرهان للزركشي ١/١٠٠.
٦ ـ النهاية لابن الأثير ١/٢٢٩.
٧ ـ مقدمة الراغب ص٨.

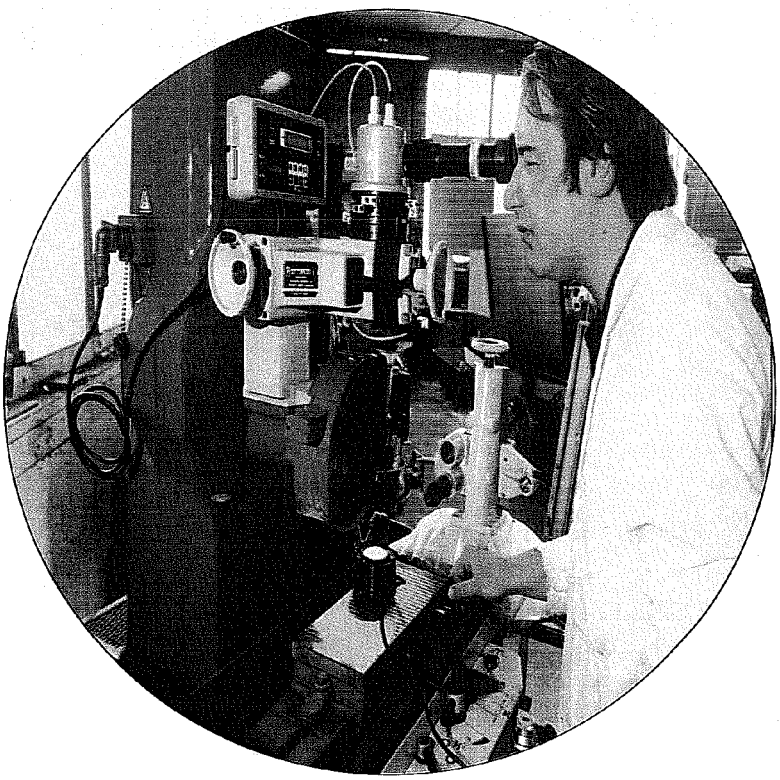

العلم الذي لا تُراد به العبادة ليس علماً أبتة!

د. التهامي محمد الوكيلي
عضو رابطة علماء المغرب

يتقدم الإنسان في صنوف العلم، ودروب العلم كثيرة، بينما العلم ذاته واحد يتنزّل من عند العليم الخبير جلّ علمه وجلّت خبرته، فيحقق الإنسان بذلك إدراكاً واسعاً بمعارف شتّى، يطوّع بها الأشياء والظواهر، ولكنه عند خروجه عن جادة «الدين» تختلط عليه السبل، فيظن أنه عَلِمَ من حيث لا يعلم، ثم يجره علمه إلى الخروج عما خُلق لأجله وخُلقت لأجله باقي الكائنات.(١) ألا وهو العبادة، وتكون العبرة في نهاية المطاف بالنتيجة اختلال التوازنات الطبيعية والبيئية والبيوولجية، التلوث في أشكاله المتعددة والمختلفة، انفلاق طبقة الأوزون في مناطق معينة، ارتباك بعض الظواهر الطبيعية كالزلازل والعواصف وحالات التصحر والجفاف، وأشكال الفيضانات والسيول، وتفشي أوبئة جديدة وغريبة وانتشار أمراض لم تكن ببال أحد، وانتشار أنماط جديدة من الذعر والخوف من المجهول!.

ويزداد الإنسان تقدماً في دروب ما يسميه «علماً»، فينتج وسائل للدمار الشامل، ويبتدع عقولاً إلكترونية محدودة النفع يجعلها أصناماً لجاهلية حديثة أكثر خطورة على إيمانه وعلى علاقته بربه من الجاهلية الأولى، فيوكل إلى هذه الأصنام الإلكترونية أموراً كانت فيما مضى، من اختصاص عقل الإنسان، الذي هو روح الله المودع في جوهر الإنسان ولبه، فيكلُ إليها وظائف الفصل والحسم في شؤون دنياه وفي سلوكه ومصيره، فيحتكم إلى الآلة في معرفة نفسه ودوافعه وميوله «الكومبيوترية» ويسند إليها أمر القيام بحساباته المعقدة غير عالم، وهو بذلك خائض في «سحر» جديد حديث «ومعصرن» - وما «السحر» إلا نقيض «الدين» - ويغفل الإنسان عن حقيقة ساطعة ونيرة: «أن الآلة العصرية غدت تحتل منصب ساحر القبيلة، وعرّافها، وكاهنها، كما كان ذلك في الأزمنة السحيقة». ويتخطّى الإنسان كل هذه الأشواط فيصنع صبيان المختبرات اعتماداً على علم حق لم يكن واضعه سبحانه يرمي من وضعه بين يدي الإنسان بالذات إلى توافر السبل لتغيير الخلق الإنساني لاستنساخه أو للتحوير في مكوناته «الجيننيتيكية» (الوراثية)، أو لتبديله عن طريق الخلط بين هذه المكوّنات لدى الإنسان ولدى فصائل معينة من الحيوان، كما يحدث في بعض المعامل السرية هنا وهناك في العالم المتقدم، كل ذلك، والإنسان يعلم أن التزاوج والتمازج لا ينبغي أن يتمّا إلا بالوسائل الفطرية الطبيعية التي يتيحها الدين ويقرها العلم في أساسه قبل أن يلحقه التغيير والتحريف على يد بني آدم، ألا وهي وسائل التزاوج والتناكح والتناسل التي تتيحها الطبيعة العذراء.

وينتج الإنسان على هدي «علمه» الغريب هذا، والذي كان علماً حقاً في أساسه الأول، أشكالاً من الصبيان تختلط فيهم صفات الأجناس والأعراق والفصائل بحثاً عن الإنسان الكامل أو الإنسان الخارق، أو «الإنسان المختار»، ويسعى العلماء من وراء ذلك إلى ابتكار فصيلة بشرية يقررون بعد ذلك بأنها الأحق بالانتشار والبقاء باعتبارها الأجود والأصلح، تماماً كما كان يفعل زعيم النازية «هتلر»، وكل ذلك وما دونه وما يماثله، ليس إلا بعضاً مما كان يسعى إليه الأولون والآخرون «قبل الطوفان وبعده» رغم اختلاف السبل والوسائل وأدوات البحث والفهم.

في ظل هذا الخلط العلمي والعقدي، تجد الاعتقادات الباطنية القديمة والسحيقة متنفساً فتنبعث من جديد بضراوة الماضي نفسه وحدته وعنته، وتتحول العقائد إلى مدارس تفرّخ

الإرهابيين وتتفنن في ابتداع أشد وسائل الفتك والتقتيل والتنكيل بأساً وهمجية، فتهدد بذلك الإنسان والعمران، والأخضر واليابس، ولا يقتصر ذلك على من يعتبرهم الخاص والعام خارجين عن جادة الحق والدين، بل يطال حتى بعض الذين يسمون أنفسهم عباداً نُسّاكاً وشيوخاً وأئمة محافظين على آثار السلف الصالح، فتتخرج من بين بعض صفوف هؤلاء أيضاً، أشكال جديدة قديمة من الإرهاب المستتر تحت لباس الدين... وهل كان الدين أبداً سوى أسلوب حضاري للاقناع والمدافعة بالتي هي أحسن؟!

هذه إذاً، هي سمات العلم الحديث والمعارف العصرية الحداثية. وهذا كله ما أرغب في الاصطلاح عليه بتعبير «علم الجهل»، أي العلم الذي لا يمكن أن يؤدي إلى العبادة، لأنه علم تحريف الأصول، وتزويغ المسالك، وتحريف الأهداف التي أنزل الله العليم الحكيم من أجل بلوغها علمه وقانونه وبسطها أمام عقل الإنسان ووعيه وإدراكه، والتي عبّر عنها الكلم الحكيم بالآية البينة: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦.

إن علم الجهل إذاً، ما هو سوى النمط المضاد للعلم المنزل من عند العليم الخبير، والذي تعاقب الأنبياء والرسل، على مر الحقب، على تبليغ مفاتيحه للإنسان، فكان ذلك في كل مرة يمده بما يحقق به طفرة نوعية تسير بشؤون حياته ودنياه باتجاه «الأنسنة» والعقلانية والترشيد إلى أن بلغ أشده وطال أبهى حالات نضجه فجاءته الرسالة الخاتمة ليكمل بها الدين وتتمّ بها نعمة الله عزّ وجل. وإن «علم الجهل» هذا، لهو سحر حديث يلبس لباس العصر الحديث، بينما هو في حقيقته وجوهره لا يفترق عن علم الأولين الذي استوجب وقوع الطوفان، وعلم الآخرين الذي هبَّت لمحوه بأمر الله عز وجل، الزلازل والزوابع والعواصف والريح الصرصر العاتية وغيرها من آيات الله القاهر فوق عباده، لا تمييز بين العِلْمَيْن المحرَّفَيْن إلا بالوسائل والأدوات والأساليب التي سبق القول: إنها تحوَّلت من عقل الإنسان وقوى عقله إلى الآلة وقدراتها المحدودة والتي تبدو في نظر بعض بني آدم كائناً شبه إله!!

إن إنسان اليوم لا يختلف إذاً عن إنسان العصور البائدة سوى في الوسائل والأدوات. ولو أن إنسان تلك العصور السحيقة قيل له: إن خَلَفَهُ سيصنع الطائرات والصواريخ فيحلّق بها في الأجواء والأفلاك لاستكبر ذلك واستبعده واستهجنه تماماً كما يفعل إنسان هذا العصر عندما يُقال له: إن سلفه في العصور القديمة كانت له قوى يستمدها من قوى الطبيعة بعقله فيطوع بها ظواهر طبيعية كثيرة ويأتي بأفعال كانت السبب الرئيس في اختلاط الواقع بالأسطورة في تلك العهود(٢)، وما أكثر ما ورد لدينا من مختلف المصادر والملل والنحل عن شيوخ أكابر كانت لهم كرامات وخوارق وتجري على أيديهم أمام الملأ فأهلتهم للسيادة والسلطان والهيمنة.

إن علم الجهل إذاً هو الباحث في كل ما هو مناقض ومعارض للدين أي لعلم العلم، أو علم النور، إنه بالأحرى «علم الظلمات»، وعلم الجهل هذا ليس جهلاً لذاته، بل هو جهل من حيث الساعي إليه بالتعلم والممارسة والاتباع، وقد أكد ذلك شيخ الإسلام وحجته أبو حامد الغزالي حين قال: «إن العلم المذموم مذموم لذات الإنسان لا لذاته» (باب العلم من كتاب الإحياء).

فالعلم صالح في أصله وأساسه الأول ما لم يعمل الإنسان فيه بالتغيير والتحريف والتزوير... ومن هنا يتضح أن علم الجهل هو العلم الباحث في قوى الظلمات لإدراكها واكتسابها، والقول هنا عن الظلمات لا يعني بالوجوب الجانب الباطني والعقلي والنفسي والعَقَدي دون غيره، بل يتعدى القول ذلك إلى جوانب الحياة المادية وإلى الفهم المادي الوجودي الذي يسميه علماء اليوم «عقلانية» و«علمانية»، بينما حقيقة الأمر تقول إنه بعيد عن العقل وعن العلم في أساسهما النوراني الأول، فالعقل نور الله، والعلم كذلك تماماً، ومن ثمَّ فإن كل ما يؤدي من الفكر والعلم إلى الاختلال وإلى التلوث وإلى تغيير الخلق وإلى الدمار والعبث ليس بتاتاً من النور في شيء، وبالتالي فإنه ليس من «العلم» في شيء، نقصد هنا العلم الحق كما أظهره العليم الخبير سبحانه وتعالى لعباده. وحتى لا يبقى في هذا القول بعضاً من الغموض واللبس نقدم أمثلة حية ويسيرة عن «علم الجهل»، بالإشارة إلى علم التنجيم والعرافة، وإلى المعرفة بالجداول والطلاسم والأوفاق، وإلى فنون الاتصال بقوى الطبيعة أو ما يسميه اليهود القبلانيون «نسبة إلى عقيدته القبالة» اتصالاً بقوى الملائكة والشياطين... كما نشير إلى أمثلة مادية وجودية وتجريبية عن طريق ذكر المعرفة بخبايا الذرة بغرض التدمير، والمعرفة بأسرار الخلِقة الإنسانية بهدف التغيير فيها، أو النسخ عنها، أو خلطها بخلِقات مخالفة لا علاقة لها بأصل الإنسان وفصله. إن إنسان اليوم، بما هو مقبل عليه من العلم أو بالأحرى، مما «يسميه علماً»، إنما يضع القدم في مواطئ بالغة الخطورة منذرة بالانزلاق والتردي إلى أسفل ما تردّى إليه منذ «هبوطه» إلى درك الحياة الدنيا وإلى الأرض، وما على إنسان اليوم، إذا أراد الخلاص من هذا المصير المعتم، والذي ليس إلاّ خسراناً مبيناً يخسر فيه الدارين معاً، الدنيا والآخرة، سوى أن يسأل نفسه في كل خطوة يخطوها، ويعيد السؤال، حول حقيقة العلم الحق الذي سماه الله عز وجل نوراً، والذي به كرَّم الخالق جل وعلا عبده الإنسان وفضَّله على باقي الكائنات والمخلوقات وجعله في صميم نبوءات الأنبياء ورسالات الرسل عليهم جميعاً أزكى الصلاة والسلام... وحينئذ، سيجد إنسان اليوم أن ذلك العلم الشريف له خصوصيات وسمات واضحة تتجلى من خلال أربعة مظاهر على الأقل:

١ ـ كونه علماً منزلاً على أيدي الأنبياء والرسل، الذين قضى الله سبحانه بأن يعلّموا الناس الكتاب والحكمة ويعلّموهم ما لم يكونوا يعلمون.

٢ ـ كونه علماً موحّداً ومنفرداً لا يتجزأ، ولذلك يحكمه قانون واحد أوحد مهما عمل الإنسان على تجزئة شعبه وتخصصاته، إذ هو راجع في بداية الأمر ونهايته إلى المبدأ الأساس نفسه، وقد فطن العلماء اليوم إلى وحدة العلم ووحدة قانونه الأعلى.

٣ ـ كونه علماً يؤدي إلى العبادة وإلى التوحيد وإلى الإقرار بأن الله لا إله إلا هو قائماً بالقسط، كما يشهد الله بذلك والملائكة وأولو العلم الحق.

٤ ـ ثم كونه علماً يورث الخشية إزاء الحق عز وجل، ويورّث بالتالي وبتحصيل الحاصل، التقوى والطاعة لله ورسوله، والالتزام بحدود الله من غير إفراط أو تفريط.

وإن كل علم لا تتوافر فيه هذه الشروط على الأقل، فإنه لا يؤدي بأي حال من الأحوال إلى تحقيق مطلب «العبادة» الذي من أجله خلق الله عز وجل الثقلين «الجن والإنس»، وبالتالي، فإنه لا يمكن بأي شكل من الأشكال وتحت طائلة أي نمط من أنماط البحث والفهم أن يسمى «علماً» ألبتة!! ■

علم الجهل هو النمط المضاد للعلم المنزل من عند العليم الخبير

البعد الإيماني الغائب في الثقافة الغربية

بقلم: أ.د. محيي الدين عبد الحليم
رئيس قسم الصحافة والإعلام. جامعة الأزهر

كشفت التفسيرات والتحليلات التي قدمتها أجهزة الإعلام الأميركية لحادث الطائرة المصرية التي سقطت في قاع المحيط أخيراً عن الاختلاف البيِّن في تفسير الظواهر والأحداث بين الثقافتين الإسلامية والغربية، فقد تم تفسير العبارات الإيمانية التي نطق بها قائد الطائرة، والتي قال فيها: «توكلت على الله» ثم نطق فيها بالشهادتين، على أنها تعكس رغبة قائد الطائرة في الانتحار، متجاهلين أن هذه العبارات يرددها المسلم دوماً في حياته اليومية، ويلحُّ في تكرارها في وقت الأزمات والكوارث.

وقد وجد أصحاب الأفكار المغلوطة والنوايا السيئة في هذه الكلمات التي تعكس إيمان الطيار فرصة لاتهامه هو ومساعده بالعمل على التخلص من حياته، وقد جاء ذلك ضمن الرغبة المحمومة التي تسود الثقافة الغربية مستهدفة من وراء ذلك الإساءة للدين الإسلامي والربط بينه وبين الإرهاب، والغريب في الأمر أن تأتي صحيفة مثل الواشنطن بوست لتؤكد أن دليلاً دامغاً يثبت التهمة على قائد الطائرة لأنه تفوَّه بعبارة «توكلت على الله» انطلاقاً من أن المسلم المتدين هو بالضرورة مؤهل لارتكاب أفعال جنونية، ثم يأتي ستيفن أميرسون صاحب الفيلم الصهيوني العنصري «الجهاد في أميركا» ليقول في التلفاز الكندي: «إن النطق بالشهادتين يحدث عادة قبل ارتكاب الأعمال الإرهابية».

إنهم لا يريدون أن يفهموا طبيعة هذا الدين الذي ينبذ كل أعمال العنف ويسمو بالإنسان أياً كانت عقيدته وأيديولوجيته، ويحافظ على حقوقه، فالجميع لهم حق الحياة، وحق الحرية، وحق الانطلاق إلى الآفاق الواسعة ليبلغ الكمال، ويحصلوا على الرقي المقدَّر لهم، وهو الدين الذي يؤكد أن الأصل الإنساني واحد مهما اختلفت الألوان والأجناس والقوميات، وفي ذلك يؤكد القرآن الكريم في سورة يس هذه الحقيقة في قوله عزَّ من قائل: (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)، كما يحذِّر من الاعتداء على أي إنسان بسبب الأصل أو الجنس أو اللون أو المال، لأن الإنسان هو خليفة الله على هذه الأرض، ولذا وجب تكريمه كما كرَّمه الله، وذلك في قول الحق جلَّ وعلا: (ولقد كرَّمنا بني آدم)، فمن يتفقَّه في ثوابت العقيدة الإسلامية يجد أنها تحرص كل الحرص على احترام الإنسان وتحافظ على حقوقه وتدرأ الخطر عنه لا لشيء إلا لكونه إنساناً كرمه الله ورفع قدره على سائر المخلوقات.

لقد كان الرأي العام العالمي ينتظر من سلطات التحقيق وأجهزة الإعلام الأميركية تقديم الحقيقة المجردة حول هذه الكارثة، والتعامل معها بموضوعية دون إصدار أحكام مسبقة بدلاً من المعلومات المغلوطة التي يتم تسريبها كل يوم حتى يحترم العالم هذه السلطات وحتى لايفقد الثقة

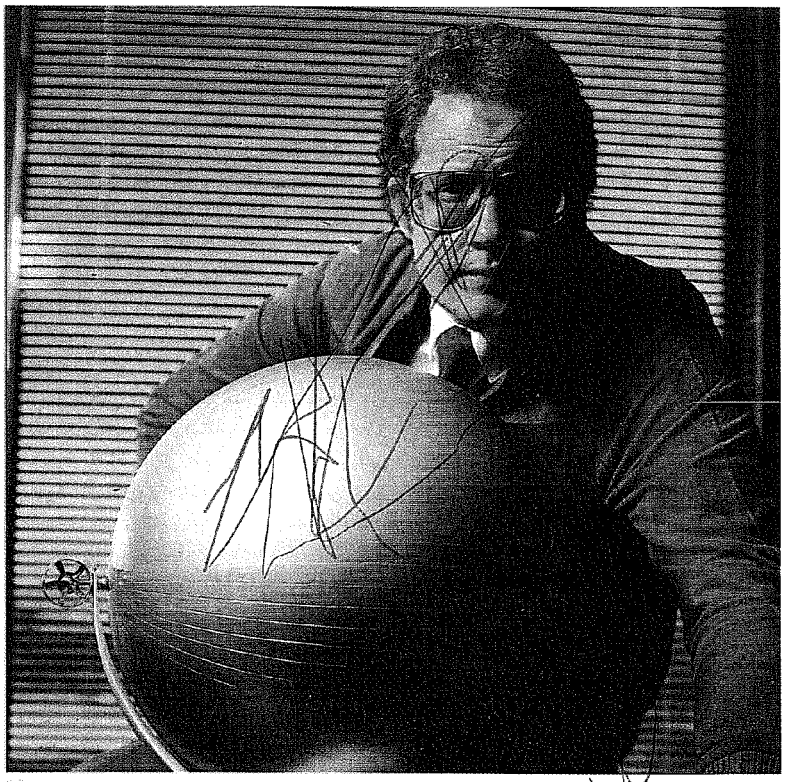

فيها، ولاسيما أن أحداً لايستطيع أن يعطي لنفسه الحق في الحكم على ما جرى قبل أن يكتمل التحقيق، لأنه لا يصح أن تتحول الاجتهادات والآراء والتفسيرات إلى أحكام نهائية في مثل هذه القضية الإنسانية الخطيرة، وقد كان الرأي العام العالمي ينتظر كذلك من سلطات التحقيق وأجهزة الإعلام الأمريكية تحديد الأسباب الفعلية التي تسببت في هذه الكارثة ولاسيما بعد الحصول على الصندوقين الأسودين اللذين يحويان كل السكنات والحركات التي صدرت في كابينة القيادة حتى وإن استمرت التحقيقات وقتاً وجهداً وذلك منعاً للبس وإزالة للقلق ورأباً للصدع وإعادة لثقة الجماهير العربية المسلمة في القضاء الأمريكي.

وفي الحقيقة أن الإيمان بالله في الثقافة العربية يعد جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للإنسان، والعقيدة الدينية هي التي تحكم حياة المسلم في بيته وعمله ونشاطه، ويرى أن سلامته النفسية والبدنية لا تستقيم إلا إذا توافقت مع ثوابته العقدية، وهذا المفهوم يختلف كل الاختلاف عن المفهوم السائد في الفكر العلماني الغربي الذي يرى في الدين معوقاً للنشاط الإنساني، وحائلاً دون تقدم الشعوب بعد الحقبة الطويلة التي سيطرت فيها الكنيسة الغربية على مقدرات الشعوب الأوروبية وقهرت الجماهير، ولذلك وجد فلاسفة هذا النظام النظريات المادية سبيلاً للخلاص، وهي النظريات التي يتم فيها فصل الدين عن الحياة، وإبعاده عن الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للإنسان.

وقد أثارت هذه الظاهرة الكثير من علامات الاستفهام لدى المستشرقين وعلماء الأنثروبولوجيا عن السر الكامن وراء تشبث الشعوب الإسلامية بهذا البعد الإيماني على الرغم من الضعف والوهن والفقر الذي يسود حياتهم، وعلى الرغم من التخلف الاقتصادي والاجتماعي وقسوة الحياة التي ترزح هذه الجماهير تحت وطأته، حتى أنه لم تفلح جهود المبشرين والمنصرين والمستشرقين والماركسيين والملاحدة والماديين والدهريين في دفعهم للتخلي عن عقيدتهم إنقاذاً لهم من هذا الفقر والجهل والهوان الذي تعيشه شعوبهم، كما فشلت محاولات الاحتواء والالتفاف التي قادها المستعمرون والصليبيون ضد الشعوب الإسلامية، وقد دفعت هذه الظاهرة شعوب العالم الغربي إلى التساؤل عن السر الكامن وراء تشبث المسلمين بهذا البعد الإيماني حتى وهم في أحلك المواقف وأقسى الظروف، وليس أدل على ذلك من أن الجمهوريات الإسلامية في القوقاز ظلت محتفظة بعقيدتها حتى تم الخلاص من الحكم الشيوعي وذلك بعد سبعين سنة من القهر والظلم والاستبداد، وهكذا عادت الجزائر مسلمة كما بدأت بعد احتلال فرنسي طال ليله، كما عادت البوسنة وكوسوفا إلى أحضان الإسلام بعد حرب شرسة مع الصرب.

إنهم لا يريدون أن يتذوّقوا طعم الإيمان، ومعنى التسليم لإرادة الخالق حين يكون الإنسان على أعتاب الموت، وحين يجد نفسه يقترب من النهاية، ولو أدركوا هذه الحقيقة لعرفوا أن الإيمان في حد ذاته يحول بين المرء وإقدامه على عمل حرمته الشرائع السماوية والقوانين الإلهية التي يلجأ إليها المسلم وقت المحن والأزمات، وهذا هو ما دفعهم لتقديم تبريرات غير منطقية لسقوط الطائرة، فهم لا يدركون مكانة البعد الديني في حياة الإنسان، وهو فكر راسخ في الوجدان، ومسيطر على الإنسان الذي تمت تنشئته في أحضان الثقافة الإسلامية، وهم لا يريدون أن يفهموا هذه الحقيقة، لأنهم يرون الحياة بمنظور مادي، ومن خلال هذا المنظور يقومون بتفسير الأحداث والتعامل مع معطيات الحياة، وفي ضوء هذه الحقائق أساؤوا فهم الكلمات التي تفوه بها الطيار في اللحظات الأخيرة من عمره.

كما أنهم لا يريدون أن يتعلموا من دروس التاريخ فقد اندثرت حضارات كبرى قامت على أسس مادية، واعتمدت على القوة الباطشة، والاستخفاف بحقوق الآخرين ومشاعرهم، لقد سقطت هذه الحضارات دون أن تقوم لها قائمة، كان آخرها الحضارة السوفيتية التي سقطت سقوطاً مريعاً، لأنها قامت على أسس مادية وحسابات خاطئة، ولا تريد الحضارة الغربية الحالية التي تفردت بالقوة والنفوذ أن تستفيد من عبر التاريخ.

وإذا كنا لا نستطيع أن نستبق الأحداث ونفتي بغير علم، إلا أن الوقائع تشير إلى أن وراء هذه الكارثة عملاً تخريبياً أقدمت عليه أيدٍ آثمة، فالطائرة لم تحترق أو تنفجر في الجو، ولكنها سقطت فوق سطح ماء المحيط، وهو ما يحول بينها وبين تحطمها وتناثر أجزائها قطعاً صغيرة، ومن ثمّ فإن الشواهد العملية ترجح أن وراء هذا الحدث المروِّع قوى تبغض العرب والمسلمين ولا تريد لهم خيراً، لقد تم هذا العمل بحرفية شديدة وبمقدرة فائقة على الإجرام، وهي قدرة لا يستطيع أحد أن يباري الموساد الإسرائيلي فيها، فله سجل حافل في ذلك فإسرائيل هي التي اغتالت عدداً من علماء الذرة العرب، وهي التي قامت بتدمير المفاعل النووي العراقي، وهي التي تتبع النوابغ والدارسين العرب في كل مكان في محاولة للقضاء عليهم أو احتوائهم أو الحيلولة دون نموهم وتفوقهم.

والولايات المتحدة تحرص كل الحرص على الدفاع عن إسرائيل سواء بالحق أو بالباطل، كما تحرص على عدم تعريضها لأية مساءلة، والفيتو الأمريكي جاهز دائماً لإجهاض أي قرار يتخذه مجلس الأمن ضدها مهما ارتكبت من جرائم ■

تحرص الولايات المتحدة على الدفاع عن اسرائيل سواء بالحق أو بالباطل

الوظيفة العامة في الإسلام مسؤولية وأمانة

بقلم: أحمد أبو زيد

الوظيفة العامة في المجتمع الإسلامي أمانة كبيرة لها تبعات كثيرة، فهي ليست تشريفاً لمن يتولاها، ولا وسيلة لرفعه فوق رؤوس أفراد الأمة، ولكنها تكليف يتبعه مسؤوليات.

ولقد أدرك الصحابة الكرام عظم المسؤولية، وتولي الوظائف العامة فكانوا يتهربون منها خوفاً من تبعاتها، يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إن من يكن أميراً فإنه من أطول الناس حساباً، وأغلظهم عذاباً، ومن لم يكن أميراً فإنه من أيسر الناس حساباً، وأهونهم عذاباً، لأن الأمراء أقرب الناس من ظلم المؤمنين».

وقد أخرج الطبراني عن أبي وائل شقيق ابن سلمة أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استعمل بشر بن عاصم على صدقات هوازن «كلفه بجمع الزكاة»، فتخلف بشر «أي رفض الولاية»، فلقيه عمر فقال: ما خلفك، أما لنا سمع وطاعة؟، قال: بلى، ولكن سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من وليّ شيئاً من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يقف على جسر جهنم فإن كان محسناً نجا وإن كان مسيئاً انحرف به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا»، فخرج عمر كئيباً محزوناً فلقيه أبو ذر فقال: مالي أراك كئيباً حزيناً؟ قال عمر: ومالي لا أكون كئيباً حزيناً وقد سمعت بشر بن عاصم يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «وذكر له نص الحديث»، فقال أبو ذر: أو ما سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وروى نص الحديث مع تغيير «من ولي أحداً من المسلمين»، ثم قال أبو ذر لعمر: وأي الحديثين أوجع لقلبك؟ قال: كلاهما قد أوجع قلبي، فمن يأخذها «يعني الخلافة» بما فيها؟ قال أبو ذر: «من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض، أما أنا لا نعلم إلا خيراً وعسى إن وليتها من لا يعدل فيها لا تنجو من إثمها».

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - دعاه ليستعمله - أي يوليه أميراً على إحدى الولايات - فأبى أن يعمل له، فقال عمر: أتكره العمل وقد طلبه من كان خيراً منك؟ قال: من؟ قال: يوسف بن يعقوب - عليهما السلام -، فقال أبو هريرة: يوسف نبي الله وابن نبي الله، وأنا أبو هريرة بن أمية، فأخشى ثلاثاً واثنين، فقال عمر: أفلا قلت خمساً؟ قال أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حكم، وأن يضرب ظهري، وينتزع مالي، ويشتم عرضي».

التهرب من الوظيفة العامة

فالصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يتهربون من المسؤولية والإمارة مخافة ألا يقدروا على تحمل مسؤوليتها وأعبائها، ومن يتولى منهم الإمارة كان يدرك أنها مسؤولية كبيرة ألقيت على عاتقه، وهذا ما أعلنه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عندما تولى الخلافة حيث قال: «أيها الناس إن كنتم ظننتم أني أخذت خلافتكم رغبة فيها أو إرادة استئثار عليكم وعلى المسلمين، فلا والذي نفسي بيده، ما أخذتها رغبة فيها، ولا استئثاراً عليكم، ولا على أحد من المسلمين، ولا حرصت عليها يوماً ولا ليلة قط، ولا سألت الله سراً ولا علانية، ولقد تقلدت أمراً عظيماً لا طاقة لي به إلا أن يعين الله، ولوددت أنها إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن يعدل فيها، فهي إليكم رد ولا بيعة لكم عندي، فادفعوا لمن أحببتم فإنما أنا رجل منكم».

الصحابة كانوا يتهربون من المسئولية مخافة ألا يقدروا على تحمل مسئوليتها

النهي عن طلب الإمارة

ولأن الوظيفة العامة في الإسلام مسؤولية وأمانة وليست تشريفاً لمن يتولاها، نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن طلبها واعتبر من يطلبها إنما يريد بها الشرف والعلو لنفسه، فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا ورجلان من بني عمي فقال أحدهما يا رسول الله: أمرنا على بعض ما ولاك الله - عزَّ وجل - وقال الآخر مثل ذلك، فقال - صلى الله عليه وسلم: «إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه» متفق عليه.

وعن أبي سعيد عبدالرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يا عبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها» متفق عليه.

وروى مسلم عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ «أي توليني الإمارة»، فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

كما روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة».

طلب العون على المسؤولية

ولقد كان الخلفاء الراشدون يحسون بعظم المسؤولية، ويطلبون العون من الرعية على أعباء هذه المسؤولية فنجد أبا بكر الصديق عندما تولى الخلافة يقول: «أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأطيعوني وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم».

ونجد عمر بن الخطاب حين تولى الخلافة يطلب إلى المسلمين أن يقوِّموا إعوجاجه فيقول: «أيها الناس من رأى منكم فيَّ إعوجاجاً فليقوِّمه»، فيقول أحد الحاضرين: والله لو رأينا فيك إعوجاجاً لقوَّمناه بحد سيوفنا يا عمر، سرُّ عمر لذلك وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من يقوِّم عمر بسيفه».

اختيار العمال والموظفين

ولقد كان الخلفاء الراشدون يدققون في اختيار العمال والموظفين والولاة والمعاونين في الحكم بأسلوب يجمع أقصى غايات الحذر والدقة والأناة، ذلك أن الخليفة كان يؤمن أن أي خطأ يرتكبه عامل أو وال في أقصى الأرض سيسأل عنه الخليفة أولاً ثم صاحب الخطأ ثانياً.

فعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كانت تأخذه الحيطة والدقة والحذر والبصيرة في اختيار ولاته، وقد قنَّن أسلوبه في الاختيار في قوله لمن حوله: دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني من أمور المسلمين، قالوا: عبدالرحمن بن عوف، قال: ضعيف، قالوا: فلان، قال: لا حاجة لي فيه، قالوا: من تريد؟ قال: أريد رجلاً إذا كان في الناس أميرهم كان كأنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم، قالوا: ما نعلمه إلا الربيع ابن زياد الحارثي، قال: صدقتم.

وعندما أراد عمر أن يجعل والياً على مدينة

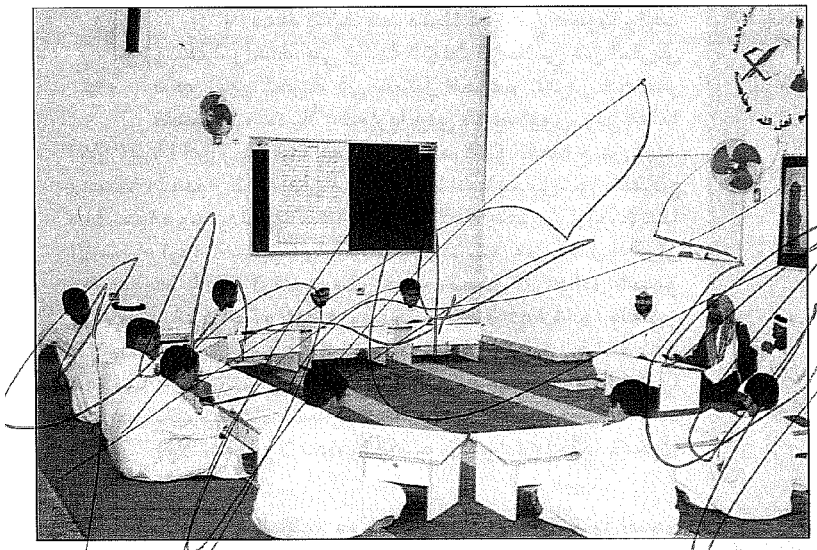

حمص فلم يجد إلا سعيد بن عامر، فيرسل إليه ويعرض عليه ولاية مدينة حمص، ولكن سعيداً يعتذر ويقول: لا تفتني يا أمير المؤمنين، فيصيح به عمر: والله لا أدعك، أتضعون أمانتكم وخلافتكم في عنقي ثم تتركونني؟ واقتنع سعيد في لحظة فليس من العدل أن يقلدوه أمانتهم وخلافتهم ثم يتركوه وحيداً.

وينطلق سعيد إلى حمص هو وزوجه ويزوده عمر بقدر من المال، فما أن وصل حتى اشترى بعضاً من ضرورات عيشه المتقشف، ثم أنفق جميع المال المتبقي على الفقراء والمحتاجين، وأوهم زوجته بأنه قد أعطى المال لتاجر يتاجر لهما فيه، وعندما علمت الزوجة بحقيقة الأمر حزنت وبكت فقال لها:

«لقد كان لي أصحاب سبقوني إلى الله وما أحب أن أنحرف عن طريقهم ولو كانت لي الدنيا بما فيها»، ثم يقول لها وكانت ذات حسن وجمال: «تعلمين أن في الجنة من الحور العين والخيرات الحسان ما لو أطلت واحدة منهن على الأرض لأضاءتها جميعاً، ولقهر نورها نور الشمس والقمر معاً، فلأن أضحِّي بك من أجلهن أحرى وأولى من أن أضحِّي بهن من أجلك».

مراقبة الولاة ومحاسبتهم

وكان عمر - رضي الله عنه - لا يترك الولاة والعمال وشأنهم في إدارة شؤون الرعية، ولكن كان يرشدهم ويراقب تصرفاتهم ويحاسبهم على أخطائهم، وكان يلتقي بهم كل عام في موسم الحج لمدارسة شؤون الأقاليم الإسلامية ومحاسبة هؤلاء الولاة.

وقد سبقه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في إرشاد الولاة والعمال ونصحهم، فعندما بعث بيزيد بن أبي سفيان إلى الشام أوصاه قائلاً: يا يزيد إنك شاب تذكر بخير قد رؤى منك وذلك لشيء خلوت به في نفسك، وقد أردت أن أبلوك واستخرجك من أهلك فانظر كيف أنت وكيف ولايتك، فإن أحسنت زدناك، وإن أسأت عزلناك، يا يزيد إن لك قرابة عسيت تؤثرهم بالإمارة، وذاك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من وَلِي من أمر المسلمين شيئاً فأمَّر عليهم أحداً محاباة له بغير حق فعليه لعنة الله ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخل جهنم».

فهذه التعاليم النبوية وآثار الصحابة الكرام تدل على عظم المسؤولية في الإسلام، وأنه لابد من الحكمة والتأني في اختيار من يقدر على حمل هذه الأمانة الكبيرة ■

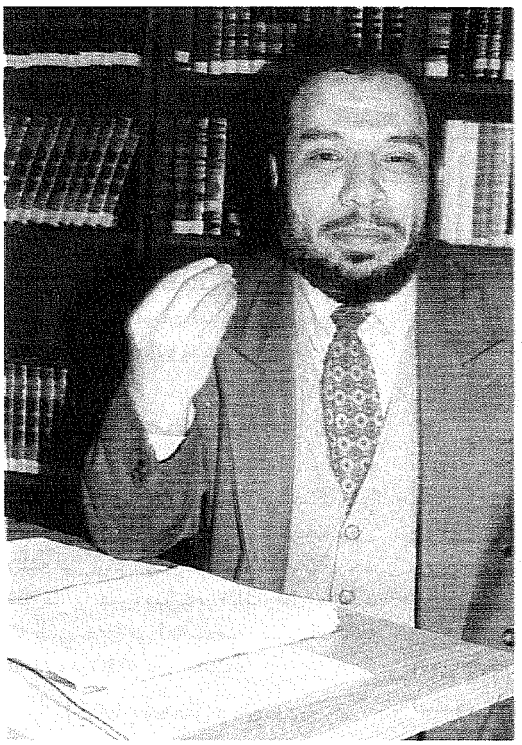

إن دعاة التغريب ينطلقون في صوت واحد وبكلمة واحدة، هي إزاحة التراث الإسلامي عن الطريق لتكون لهم الحرية في تشكيل الحاضر العربي وحاضر المسلمين تشكيلاً مضطرباً وفق ما يشاؤون، ولو فعلنا لكان أمرنا أمر رجل فقد شهادة الميلاد، فهو مقطوع عن أهله وأصله ونسبه أشبه بأن يكون لقيطاً!! إنهم يريدون اقتلاع ماضينا ووجودنا وانتماءنا إلى الآباء بعد أن ارتبط هذا الانتماء أربعة عشر قرناً متصلاً وتشكل من خلال القرآن والسنة، فضلاً عن تراث عريض خصب يحمل كل عوامل السمو والكرامة والسماحة والفضل والخير والوفاء، فإذا كانوا يفعلون ذلك مخدعوين بما فعل الغرب بتراثه فإن الأمر يختلف عن موقفنا من تراثنا وعن موقف الغرب من تراثه، وإذا كانوا يفعلون ذلك خادعين فنحن المسلمين لا ننخدع ونعرف أبعاد الأمور... (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) آل عمران:١٣٩.

هذا ما أكده الدكتور صلاح الصاوي الأستاذ بكلية أصول الدين لجامعة الأزهر، والذي كان يشغل منصب نائب هيئة الإعجاز العلمي في رابطة العالم الإسلامي، ثم عمل مديراً، للمركز العالمي لأبحاث الإعجاز العلمي في باكستان، وأستاذاً بالجامعة الإسلامية بإسلام أباد، ومديراً لمركز بحوث تطبيق الشريعة الإسلامية بإسلام أباد.

والذي يؤكد في هذا الحوار أن التشريع الإسلامي يلبي حاجات البشرية في كل الأزمنة. مشيراً إلى أن العلمانيين يريدون تحويل العالم الإسلامي إلى حقل تجارب للمذاهب والفلسفات الغربية... وأوضح أن عدم تحكيم الشريعة الإسلامية وراء الكوارث والحروب والمجاعات واضطرابات الفقر في العالم الإسلامي - وإليكم الحوار:

في حوار شامل مع مدير مركز أبحاث الإعجاز العلمي في باكستان الدكتور صلاح الصاوي:

العلمانيون يريدون تحويل العالم الإسلامي إلى حقل تجارب للمذاهب الغربية!!

حوار: محمد عبد الشافي القوصي

● بدءاً ما تقويمكم لواقع الأمة في الوقت الحاضر وبخاصة بعد أن تداعت عليها الأمم وتكالب عليها العلمانيون من بني جلدتنا الذين يعملون جاهدين من أجل

تذويب هوية الأمة وفكرها وثقافتها بل من أجل طمس معالمها وتراثها؟!

- الحقيقة أن هذا الذي تشهده الساحة المعاصرة من استطالة دعاة العلمانية واستماتتهم في عزل هداية الإسلام عن مسيرة هذه الأمة والزج بها في مجاهل الأرض وخوادع السبل يعد خيانة عظمى لهذه الأمة، وللحقيقة المجردة إن التمكين لذلك يعد إعانة على هذه الخيانة، ومسلكاً عدائياً لا تصلح به دنيا ولا

يبقى معه دين. وإن حقائق الوحي وحقائق التاريخ لتؤكد أن السبيل لهذه الأمة للخروج من هذا التيه يبدأ بإصلاح ما اندرس من علاقتها بربها وتجديد ما اندرس من شعائر دينها وشرائعه ثم ببذل الأسباب المادية بأقصى ما وسعها الجهد لتتكفل يد القدرة بعد ذلك ما عجزت عنه وقصرت دونه إمكاناتها المتاحة.

ولكننا على النقيض من ذلك لا نرى من دعاة العلمانية إلا إمعاناً في الشرود عن منهج التاريخ. الأمر الذي ينذر بشقاء المستقبل أكثر من شقاء الماضي إن لم نبادر بتوبة صادقة نصوح.

إن ثوابت هذه الأمة ومحكمات هذه الملة قد أصبحت عرضاً مباحاً لهؤلاء يخوضون فيه طعناً وتسفيهاً وتشويهاً وتزييفاً بلا حريجة دينية أو خلقية. إننا نعلن براءتنا إلى الله عز وجل من كل دعوة تخاصم شريعة الله تعالى وتجاهر أحكامها بالعداء ونعلن أن مثل هذه الدعوات هي امتداد للوجود الاستعماري في عالمنا الإسلامي وإنها لا تجتمع مع أصل الإسلام بحال من الأحوال.... كما ندعو الإعلام والصحافة خصوصاً ألا تسوِّد أعمدتها بإشاعة أحاديث الإفك التي يتداولها هؤلاء، فإن أبت إلا أن تفعل فلا أقل من أن تتيح لحملة الشريعة ودعاة الإسلام من المساحة ما يكفي لدفع التهمة بالحجة ومقارعة الكلمة بالكلمة إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، واتقاء لسخط الله عز وجل فإن هذا هو أدنى ما يمكن قبوله منها باعتبارها تصدر في بلاد لا تزال تنتسب إلى الإسلام، كما ندعو الأمة جميعاً إلى أن تكون على بيِّنة من أمر هؤلاء الذين يحرثون الطريق أمام أعدائنا في الدنيا ويجرونها بدعوتهم إلى جحيم الخلد وشقاء الأبد في الآخرة.

● ترى... إلى أي مدى تصل خطورة المد العلماني وأثره على فكر الأمة وثقافتها؟

- هذه الشرذمة العلمانية كان طابعها هو التخفي والالتفاف والمناورة لما يعلمون من خروج دعوتهم على محكمات الكتاب والسنة التي لا تزال موضع إقرار من المسلمين كافة إلا أنهم قد تجاوزوا ذلك أخيراً وأخذوا يجاهرون بهذه الزندقة بعد أن تواصوا في محافلهم بذلك وأجلبوا بخيلهم ورجلهم على مرتكزات الشريعة وأصولها الكبرى، وتواصوا فيما بينهم بما سموه الحل الهجومي الإيجابي والتكتل في جبهة موحدة لمواجهة العمل الإسلامي المعاصر في جرأة لا يحسدون عليها، ضاربين عرض الحائط بحقائق الكتاب والسنة وما استقر تقديسه في ضمير هذه الأمة.

جرائم ومخازي العلمانيين

لقد وجدنا من العلمانيين من يعلن بملء فيه رفضه المطلق لتطبيق الشريعة وتبنيه للفصل المطلق بين الدين والسياسة واستعداءه على حملة الشريعة، بل على الشعائر الإسلامية ذاتها، حتى أصبح يرى في إذاعة الأذان في التلفاز وإيراد حديث نبوي بعده اختراقاً للإعلام وخطراً على مدنية الدولة وتراجعاً أمام المتطرفين!! لقد رأيناهم يغتالون التاريخ الإسلامي كله، فلا يرون فيه إلا سلسلة من المجون والمظالم، بل لم يسلم من سهامهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ومن ثم ينتصرون للمرتدين والزنادقة والمنافقين، ناقلين أحاديث الإفك من المستشرقين ضاربين عرض الحائط بحقائق الكتاب والسنة وإجماع المسلمين!.

رسالة الإسلام

● لماذا كانت أهمية الحكم بالشريعة الإسلامية من أوليات فقه دعاة الصحوة الإسلامية المعاصرة؟

- ارتبط الحكم بالتشريع الإسلامي بالإيمان بالله والاعتقاد بواحدانيته ومنهجه الذي ينظم شؤون الحياة في جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ارتباطاً بالعقيدة الدينية لا ينفصل عنها لأن رسالة الإسلام عامة شاملة تنظم العلاقة بين الخالق والمخلوق، كما تنظم حياة الإنسان في الدنيا تنظيماً يربطها بالعقيدة ويخضعها لأحكام التشريع الإسلامي، والإسلام حين يبني تشريعه ومنهجه للحياة على هذا الأساس إنما يهدف إلى غاية يعمل على تحقيقها في كل جوانب الحياة، هذه الغاية هي إصلاح المجتمع الإسلامي وتحقيق الخير والفلاح له في شؤون حياته ودفع الضرر والفساد الذي يصيب الفرد والمجتمع، إذا أعرض عن هدي الله وخالف أمره... ويبني على ذلك وجوب الحكم بالتشريع الإسلامي باعتباره من لوازم الإيمان وبطلان التشريعات المخالفة لذلك... وإذا كان الخلق والتدبير لله وحده فإن الأمر والحكم خاص به أيضاً والعباد خاضعون لأمره مطيعون لحكمه، وهذا مقتضى العبودية ومضمونها فهي خضوع وانقياد وطاعة لله وامتثال لأمره وهذان الجانبان هما من أهم مقومات العقيدة وأركان الدين.

العلمانيون يغتالون التاريخ الاسلامي فهم يعتبرونه سلسة من المجون والمظالم

والله سبحانه وتعالى يبين لنا في القرآن الكريم أن الوحدانية تقتضي أن يخضع العباد لله وحده في الحكم والتشريع كما يخضعون له وحده في العبادة والخوف والرجاء، يقول تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) التوبة:٣١. أي اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء واتخذ النصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم (أرباباً من دون الله) يعني سادة لهم م من دون الله يطيعونهم في معاصي الله فيحلون ما أحلوا لهم مما قد حرَّمه الله عليهم، ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحلَّه لهم.

فالتحاكم إلى غير شرع الله ضلال وإشراك وهناك آية أخرى من كتاب الله تؤكد وتبين هذا المعنى، حيث يقول سبحانه: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) النساء:٦٠. وهذا إنكار من الله عز وجل على من يدَّعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله... إذا فمن يتحاكم إلى غير ما أنزل الله في كتابه وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من سنته وشريعته فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه!!

● هناك دعوات كثيرة يطلقها العلمانيون وربائب الاستعمار بفصل الدين عن السياسة في الدول الإسلامية فما ردكم على هذه الافتراءات الزائفة؟

- هؤلاء جهلاء وسفهاء وأقوالهم ما هي إلا

افتراءات زائفة ولأنهم ربائب الاستعمار وتلامذته... أقول: من الصعب أن نفرق في الإسلام بين ما يمكن أن يسمى ديناً فقط أو سياسة فقط، فكل ما يتصل بالعقيدة والعبادة دين ويمكن أن يسمى سياسة الإسلام في إصلاح العقيدة والعبادة، وكل ما يتصل بالخلق والتربية دين ويمكن أن يسمى سياسة الإسلام في التربية والخلق، وكل ما يتصل بالمعاملات العامة دين، ويمكن أن يسمى سياسة الإسلام الاقتصادية والاجتماعية، وكل ما يتصل بالحكم وتدبير مصالح المسلمين في دنياهم دين أيضاً، ويمكن أن يسمى نظام الإسلام في الحكم وإدارة الدولة، وهكذا يرتبط الدين بالدولة ارتباطاً كبيراً في الإسلام ارتباط القاعدة بالبناء، فالدين أساس الدولة وموجهاً لها ولا يمكن تصور دولة إسلامية بلا دين كما لا يمكن تصور الدين الإسلامي فارغاً من توجيهات المجتمعات وسياسة الدولة، لأنه حينئذ لا يكون إسلاماً، وإذا كانت هذه حقيقة الدين وارتباطه بالتشريع ونظام الدولة، فإن الله سبحانه حين يأمر المسلمين بطاعته وطاعة رسوله الكريم وردّ ما تنازعوا فيه إلى حكم الله ورسوله فمعنى ذلك أن هذه الطاعة واجبة في شؤون التشريع ونظام الدولة كما هي واجبة في العبادات وغيرها مما يجب فيه الطاعة لحكم الله وشرعه... يقول تعالى: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) النساء:٥٩. ويبيّن الله سبحانه وتعالى أنه بعث الرسل وأنزل معهم الكتاب للحكم بين الناس، وهذا الحكم هو التشريع الذي يتضمنه الكتاب المنزل لتنظيم حياة المسلمين، وهذا الحكم يجب اتباعه والخضوع له، وإذا كان الأمر بالرجوع إلى حكم الله متعلقاً بما اختلف الناس فيه وتنازعوا عليه، فإن هذا الأمر من باب أولى يتعلق أيضاً بالأمور المتفق عليها والمقطوع بحكم الله فيها لا نزاع ولا خلاف... فالرجوع إلى حكم الله فرض واجب على المسلمين في كل أمورهم... فالحكم لله وحده، ورسله يبلغون عنه فحكمهم حكمه وأمرهم أمره وطاعتهم طاعته فما حكم به الرسول وأمرهم به وشرعه من الدين وجب على جميع الخلائق اتباعه وطاعته فإن ذلك هو حكم الله على خلقه والرسول يبلغ عن الله، قال عز وجل: (وما أرسلنا من رسول إلا ليُطاع بإذن الله. ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء:٦٤-٦٥. فعلى الخلق أجمعين أن يحكّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأفضل المرسلين وأكرم الخلق على الله ليس لأحد أن يخرج عن حكمه في شيء سواء كان من العلماء أو الحكام أو الشيوخ أو غيرهم.

وجوب الطاعة

● المعروف أن معظم الدول في عالمنا الإسلامي منذ مطلع القرن العشرين تحتكم في كل أمورها وقضاياها ومشاكلها إلى تشريعات وقوانين وضعية فما تأثير ذلك على الرعية؟

- نعم... إنه يترتب على وجوب الحكم بالشريعة الإسلامية وارتباط ذلك بالعقيدة الدينية أن القوانين واللوائح التي تنظم حياة الناس في أي شأن من شؤونهم إذا جاءت متفقة مع نصوص القرآن والسنة أو متماشية مع مبادئ الشريعة وقواعدها، وجبت الطاعة لها والالتزام بها أما إذا جاءت القوانين واللوائح مخالفة لنصوص القرآن والسنة أو مناقضة لمبادئ الشريعة وقواعدها، فهي قوانين ولوائح باطلة ولا يجوز لأحد من المسلمين أن يطيع هذه القوانين أو يلتزم بها، بل يجب على كل مسلم أن يرفضها ويخرج عليها ذلك أن الأوامر والنواهي التي وردت في القرآن لم تجئ عبثاً ولكن الله تعالى أنزل كتابه وأرسل رسوله للناس ليطيعوا ويعملوا بما جاء به فإذا كان العمل ليس موافقاً للكتاب والسنة فهو عمل باطل لمخالفته أمر الشرع والله تعالى يقول: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) النساء:٦٤، وينطبق هذا الأمر على كل عمل يقوم به الأفراد أو الجماعات أو الحكام أو المحكومين لأن الخطاب والتكليف موجه لجميع المؤمنين، ومن ثمّ فكل قانون أو لائحة أو أمر جاء على خلاف الشريعة فهو باطل بطلاناً مطلقاً، وكل عبادة جاءت على خلاف الشريعة فهي عبادة باطلة بطلاناً مطلقاً، فالعمل إما أن يكون موافقاً للشريعة فهو صحيح، وإما أن يكون مخالفاً لها فهو باطل... وهذا هو رأي جمهور الفقهاء والأئمة والتابعين.... وهناك كثير من الآيات الكريمة التي تأمر باتباع الشريعة وتنهى عن اتباع ما يخالفها فلا ينبغي لمسلم أن يتخذ من غير شريعة الله قانوناً يخضع له ويتحاكم إليه، وجعل كل قانون يخالف نصوص الشريعة أو أصولها وقواعدها محرّماً على المسلمين، قال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) القصص:٥٠.

كما أنه لا يجوز للمسلمين أن يرضوا بأي قانون أو حكم مخالف لشريعة الله، ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل للمسلمين أن يختاروا لأنفسهم أو يرضوا لها غير ما اختاره الله ورسوله ورضيه لهم من حكم وقضاء وتشريع ومن اختار غير ذلك فهو ضال لم يعرف الإيمان قلبه: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الأحزاب:٣٦.

تحكيم شرع الله

ولا تجب الطاعة على المسلمين إذا كان القانون أو التشريع الذي يحكم به ولي الأمر مخالفاً للشريعة الإسلامية، إنما تجب الطاعة لأولي الأمر إذا حكموا بشريعة الله في حدود ما أمر به الله ورسوله ويتضح ذلك في قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) النساء:٥٩. فأمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر الرسول به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به من الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتي الكتاب ومثله معه... ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة... فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وقال أيضاً: «إنما الطاعة في المعروف»، وقال في ولاة الأمور «من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة».

شريعة الله رحمة بعباده

● القوانين المخالفة لشريعة الله... لماذا هي باطلة، ولماذا وصفها القرآن بأنها جاهلية؟

- إنما كانت التشريعات أو القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية باطلة يحرم على المسلمين اتباعها أو الخضوع لها والرضا بها لأن التشريع الإسلامي إنما أنزله الله لعباده رحمة بهم لتحقيق مصالحهم ودفع المفاسد والمضار عنهم، والله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم وجه المصلحة في الفعل فيقصد تحصيلها، ووجه المفيد في الترك فيقصد دفعها ودرءها فإذا وضعت للمسلمين تشريعات أو قوانين مخالفة للشريعة الإسلامية كان في هذا مضادة للشريعة ومناقضة لها وفي الوقت نفسه إهمال لقصد الشارع الحكيم وإلغاء له وهذا عمل باطل ■

دور البناء النفسي للصحابة في إنجاح تطبيق الشريعة في المدينة المنورة

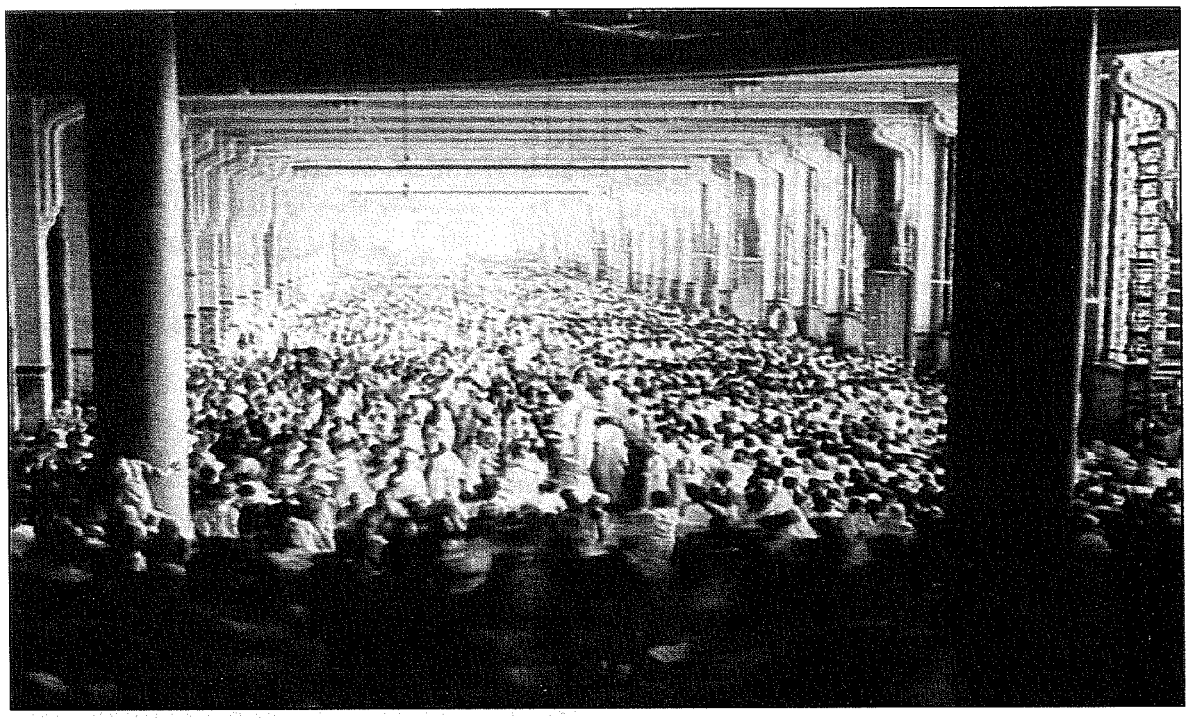

عندما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة واجهته مشكلات متعددة، ومن أوّل المشكلات التي واجهته التفاوت الاقتصادي بين فئتي مجتمع المدينة: المهاجرون والأنصار، ووجود عادات متأصلة مثل شرب الخمر، وصعوبة إحلال قيم جديدة مرتبطة بالأمة محل قيم قديمة مرتبطة بالقبيلة، فكيف حلّ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المشكلات؟ وكيف تصرف الصحابي إزاء أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وما البناء النفسي الذي حكم تصرفاته في تلك الآونة؟

تعليم: خالد التنوبة

التفاوت الاقتصادي بين المهاجرين والأنصار

عندما هاجر الصحابة من مكة إلى المدينة تركوا أموالهم فيها، فأصبحت المدينة تحتوي فئتين: فالمهاجرون لا يملكون شيئاً، والأنصار يملكون كل شيء، فكيف تصرّف الرسول صلى الله عليه وسلم إزاء هذا التفاوت الاقتصادي؟ آخى بين فئتي المجتمع، فاتخذ كل مهاجر أخاً أنصارياً له وتقاسماً بينهما ما يملكه الثاني، فقد نقلت الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع فقال سعد لعبدالرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسمْ مالي إلى نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك، فسمّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدّتها فتزوجها، قال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو.

«صحيح البخاري، باب كيف آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه».

لا شك أن استجابة الصحابة العميقة لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم هي التي جعلتهم يتنازلون عن نصف أموالهم وعن زوجاتهم في بعض الحالات منبثقة من امتلاء واغتناء نفسيين يمكن أن نستشف معالمها في العناصر التالية:

١ ـ تعظيم الصحابة لأمر الله والرسول في الإنفاق والخضوع له تعالى، وليس الخضوع لشهوة حب المال واكتنازه والبخل به.

٢ ـ رجاء الصحابة الجنة في حال اقتسام الأموال مع إخوانهم، وخوفهم النار في حال البخل وعدم التضحية بالمال.

٣ ـ حب الصحابة لله تعالى ولرسوله أكثر من حب المال.

٤ ـ ثقة الصحابة في قيادة محمد صلى الله عليه وسلم ويوعد الله في إخلاف المال المنفق.

تحريم الخمر

كان شرب الخمر عادة متأصلة في المجتمع الجاهلي، وتدرج الإسلام في تحريمها فأنزل في البدء قوله تعالى: (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً) النحل:٦٧، ثم بيَّن الله تعالى أن إثم الخمر أكثر من منفعته فقال تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) البقرة:٢١٩، ثم نهى الله المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى فقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) النساء:٤٣، ثم حرَّم الخمر فقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة: ٩٠ ـ ٩١.

فماذا فعل الصحابة عندما نزل أمر الله تعالى بتحريم الخمر؟ نقلت إحدى الروايات فذكرت أن ثابت بن أنس قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة قال: فنزل في تحريم الخمر، قال: فأمر منادياً فنادى فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا، فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي ألا إن الخمر قد حُرِّمت. فقال لي: اذهب فأهرقها، فجرت في سكك المدينة، قال وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ. «سنن الدارمي، كتاب الأشربة، الباب الثاني».

إذاً كانت استجابة الصحابة لتحريم الخمر استجابة فورية وشاملة، وقد جاءت هذه الاستجابة نتيجة امتلاء واغتناء نفسيين، ويمكن أن نبرز معالم هذا الامتلاء والاغتناء في العناصر التالية:

آخى الرسول ﷺ بين فئتي المجتمع فاتخذ كل مهاجر أخاً أنصارياً وتقاسما بينهما ما يملكه الثاني

١ ـ تعظيم الصحابة أمر الله في تحريم الخمر وتنفيذه، وعدم خضوعهم لشهوة شربها.

٢ ـ حب الصحابة لله تعالى، وتقديمه حبه تعالى على حب الخمر.

٣ ـ رجاء الصحابة الفوز بالجنة لتحريمهم الخمر، وخوفهم من عقاب الله تعالى في حال العصيان.

٤ ـ ثقة الصحابة بالمنهج الإسلامي الذي حرَّم الخمر، ويقينهم أن تحريمها يعود عليهم بالخير كأفراد وجماعة.

ليس من شك في أن بناء الصحابة النفسي المتلئ بالله تعظيماً وخضوعاً وحباً وخوفاً ورجاء كان عاملاً رئيساً وراء نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في تحريم الخمر، في حين أن افتقاد أميركا ذلك الامتلاء النفسي كان عاملاً رئيساً وراء فشلها في تحريم الخمر في مطلع القرن العشرين.

الأمر بالحجاب

نزل الأمر الإلهي بالحجاب فقال تعالى: (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) الأحزاب:٥٩، وأنزل ـ تعالى ـ الأمر بالضرب على الجيوب فقال:

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن...) النور:٣١.

فكيف كانت استجابة المجتمع الإسلامي لهذا الأمر الإلهي؟

يوضح ذلك الحديث الذي رواه البخاري، والذي قالت عائشة رضي الله عنها فيه: «رحم الله نساء المهاجرات الأُوَل لما نزل (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن أزرهنَّ فاختمرن بها».

إن استجابة الصحابيات لأمر الله بالاختمار والحجاب كانت سريعة وشاملة، فقد شقت الصحابيات بعض ثيابهن من أجل تحقيق الأمر الإلهي في الاختمار وستر الجيوب، ولم ينتظرن حتى يُهيَّئن للأمر عدته الخاصة، ويدل هذا على اغتناء الصحابيات النفسي، ويمكن أن نستشف معالم هذا الاغتناء في الأمور التالية:

١ ـ تعظيم الصحابيات لأمر الله بالحجاب، والخضوع لذلك الأمر بشق الثياب والاختمار بها.

٢ ـ رجاء الصحابيات الجنة بتنفيذ أمر الله بالحجاب، وخوف النار عند عدم الالتزام به.

٣ ـ ثقة الصحابيات بالمنهج الإسلامي ويقينهن بأن الحجاب خير لهن ولأمتهن.

والآن على ضوء الوقائع الثلاث السابقة التي تجلّت فيها استجابة الصحابة العميقة والشاملة لأوامر الشريعة التي دلّت على اغتنائهم النفسي الذي أدى إلى نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الأمة وفي تطبيق الشريعة في المدينة، والسؤال الذي يمكن أن يرد في هذا المقام: من أين جاء هذا الاغتناء النفسي؟ وما الذي ولّده؟

ولدته العقيدة التي طرحها القرآن الكريم في مكة والتي تقوم على الإيمان بالله واليوم الآخر، فقد بيّن القرآن الكريم والحديث الشريف أن الله - تعالى - خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأنه خلق آدم من تراب، وأنه خلق الملائكة من نور، وأنه يعلم السرَّ وأخفى، وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة، وأن جميع المخلوقات تخضع لأمره تعالى، وأنه قيّوم عليها... إلخ، عندما يؤمن المسلم بالله - تعالى - بالصورة التي طرحها القرآن الكريم وبيّنها الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا شك أنه سيعظّم الله تعالى، ويتجه إليه بالخضوع وحده تعالى.

وعندما يؤمن المسلم بأن الله - تعالى - خلق الأرض ذلولاً من أجل الناس، وأنه سخّر لهم الشمس والقمر، وأنه فصّل الليل والنهار من أجل أن يعملوا في النهار ويسكنوا في الليل، وأنه سخّر لهم الأنعام والدواب من أجل أن يمتطوها ويأكلوا لحمها، وأنه سخّر الرياح وأنزل الماء من السماء لينبت به نبات الأرض الذي يستمتعون بمنظره وبالطعام منه، عندما يؤمن بكل ذلك يتجه بالحب إلى الله تعالى.

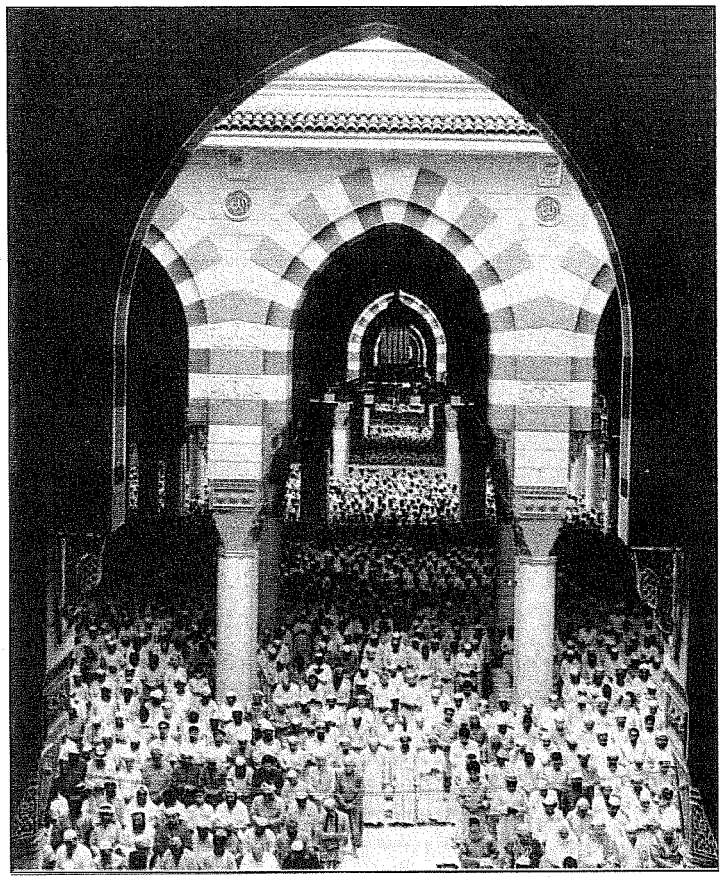

اغتناء الصحابة النفسي الذي استمد مادته من العقيدة أسهم في إنجاح تطبيق التشريعات الإلهية

وعندما يؤمن المسلم بأن هناك بعثاً وحساباً وأن هناك جنةً وناراً: الجنة فيها نعيم لا يمكن أن يُقارن بأي نعيم في الدنيا، والنار وقودها الناس والحجارة، ليس من شك بأنه عندما يؤمن بهذا سيتجه إلى الإنفاق من مال الله الذي آتاه إياه ليقترب من الجنة ويبتعد عن النار، وسيتجه إلى الالتزام بأوامر الله ونواهيه التي تكسبه الأجر الذي يزيد من حسناته ويقلل من سيئاته لكي يفوز بالجنة وينجو من النار.

هذه هي بعض معالم العقيدة التي بناها الرسول صلى الله عليه وسلم في صحابته والتي كانت عاملاً رئيساً في توليد اغتنائهم النفسي الذي أدى إلى إنجاح تطبيقات الشريعة في المدينة، ثم جاءت أركان الإسلام وأبرزها الصلاة والصوم والحج والزكاة التي تبلورت تشريعاتها في المدينة لتستمر في إغناء كيان الصحابة النفسي، دافعة بهم إلى استشراف آيات الوحي الجديدة، وإنفاذ أحكامها الشرعية، منتهية بهم إلى ترسيخ كيان المجتمع الإسلامي بقيمه الوليدة وصورته الفاعلة الحيّة.

فالصلاة التي يمتثل فيها المسلم أمر ربه بالتطهر والقيام والركوع والسجود في أوقات محددة من الليل والنهار تبني تعظيم الله، والصوم الذي يمتنع فيها المسلم عن شهوة النساء والطعام والشراب في وقت محدد لا شك أنه يبني الخوف من عقاب الله تعالى والرجاء في ثوابه، والزكاة التي يُخرج فيها المسلم قسطاً من ماله في الوجوه التي أوجبها الشرع تبني حب الله تعالى لأنه يتخلى عن شيء يحبه وهو المال من أجل محبوب أعظم وهو الله تعالى، والحج الذي يقصد فيه المسلم بيت الله الحرام، متحملاً المشاق ومنفقاً الأموال يبني الخضوع لله تعالى.

الخلاصة: إن اغتناء الصحابة النفسي الذي استمد مادته من العقيدة الإسلامية هو الذي أسهم في إنجاح تطبيق التشريعات الإلهية في المدينة، ثم جاءت أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج لتعطي اغتناءهم النفسي مدداً مستمراً ساعدهم على الاستمرار في الالتزام بتنفيذ أوامر الشريعة وأداء واجباتهم الدينية في المراحل اللاحقة ■

بصائر دعوية في جانب المدعو

الحلقة (١٢)

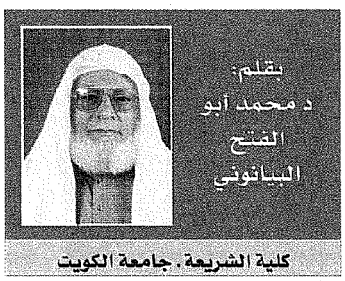

سبق أن تحدثنا في الحلقة السابقة عن بصائر دعوية تتعلق بالركن الأول من أركان الدعوة، ألا وهو «الداعية».

وها نحن نتحدث اليوم عن بصائر دعوية تتعلق بالركن الثاني من أركان الدعوة، ألا وهو «المَدْعو».

ولعل من أولى البصائر المهمة في هذا الجانب:

١ ـ أن الدعوة كما تكون للكافر إلى دين الإسلام، تكون للمسلم أيضاً للتحسين من إسلامه، والرفع من مستوى إيمانه.

فإذا كان الكفرة المدعوون أصنافاً وأنواعاً، فإن المسلمين المدعويين أيضاً أصناف وأنواع.

وقد أشار القرآن إلى تصنيف ثلاثي للمسلمين، فقال سبحانه: (ثمَّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فاطر:٣٢.

وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

ومن هنا: كان من البصيرة الدعوية ألا تعامل هذه الأصناف معاملة واحدة، وإنما تكون دعوة كل صنف بحسب حاله، وموقعه من الاستجابة إلى الحق والالتزم به.

فيُدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخيرات والمبرات، والتحقق بالتقوى، وهذا ميدان فسيح... لا نهاية له، كما قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) آل عمران:١٠٢، كما يدّعى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه وفجوره، والإقلاع عن معاصيه وإلى الالتزام بأمر الله وحكمه، والتوبة من ظلمه لنفسه.

ويدعى الصنف الثالث: «المقتصد» إلى الثبات على الطاعة، وتجنب المعصية، كما يدعى إلى الترقي بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات، كما قال تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣.

كما يُدعى المسلمون الضالون أي: الذين وقعوا في أي شيء من الضلال العقدي إلى تصحيح عقائدهم والرجوع عن ضلالهم، قبل دعوتهم إلى الأحكام الفرعية، والمسائل الجزئية، فتوضح لهم العقيدة الصحيحة، وتناقش لهم شبهاتهم، فإذا ثابوا إلى الصواب والهدى، كانوا من أحد الأصناف السابقة... وعوملوا معاملة تلك الأصناف.

٢ ـ كما أن من البصيرة الدعوية: أن يفرق في أسلوب دعوة الكافر بين الأصناف التالية:

أ ـ صنف الجاحدين الملحدين.

ب ـ صنف المشركين والوثنيين.

جـ ـ صنف المرتدين.

د ـ صنف أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

هـ ـ صنف المنافقين.

فيدعى هؤلاء جميعاً إلى الإسلام والإيمان كلاً بما يناسبه من أسلوب، فإن استجابوا لذلك دعوا إلى غير ذلك من أعمال: كالصلاة والصوم، والزكاة والحج.

ومن هنا جاء توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حينما أرسله إلى اليمن داعياً فقال: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب» رواه البخاري ومسلم.

لم يفرق الرسول ﷺ في دعوته للناس بين كبير وصغير ولا بين ذكر وأنثى ولا بين قريب وبعيد

٣ ـ كما أن من البصيرة في جانب المدعو: أن يعرف الداعية حق المدعو عليه، كما يعرف واجبه.

فإن للمدعو حقوقاً، كما أن عليه واجبات، وإن من حق المدعو أياً كان نوعه وصنفه: أن يُقصدَ ويُدعى، أو يُرسلَ إليه، وأن لا تكون

دعوته عرضاً أو مصادفة، كما أن من حقه أن يُحرص عليه - مهما كان حاله ومستواه - فلا يُستهان بأحد مهما كان شأنه!.

فقد أرسل الله عزَّ وجلَّ رسله إلى الناس: إعطاء لحقهم من جهة وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى.

ومن هنا: قرر الشرع عدم تعذيب قوم حتى تُقام الحجة عليهم، ويُعطوا حقهم في الدعوة، قال تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) الإسراء:١٥.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوفاء هذه الحق حقَّ القيام، فبشَّر وأنذر، وخرج أصحابه من بعده بالدعوة، فنشروا هذا الدين في الآفاق، وأقاموا الحجة على الناس كافة، فإن الأمة المسلمة لم توجد لنفسها، وإنما وجدت لتنقذ الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، فكانت الأمة الداعية، قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهلُ الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) آل عمران:١١٠.

فلم يفرق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته وتبليغها للناس بين كبير وصغير، ولا بين ذكر وأنثى، ولا بين قريب وبعيد.

ولم تشغله دعوته للأقارب عن دعوة الأباعد، ولا دعوته لعامة الناس عن دعوة زعمائهم ورؤسائهم، ولا دعوة الأقوياء عن دعوة الضعفاء.

ولما وقع في شيء من ذلك اجتهاداً منه صلى الله عليه وسلم في تقديم الأوليات، عُوتب في ذلك فقال سبحانه: (عبسى وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يُدريك لعله يزكى. أو يذكَّر فتنفعه الذكرى) عبس:١-٤.

فلا يزهد الداعية في أحد، ولا ييأس من هداية أحد، وإنما عليه أن يقوم بوظيفته مهما ضعفت استجابة المدعوين له، فأجره محفوظ، وهو غير مسؤول عن هداية الناس، قال تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) القصص:٥٦.

من هنا: يظهر لنا خطأ كثير من الدعاة الذين يحصرون نشاطهم في صنف معين من الناس، ويتركون دعوة الأصناف الأخرى، والذين يقتصرون على دعوة نخبة معينة، ويزهدون في غيرها، أو يكتفون بدعوة الكافرين إلى الإسلام، فلا يتوجهون بالدعوة إلى المسلمين أنفسهم، فالدعوة حق للجميع، وإن كان الأقربون أولى بالمعروف.

ولا يدري الداعية أين ستكون الفائدة، ولا ممن ستكون الاستجابة، وعلى يد من سيكون الخير مستقبلاً.

فقد تكون في الفقراء أكثر منها في الأغنياء، وقد تكون في الحكام

لا يزهد الداعية في أحد وإنما عليه أن يقوم بوظيفته مهما ضعفت استجابة المدعوين له

أكثر منها في المحكومين، وقد تكون في البعيدين أكثر منها في الأقربين.

وكثيراً ما يزهد الداعية في دعوة صنف من الناس، فإذا وجه إليهم الدعوة يوماً عرضاً، وجد استجابة سريعة، وإقبالاً عجيباً لم يكن يتوقعه.

ويكفي الداعية أسوة: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم العقبة، حيث لقي عند العقبة ستة نفر من الخزرج يحلقون رؤوسهم ويتحللون من حجهم، فلم يزهد فيهم وهم على هذه الحال، وفي هذا الموطن العابر، أقبل عليهم وعرض عليهم دعوته، فكانوا النواة الأولى لبيعة العقبة، في الوقت الذي أعرض فيه عنه كثير من الرجال وزعماء القبائل.

كما يكفي الدعاة عبرة: فعل كثير من دعاة العصر، الذين ركَّزوا في دعوتهم على نخبة من المثقفين أو العمال أو غيرهم، في الوقت الذي انتشرت الدعوات الأخرى بين الفئات الباقية، وفي عامة الناس، فكان النجاح لهذه الدعوات دون غيرها في كثير من مجالات الحياة.

وليعلم الدعاة أنهم مسؤولون عن الجميع، ولا يعتبرون مؤدين حق المدعوين إذا ما قصَّروا مع طائفة منهم.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُبصِّرنا بواجباتنا، لنقوم بوظيفتنا حقَّ القيام، ونكون من الداعين إليه على بصيرة، والمستحقين لرحمته ونصره.

وإلى حديث آخر مع بصيرة دعوة جديدة في حلقة مقبلة إن شاء الله تعالى ■

الحلقة ٢/٢

الوقف إدارته واستثماره

بقلم: أ.د. محمد رواس قلعة جي
كلية الشريعة، جامعة الكويت

ما يجوز وقفه

الوقف إما أن يكون من المنقولات، كالمصاحف، والخيل للجهاد، وعدة الحرب من سلاح وغيره، والجوارح المعلمة، والمواعين، ولباس العرائس، والرياحين ليشمها أهل المسجد وغير ذلك(٤٦)، أو يكون من غير المنقولات كالعقارات.

وإذا كان الهدف من الوقف هو تحصيل المنافع، كان من الواجب استثمار الموقوف، وبخاصة إذا كان الوقف على المساجد ولا يجوز حبسه عن الاستثمار لغير علة محددة، لأن حبسه من الفساد، والله لا يحب الفساد، فإن كان الموقوف صالحاً للسكنى وجب تأجيره، وإن كان صالحاً للزراعة وجب تأجيره أو دفعه مزارعة لمن يزرعه، وهكذا.(٤٧)

وإذا كان استثمار الموقوف واجباً، فإن أول ما يتوجب إبقاء الوقوف في حال تجعله صالحاً للاستثمار، وهذا يوجب علينا أن نبحث استثمار الموقوف في نقطتين:

الأولى: وضع الموقوف في حال تجعله صالحاً للاستثمار. والثانية: طرق استثمار الموقوف.

وضع الموقوف في حال تجعله صالحاً للاستثمار

إن كان الموقوف صالحاً للاستثمار بأعلى معدل من الإيراد، فذلك هو المقصود، والمطلوب من متولي الوقف أن يحرص على بقاء الموقوف بهذا المستوى من الإنتاج.

أما إن كان الموقوف هرماً، خرباً، متهدماً، لا يعطي عائداً مرضياً، وكان من الممكن إصلاحه، وجب على المتولي إصلاحه.

ولما كانت الأوقاف كلها ثروة جامدة - مجموع عقارات - توزع عائداتها على المستحقين أولاً بأول، كانت السيولة النقدية في صناديق الأوقاف قليلة أو معدومة، ولما كانت مشاريع التنمية للأوقاف لا يمكن أن تتم إلا إذا توفرت لها السيولة النقدية - وهي غير موجودة في الأوقاف - كان على القائمين على الأوقاف أن يسلكوا سبلاً متعددة لوضع الممتلكات الوقفية في حال تكون فيها صالحة للاستثمار، وسنعرض فيما يلي باختصار أهم هذه السبل:

١ - توفير مبلغ احتياطي: حجز مبلغ احتياطي من كل وقف، لا يوزع على الموقوف عليهم، بل يوضع في إحدى شركات الاستثمار، ليصرف في إصلاح وترميم الوقف عندما تدعو الحاجة لذلك. ويصدر تشريع ينظم ذلك.

٢ - التحكير: وهو أن يعطى - بإذن القاضي - العقار المتهدم، أو الأرض الخربة التي عجز الوقف عن إصلاحها إلى من يعمرها، بأجرة كبيرة معجلة يعمر بها العقار، وأجرة سنوية ضئيلة مؤجلة تستوفى من المستحكر لصالح الوقف، على أن يكون للمستحكر حق الانتفاع بالأرض بسائر وجوه الانتفاع من زرع أو غرس

أو بناء أو غير ذلك، وبذلك يكون الغرس والبناء ملكاً للمستحكر، والأرض ملكاً للوقف، وليس للوقف أن يطالب المستحكر برفع البناء أو قلع الأشجار مادام يدفع أجرة الأرض. ويجوز له أن يبيع حق القرار في الأرض إلى الغير.

والغاية من التحكير: توفير السيولة النقدية لإصلاح الوقف المتهدم، لجعله صالحاً للاستثمار.

٣ ـ حق الإجارتين: وهي عقد إجارة طويلة بأجرة كبيرة حالّة وأجرة سنوية ضئيلة ـ بإذن القاضي ـ على عقار الوقف المتهدم، ليصلح المتولي بهذه الأجرة الحالّة الوقف، ثم يسلمه إلى المستأجر.

والفرق بين الإجارتين وبين التحكير: أن الشجر أو البناء الذي أصلحت به الأرض هو ملك المستحكر في الاحتكار، ولكنه في الإجارتين هو ملك الوقف.

والغاية من الإجارتين: توفير السيولة للوقف لكي يصلح الموقوف، ليكون صالحاً للاستثمار.

٤ ـ بيع الخلو: وهو أن يبيع متولي الوقف حقه في إخلاء الموقوف المؤجر مقابل مبلغ من المال، دون الإخلال بحق الوقف في أجر المثل للموقوف المؤجَّر.

والمستأجر الذي اشترى حق الخلو من المتولي، يجوز له أن يبيع حق الخلو الذي في يده لغيره (٤٨).

والغاية من بيع الخلو: توفير السيولة اللازمة للوقف.

٥ ـ الكدك: أن يطلب مستأجر عقار الوقف من متولي الوقف أن يبني له في العقار شيئاً، فيعتذر المتولي لعدم وجود السيولة عنده ـ مثلاً ـ فيبنيه المستأجر.

والكدكُ المبني والمركب تركيباً على وجه القرار ـ كالأرفف، وديكور الجبس ونحو ذلك ـ أعيانٌ ملك أصحابها، وليس ملك الوقف، يجوز لهم بيعها، وتعطيهم حق القرار في العقار، ولهم استبقاؤها فيه بعد انتهاء مدة الإجارة بأجر المثل إن لم يكن في ذلك ضرر على الوقف (٤٩).

٦ ـ الإجارة المنتهية بالتمليك: وذلك بأن يدفع متولي الوقف الأرض لتاجر لكي يبنيها، ثم يستثمرها مدة يتفق عليها مع المتولي، وفي انتهاء هذه المدة تصير الأرض وما عليها من البناء ملكاً للوقف (٥٠).

٧ ـ الاشتراك: وذلك بأن يدفع متولي الوقف أرضاً لشخص ليبنيها ثم يكونا شريكين في الأرض والبناء، وتخريج ذلك فقهاً: أنه تم استبدال نصف الأرض مثلاً بنصف البناء المقام على الأرض، بذلك يصير الوقف والشخص الثاني شركاء في الأرض والبناء، ولا أرى ما يمنع الشركة في ملك الوقف ـ والله أعلم.

٨ ـ عقد الاستصناع: وذلك بأن يتعاقد متولي الوقف مع تاجر على أن يبني التاجر الأرض للوقف، ثم يسدد الوقف القيمة للتاجر على أقساط.

ويمكن أن يتفقا على اقتسام أجرة البناء ـ مثلاً ـ مناصفة، نصفها للتاجر، ونصفها للبنك(٥١). ويمكن أن يتفقا على أن تحديد الثمن بسعر التكلفة وزيادة مبلغ مقطوع أو نسبة، وعندئذ نكون أمام عقد مرابحة في عقد استصناع.

إذا التزم المستأجر بدفع أجر المثل فليس لمتولي الوقف إخلاؤه لغير مصلحة ظاهرة

٩ ـ المُرْصَد: إذا انعدمت السيولة عند متولي الوقف، وكان لابد من الإنفاق على الوقف لجعله صالحاً للاستثمار، جاز للمتولي أن يأذن للمستأجر بعمارة ما هو ضروري للوقف، ولا يجوز للمستأجر أن يبيع ما بناه في الوقف للوقف، وإنما له مطالبة المتولي بدفع ما أنفقه من غلة الوقف إن لم يرد اقتطاعه من أصل الأجرة (٥٢).

١٠ ـ الاستدانة: إذا لم تتوفر في الوقف السيولة اللازمة لإعمار الوقف، يجوز للمتولي أن يستدين بإذن القاضي على الوقف ما هو ضروري لإعماره.

١١ ـ سندات المقارضة: وهي أن يصدر متولي الوقف سندات مقارضة لمدة طويلة، لإقامة مشروع، بنسبة من العائدات لحامل السند خلال المدة التي يحملها السند، وفي نهاية المدة يدفع الوقف لحامل السند القيمة الاسمية لسنده، وبذلك يكون الوقف قد وفر لنفسه السيولة التي تمكّنه من وضع ممتلكاته في وضع صالح للاستثمار، ويكون حامل السند قد حصل على عائد مقبول خال من الربا.

استثمار الموقوف

لما كان الوقف هو حبس العين والتصدق بالثمرة، كانت

المعاملة الاستثمارية الغالبة في الأوقاف هي: إجارة الموقوف، أو ما يمت إلى الإجارة بصلة، وسنستعرض فيما يلي الأوجه الممكنة لاستثمار الموقوف.

١ ـ الإجارة: وهي أكثر استثمارات الوقف، ويتولاها متولي الوقف، وليس للموقوف عليهم حق التدخل، إلا إذا لمسوا خيانة أو إهمالاً، فإن لهم الاعتراض لدى القاضي.

ولا تجوز ـ في غير حالات الضرورة ـ الإجارة مدة طويلة، خوفاً من تبدّل الأسعار، إلا في حالات الضرورة، ومن الضرورة: الحاجة إلى المال لإعمار الوقف، فإنها تجوز بإذن القاضي، ولا تجوز الإجارة بأقل من أجر المثل، فإن أجر المتولي الموقوف بأقل من أجر المثل بغبن فاحش فالإجارة فاسدة، ويلزم المستأجر إتمام أجر المثل.(٥٣)

إذا التزم المستأجر بدفع أجر المثل فليس لمتولي الوقف إخلاؤه لغير مصلحة ظاهرة، ويكون هو أي: المستأجر: ـ أولى بالسكنى فيه من غيره.(٥٤)

وإذا انتهت مدة الإجارة وأراد المستأجر الخروج، وكان ـ أي: المستأجر ـ قد زاد في الوقف بناء بناه من ماله، فإنه ينظر.

فإن كان قد بناه بإذن المتولي، وكان قلعه لايضر بالموقوف فإنه يمكّن من قلعه، وإن كان يضر بالموقوف فإن المتولي يخير بين أن يتملكه جبراً عن مالكه ـ المستأجر ـ بقيمته مستحقّ القلع، وبين أن يتركه، فإن أجر الموقوف بعد ذلك: ينظر: كم هي حصة هذه الزيادة من الأجرة فيدفعها إلى الذي يملكها، وإن تخلّص من الأرض ـ كما إذا باع الأرض ـ أعطى قيمة هذه الزيادة لمالكها، وإن اضطر إلى هدم البناء الذي على الأرض ليقيم مكانه بناء جديداً: أعطى الأنقاض لصاحب البناء.

وإن كان بناه بغير إذن المتولي: يؤمر بهدم بنائه إن كان هدمه لا يضر بالوقف، أما إن كان هدمه يضر بالوقف: فإنه لا يُمكّن من هدمه، ويكون المتولي بالخيار بين أن يشتريه منه جبراً عنه بثمن هو الأقل من قيمته مقلوعاً أو قائماً، وبين الانتظار به حتى يتهدم الوقف فيأخذ أنقاضه.

٢ ـ المزارعة والمساقاة: يمكن استثمار أرض الوقف بالزراعة أو المساقاة، وذلك بدفع الأرض لمن يزرعها أو يعتني بأشجارها مقابل نسبة معينة يأخذها من محصولها. ولابد حينئذ من بيان مدة المزارعة أو المساقاة، وبيان مقدار الحصة، ومراعاة سائر شروط المزارعة في المزراعة، وشروط المساقاة في المساقاة.

وعلى المتولي أن يختار ما هو أنفع للوقف، من الإجارة أو المزارعة، فإن كانت المزارعة أنفع للوقف تعينت عليه المزارعة، وإن كانت الإجارة هي الأنفع، تعينت الإجارة.

وتصح المزارعة والمساقاة لمدة طويلة، لتوافر العدالة في ذلك، وذلك: لأن الوقف يستحق فيها حصة معلومة من الناتج، يرتفع سعرها إذا ارتفعت الأسعار، ويهبط إذا رخصت الأسعار.

٣ ـ التشغيل: إذا كان الموقوف مصنعاً أو نحوه، وهو لا يُغلّ إلا بتشغيله، وجب تشغيله، كالأرض الزراعية التي لا تغل إلا بزراعتها، وجبت زراعتها.

والتشغيل قد يكون بشكل مباشر من قِبَل المتولي، وعندئذ يكون له أجر مثله، وقد يكون من قبل وكيل يوكله القيم بتشغيل هذا المصنع مقابل أجر معلوم، أو مقابل نسبة معلومة من غلته، وقد يفوض أمر تشغيله إلى جهة، مقابل مبلغ محدد، أو نسبة معلومة من غلته ■

المستأجر الذي اشترى حق الخلو من المتولي يجوز له أن يبيعه لغيره

الهوامش

٤٦ ـ موسوعة فقه ابن تيمية، مادة (وقف/ ٣١٥) والمراجع التي أحالت إليها.

٤٧ ـ موسوعة فقه ابن تيمية، مادة (وقف/٥هـ) والمراجع التي أحالت إليها.

٤٨ ـ المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الفقه والشريعة، ص ١٣٣ لحمد رواس قلعة جي.

٤٩ ـ قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف، المادة/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

٥٠ ـ انظر المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الفقه والشريعة، صفحة ٨٦ للباحث.

٥١ ـ المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الفقه والشريعة، صفحة ١٣٨ للباحث.

٥٢ ـ قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف، المادة/ ٤٦١.

٥٣ ـ قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف، المادة/ ٢٧٥ و٢٧٧.

٥٤ ـ رد المحتار على الدر المختار ٥/ ١٤ ـ ١٥.

التقليد ومسخ الشخصية

جاء الإسلام هدى ونوراً ورحمة، وشرع لأمته كل ما تحتاج إليه في أمر دينها ودنياها، ودعانا ربنا إلى الاعتصام به، كما حذّرنا من طاعة الكفار وأهل الكتاب، وأن مآل من يطيعهم الكفر والخسران، ومآل من يخالفهم الاهتداء إلى الصراط المستقيم. قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مسقيم) آل عمران:١٠٠، ١٠١.

وقال سبحانه وتعالى: (يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) آل عمران:١٤٩.

ومع هذا التوجيه السديد أبت طائفة من أبناء المسلمين إلا أن تقلّد الكفار وأهل الكتاب، في كثير من السلوكيات والأعياد، مفتونة بما تصنع مسحوقة فيما تأتي متناسية أن ذلك قدح في دينها، وثلم في شخصيتها، وأنه دلالة صارخة على مدى التردي الذي وصلت إليه هذه الطائفة من أبناء المسلمين، ونظرة فاحصة إلى ملابس بنينا وبناتنا وما يصنعون وما يسمعون وما يأكلون وما يعشقون ويفضلون، ترينا إلى أي حد ضاعت شخصيتنا الإسلامية، وانطمست هويتنا، فذبنا بحيث لا يظهر لنا مزيّة على غيرنا تنبئ عن ديننا أو حضارتنا، وصرنا تبعاً لكل ناعق.

والسبب في ذلك كما يرى ابن خلدون في الفصل الثالث والعشرين من مقدمته: «إن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها، وانقادت له، إما لنظرها بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو الكمال الغالب... ولذلك استحلت جميع مذاهب الغالب، وتشبهت به... في ملبسه ومركبه وسلاحه وفي سائر أحواله»، حتى وصل تقليده إلى دخول المساجد لصلاة الجمعة «بالشورت»، فأين قوله تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الأعراف:٣١.

وعما جرّه علينا تقليد الأجانب يقول عالم مسلم: «فما بالنا نسير على غير هدى، ونقلّد الأجانب فيما ينهى عنه الدين، ولا يتفق مع آداب المسلمين، لقد جلب علينا تقليدنا للأجانب شراً وبيلاً، فأهمل كثير منا أمر الدين، واجترؤوا على حدود الله... وكل ما قلدناهم فيه مما يضر ولا ينفع، من ربا وقمار ومسكرات ومخدرات، ولم نبال بمضارها المالية والبدنية والعقلية والاجتماعية.

وأخذت كثيرات من بناتنا بتقليدهم في التبرج والتهتك باسم الحرية، وأخذن عنهم الخلاعة باسم المدنية، وطرحن ثياب الحشمة، وتخلين عن الحياء، إذا رأيت المسلمة رأيتها في ثياب أفرنجية، وحركات وسكنات شيطانية، تنفق

بقلم: د. محمد محمود متولي
كلية الشريعة - الكويت

على الملابس والروائح وأدوات التجميل أكثر مما تنفق على الطعام والشراب من ضرورات الحياة».

لقد صارت الشوارع مجالاً لإبداء الزينة، وصار التزين للغير، لا للزوج، وأصبحت ثياب الحشمة تُلبس في المنزل، وثياب الفتنة للشوارع، ومن قديم لحظ الإمام ابن حجر الهيثمي ذلك، وتحدث عنه في كتابه القيم «الزواجر عن اقتراف الكبائر» فقال نقلاً عن الحافظ الذهبي: ومن الكبائر إظهار الزينة، قال الذهبي: ومن الأفعال التي تُلعن المرأة عليها إظهار زينتها، كالذهب أو اللؤلؤ من تحت نقابها، وتطيبها بطيب كالمسك إذا خرجت، وكذا لبسها عند خروجها كل ما يؤدي إلى التبرج، من ذهب برّاق، وإزار حرير، وتوسعة كم... فكل ذلك من التبهرج الذي يمقت الله عليه فاعله في الدنيا والآخرة.

ولهذه القبائح الغالبة عليهن قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء»، صحيح الجامع ج١ رقم ١٠٣٠.

النهي عن تقليد الكفار

التقليد الأعمى الذي يخالف الشرع مسخ وتشويه يدل على ضعف العقل، واتباع الهوى، ورقة التدين، والتخلف، وعدم المبالاة بأوامر الله ونواهيه، والتشبه إنما يكون بالمفلح المؤمن لا بمن اتخذ إلهه هواه، وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله، وهم في بلاد العجم: «إياكم والتنعم بزي العجم، وعليكم بالشمس، فإنها حمام العرب، وتمعددوا، واخشوشنوا واخشوشبوا، واخلولقوا، واعطوا الركب أسنتها، وانزوا نزواً، وارموا الأغراض»(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة تنهى عن التقليد، فليَعها المسلم والمسلمة، وليقدموا مرضاة الله على هواهم، وعلى الذوبان في تقليد من لعنهم الله وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير ومن هذه الأحاديث:

١ ـ ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم» أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان وفيه ضعف، وله شواهد عند جماعة من أئمة الحديث عن جماعة من الصحابة تخرجه عن الضعف، ومن شواهده ما أخرجه أبو يعلى مرفوعاً من حديث ابن مسعود: «من رضي عمل قوم كان منهم».

قال صاحب سبل السلام: والحديث دال على أن من تشبه بالفسّاق كان منهم، أو بالكفار، أو بالمبتدعة في أي شيء مما يختصون به من ملبوس، أو مركوب، أو هيئة.

قالوا: «فإذا تشبّه بالكافر في زي، واعتقد أنه يكون بذلك مثله كفر، فإن لم يعتقد ففيه خلاف بين الفقهاء، ومنهم من قال: يكفر، وهو ظاهر الحديث، ومنهم من قال: لا يكفر ولكن يؤدب»(٢)

وقد تنبأ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بما نحن عليه الآن من تقليد أهل الكتاب فقال:

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»(٣)

قال الإمام النووي: والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد بالموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ الخلة والحب وكيف تقرب الخليلان من بعضهم بعضاً في الدين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

كما روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم قال: «المرء مع من أحب» متفق عليه ١٦٩٤ اللؤلؤ والمرجان.

كراهيته ﷺ التزيي بزي أهل الكتاب

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن موافقة أهل الكتاب في لباسهم وهيئاتهم ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» والمأمور به الصبغ بغير السواد إلا في حال الجهاد فإنه جائز.

كما روى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله: إن أهل الكتاب يتسرولون، ولا يأتزرون، فقال صلى الله عليه وسلم: «تسرولوا وأتزروا، وخالفوا أهل الكتاب».

فأمر صلى الله عليه وسلم بالجمع بين الأمرين، ولم يأمر بترك السراويل ألبتة لمخالفتهم، فأما الحكمة من وراء مخالفة أهل الكتاب «فالغرض منها أن يكون للمسلمين شخصيات خاصة بهم، ولا يكونوا مقلّدين، لأن الاستقلال في العادات وغيرها مما يعدُّ من مميزات الأمم التي تعرف بها، فتزداد استقلالاً وقوة ورسوخاً في مقوماتها كالدين واللغة والآداب.

وقد كان عمر رضي الله عنه يوصي قواده الفاتحين وعماله بالمحافظة على عادات العرب وزيها، وينهاهم عن التشبه بالأعاجم، وفي الحديث: «ليس منّا من تشبه بغيرنا».

ذكره ابن حجر نقلاً عن الحافظ الترمذي.

أوجه تقليد المسلمين للكفار

ذكر الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه: «رسائل الإصلاح جـ١» أوجه تقليد المسلمين للكفار ما يحل منها، وما يحرم ملخصاً بذلك آراء علماء الإسلام باقتدار ودقة فقال يرحمه الله: «تظهر محاكاة المسلمين للأجانب في خمسة

التقليد الأعمى يدل على ضعف العقل وإتباع للهوى ورقة التدين

وجوه:

أولها: محاكاتهم فيما يشتمل على مصلحة دنيوية، ولا يخالف حكماً شرعياً، أو أدباً دينياً، وهذا مما تأذن الشريعة في الأخذ به، ويتأكد العمل به على قدر ما فيه من مصلحة، وذلك كالعلوم والصنائع وعلوم الطب والكيمياء والفيزياء، ووسائل الاتصال الحديثة.

ثانيها: محاكاتهم في شيء من شعائر دينهم، وهذه المحاكاة إن كانت عن رضا دلت على نبذ الإسلام ولا سيما حين تتكرر، فإن قامت قرينة على أنه يقصد الاستهزاء بمن يقلّدهم، فهي سفاهة وعصيان ومثال الذين يرسلون أبناءهم لمدارس أجنبية تحتم على تلاميذها الاشتراك في شعائرها الدينية.

ثالثها: محاكاتهم في شيء ليس من شعائر دينهم، ولكنه مما نهى عنه الإسلام على وجه الحرمة كاختلاط الرجال بالنساء في محافل راقصة أو غيرها، أو الأكل بالشمال، وإطالة الأظفار.

والمحاكاة التي توقع فسوقاً عن أمر الله، والتي توقع في مكروه يخسر بها صاحبها قسطاً من ثواب الله، وهكذا إن كان عن مجرد هوى، فإن كان عن اعتقاد أن ما يفعله الأجنبي أحكم وأليق، فقد تزلزل أصل الإيمان، والتحقت بمحاكاته فيما هو أصل ملته.

ومنه إغلاق المحلات يوم الأحد، أو السبت، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بمخالفة أهل الكتاب بصوم الأيام التي يجعلها أهل الكتاب أعياداً.

رابعها: محاكاتهم فيما لم يتعرض له الدين بنهي خاص، ولكن رعاية جلب المصالح أو درء المفاسد تقضي بترك هذه المحاكاة، والمصالح كالمفاسد تتفاوت في شدتها، فيفصل الحكم على حسب هذا التفاوت، ومن ذلك اتخاذ بعض الأزياء الخاصة بهم كالقبعة، فإن وضع المسلم للقبعة على رأسه يدل على ميله لجانب من اختصوا بلبسها، ويوهم الناظرين أنه منهم. والمسلم الحق يتحاشى هذا.

خامسها: محاكاتهم في أمور لم يرد فيها نهي خاص عن الشارع، ولم يكن في موافقتهم مصلحة أو مفسدة، ولا تلقى على صاحبها شبهة الانتماء إلى ملتهم، ولا حرج في هذه المحاكاة إلا من قبيل الاحتفاظ بالتقاليد الإسلامية، فصغار النفوس أو العقول يسارعون إلى التخلي عن المعروف بين قومهم، ويتبدولن به المعروف عند الأجانب، ولا داعي لهذا الافتتان بذي الشوكة والسلطان، وذلك كلبس لون خاص في حفلاتهم الخاصة، فليس للألوان دخل في مصلحة أو منفعة، وإنما هي عادة جرت بينهم وألفوها.

آراء العلماء في حكم التقليد

للعلماء في حكم تقليد الكفار آراء تتراوح بين التفكير والتفسيق، وأنه معصية كبرى وهذا في غير النافع منه، كالتقليد في الصناعات والعلوم، والجد في العمل، وعدم المحاباة وقلة الرشوة، وقد قال الحافظ ابن تيمية في كتابه : «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»: معلقاً على الحديث: «من تشبه بقوم حشر معهم» بعد تصحيحه: وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، كما في قوله تعالى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)(١)، وهو نظير ما روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: «من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت

وردت أحاديث كثيرة تنهى عن التقليد فليعها المسلم والمسلمة وليقدموا مرضاة الله على هواهم

حُشر معهم يوم القيامة» وقد أفاد الحافظ ابن تيمية أن الأمة مجمعة على النهي عن الموافقة المذكورة.

رأي الحنفية

وقد ورد في معين المفتي من كتب الحنفية ما نصه: «من تشبه بالكفار عمداً، أو تزيا بزي النصارى، أو تزنر بزنارهم، أو تقلنس بقلنسوة المجس يكفر، وقيده أبو السعود والحموي - رحمهما الله تعالى - بأنه محمول على ما إذا أراد الاستخفاف بالإسلام، أما إذا لم يقصد ذلك فهو آثم» فتوفر العمد والاستخفاف في الإسلام يؤكد أن خروج ما عليهما من الإسلام.

رأي الشافعية

قال العلامة ابن حجر الهيثمي في كتابه «الفتاوى الكبرى الفقهية»، فالحاصل أن فعل ذلك بقصد التشبه بهم في شعار الكفر كفر قطعاً أو في شعار العيد مع قطع النظر عن الكفر، ولكنه يأثم، وإن لم يقصد التشبه بهم أصلاً ورأساً فلا شيء عليه.

وفي فتاوى الشهاب الرملي الشافعي سئل عن التزيي بزي الكفار، هل هو ردة أم لا فيحرم فقط؟ فأجاب بأن الراجح أنه ليس بردة. بل يأثم العامد العالم بتحريمه.

وهو محمول على لبسه بغير نية الرضا، أما إذا لبسه بنية الرضا، أو الميل إلى دينهم أو تهاوناً بالإسلام، فإنه يكفر.

رأي المالكية

وفي مختصر الشيخ خليل وشرحه للشيخ عبدالباقي المالكيين في باب الردة يكفر المسلم بقوله: عزير ابن الله أو لفظ يقتضيه كقوله: الله جسم متميز، أو فعل يتضمنه، ومن أمثلة الفعل شد الزنار، ولبس البرنيطة، أو الطرطور، وقد علق البناني المالكي قائلاً: ومحل كلام المصنف: إن فعل ذلك محبة في الزي، وميلاً لأهله، وأما إن فعله لغير ذلك فهو حرام إلا أنه لا ينتهي إلى الكفر.

رأي الحنابلة

وفي الانتصار من كتب الحنابلة ما نصه: من تزيا بزي الكفار من لبس زنار، أو تعليق صليب بصدره حرم، ومال بعض العلماء لكفرهم، وهكذا رأينا إجماع علماء المذاهب الأربعة على عدم الميل إلى زي غير المسلمين، فكيف يسوغ لمسلم بعد كل هذا استباحة هذا الذوبان في تقليد أهل الكتاب، يقول الشيخ محمد الخضر حسين: ولهذا الدين حقوق وآداب تزول بزوال تلك الشخصية، فلا بد من احترامها، والعمل بها حفاظاً على شخصيتنا الإسلامية، وقد قيل: إذا شابه الزي الزي، فقد طابق القلب القلب ■

الهوامش

١ - تمعدد الغلام: شب وغلظ أو تشبهوا بعيش معد بن عدنان وقد كان خشناً. اخشوشن: تخشن في المطعم والملبس. اخشوشب: صار صلباً كالخشب في صبره على الجهد. اخلولقوا: تبذلوا في الملابس. ص٢٨٦ من: «ماذا خسر العالم» للشخي أبي الحسن الندوي.

٢ - ص ١٧٥ ج٤ سبل السلام بلوغ المرام.

٣ - حديث رقم ١٧٠٨ من اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - محمد فؤاد عبدالباقي.

٤ - المائدة: ٥١.

نظر الفقهاء في زواج المسلم بالمرأة من أهل الكتاب

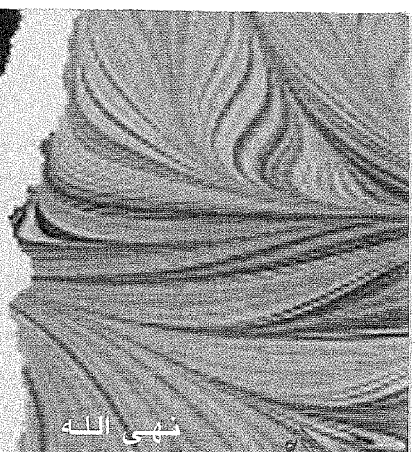

نهى الله عز وجل المسلمين عن نكاح الكافرات في قوله سبحانه: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) الممتحنة:١٠، وكذلك عن نكاحهم المشركات في قوله: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) البقرة:٢٢١. وحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراعاة خصلة التدين في المرأة فكان الأصل في بناء الأسرة المسلمة أن يتفق المسلم مسلمة لما يجمع بينهما من توافقات على رأسها وحدة الدين وبقي نكاح المحصنات من أهل الكتاب استثناء فاقتضاء الفقهاء قديماً وحديثاً.

بقلم: د. عبدالرحمن الحمراني

أولاً: آراء الفقهاء وأدلتهم في المسألة

اختلف الفقهاء في مسألة زواج المسلمين بنساء أهل الكتاب على قولين:

أحدهما: إن نكاحهن جائز، وهو مذهب جمهور الفقهاء وفيهم الأئمة الأربعة، فإن الأصل عندهم أنه يجوز للمسلم أن يتزوج بالمرأة الكتابية. فحكى ابن رشد أنهم «اتفقوا على أنه يجوز أن ينكح - يعني المسلم - الكتابية الحرة إلا ما روي في ذلك عن ابن عمر» (٢).

وإلى هذا القول ذهب الشيخ محمد عبده من الفقهاء المعاصرين فأفتى بأنه «يجوز أن يتزوج المسلم التابع للدولة المالية مسيحية في ألمانيا أو غيرها من بلاد أوربا، ويعتبر هذا الزواج مقبولاً بمصر متى كان العقد بحضرة شاهدين ولو ذميين، وذلك لأن زواج المسلم بالكتابية جائز شرعاً في أي بلد كان متى استوفيت الشرائط اللازمة لصحة العقد لأن المسيحية من أهل الكتاب، وقد أحل للمسلمين أن يتزوجوا بالكتابيات» (٣).

ومما احتج به أصحاب هذا القول قوله تعالى: (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) المائدة:٥. فهو يدل بظاهره على جواز زواج المسلمين بالمحصنات من أهل الكتاب، وهن الحرائر (٤) حسب ما أوضحه الإمامان مالك والشافعي.

وهذه الآية عند جمهور الفقهاء تخصص الحكم العام بتحريم نكاح المشركات على المسلم الوارد في قوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) البقرة: ٢٢١. وممن صرح بهذا التخصيص من الفقهاء قديماً الماوردي(٥) وابن قدامة(٦) وابن حزم(٧)، ومن الفقهاء حديثاً الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فإنه قال: «إذا كانت هذه الآية - يعني آية البقرة - تمنع أن يتزوج المسلم بامرأة يهودية او نصرانية وان يزوج احد من اليهود والنصارى بمسلمة، فإن آية سورة العقود خصصت عموم المنع بنص قوله تعالى في الآية (٥) من سورة المائدة: «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» وقد علم الله قولهم: «المسيح ابن الله»، وقول الآخرين: «عزير ابن الله»، فبقي تزويج المسلمة إياهم مشمولا لعموم آية البقرة. وهذا مسلك سلكه بعض الشافعية» (٨).

لكن ما ينبغي التنبيه إليه هنا هو أن جمهور الفقهاء مع أنهم ذهبوا إلى القول بجواز نكاح المسلمين نساء أهل الكتاب لآية المائدة، فإن هذا ليس عندهم بإطلاق، فقد صرح الأئمة مالك والشافعي وابن قدامة بكراهته، فجاء في المدونة الكبرى قول الإمام مالك: «أكره نكاح نساء أهل الذمة اليهودية والنصرانية وما أحرّمه» (٩). وإن العلة عنده في حكمه هذا «ما يدخل على ولده. وما يأكلن من لحم الخنزير ويشربن الخمر» (١٠). وقال الإمام الشافعي: «أحب إليّ لو لم ينكحهن مسلم» (١١). وذكر ابن قدامة بعد أن أثبت الحكم بجواز نكاحهن: «إذا ثبت هذا، فالأولى ألا يتزوج بكتابية» (١٢).

وتشتد هذه الكراهة عندهم إذا كانت الكتابية من قوم يحاربون المسلمين، وبه صرح الإمامان مالك والشافعي وحكاه الطبري(١٣) عن ابن عباس. ونقله الحافظ ابن عبدالبر عن أكثر أهل العلم(١٤)، جاء في المدونة الكبرى: «قلت: ما قول مالك في نكاح نساء أهل الحرب؟ قال: بلغني عن مالك أنه كرهه ثم قال: يدع ولده في أرض الشرك ثم يتنصّر أو يُتنصّر، لا يعجبني» (١٥). وقال الإمام الشافعي: «إن نكح كتابية من أهل الحرب كرهت ذلك له والنكاح جائز» (١٦). لكن تعقب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور هذا التمييز بين المرأة الكتابية التي من

أهل الحرب وبين التي ليست منهم بأن الذين قالوا به «لم يذكروا دليلاً عليه»(١٧).

هذا هو مذهب جمهور أهل العلم في المسألة، فإن الأصل عندهم فيها أنه يجوز للمسلمين أن يتزوجوا بنساء أهل الكتاب، وهذا الحكم سلكوا فيه مسلك الجمع بين الأدلة فخصصوا عموم آية البقرة التي ورد فيها تحريم المشركات على المسلمين وهي قوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) البقرة:٢٢١ بآية المائدة التي فيها جواز زواج المسلمين بالمحصنات من أهل الكتاب وهي قوله تعالى: (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) المائدة: ٥. وقد سبق القول إنهم مع قولهم بجواز نكاحهن كرهه بعضهم وإلى هذا مال أغلب الفقهاء المعاصرين فدعوا المسلمين اليوم إلى تقديم الزواج بالمسلمات على الكتابيات، فاعتبر الشيخ محمد أبو زهرة أن «الأولى للمسلم ألا يتزوج إلا مسلمة لتمام الآلفة من كل وجه»(١٨). وذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن المفسرين لم يعرجوا على بيان المناسبة لذكر حل المحصنات من المؤمنات في أثناء إباحة طعام أهل الكتاب وإباحة تزوج نسائهم فأوضحها بقوله: «عندي أنه إيماء إلى أنهن أولى بالمؤمنين من محصنات أهل الكتاب»(١٩). ورجح الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أن الأصل في المسألة هو الإباحة لآية المائدة، فإذا أفضى زواج المسلمين بنساء أهل الكتاب الى مفاسد انقلب الحكم إلى المنع(٢٠).

ظاهر هذه الأقوال أن الحكم الأصلي في المسألة الذي هو الإباحة قد ترتبت على العمل به اليوم مفاسد عظمى قلبته إلى المحظور، ومن أجل هذا وضع الشيخ القرضاوي أربعة قيود لزواج المسلم اليوم بالمرأة من أهل الكتاب هي أن يتأكد المسلم من كون المرأة التي أراد نكاحها هي فعلاً كتابية، وأن تكون محصنة كما وصفتها الآية، وأن لا تكون من قوم يعادون المسلمين ويحاربونهم، وأن لا يكون من وراء الزواج بها فتنة أو ضرر محقق أو مرجح(٢١).

وانه بنظرة الى واقع زواج المسلمين بالكتابيات لاحظ انه عار من هذه القيود فدعا إلى منعه إلا لضرورة، «سداً للذريعة إلى ألوان شتى من الضرر والفساد، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، ولا يسوغ القول به إلا لضرورة قاهرة(٢٢) أو حاجة ملحة وهو يقدر بقدرها»(٢٣).

والقول الثاني: إنه يمنع نكاحهن على المسلمين وهو مذهب ابن عمر رضي الله عنهما(٢٤) وبه أخذ الشيخ عبدالله بن الصديق(٢٥) والشيخ عبدالله بن زيد آل محمود(٢٦) من الفقهاء المعاصرين، فإن الأصل عندهما في هذه المسألة هو أن يمنع المسلم من الزواج بكافرة، وأن الشارع رخّص في نكاح الكتابية لعذر غير متحقق في هذا العصر. قال الشيخ عبدالله بن الصديق: «الأصل هو تحريم نكاح الكافرات، لأن اختلاف الدين بين الزوجين يوجب تنافرا لا يهنأ معه عيش، ثم رخص الشارع في زواج الكتابية لعذر كما حصل للصحابة في زمن الفتح بالكوفة (...) ولا ضرورة مع وجود المسلمات العفيفات اللائي يطمئن الزوج لعفتهن ولبكارتهن»(٢٧). وكذلك قال الشيخ عبدالله بن زيد وذكر أنه «قد يستدل بعضهم بأن نكاح النصرانية جائز في الشرع وفي القرآن، ونحن نؤمن بشرع الله ولا نكذب بكتاب الله، فقد أباح الله ذلك للتوسع والتسهيل في دخول دين الإسلام وانتشاره بين الأمم بإظهار سماحته (...) ثم إن نكاح الكتابيات مشروط بأن يكن محصنات (...)، وغالب نساء النصارى في هذا الزمان من مسافحات أو متخذات أخدان (...) فأين الإحصان المشروط في القرآن والحال هذه؟»(٢٨). ظاهر هذا القول: إن الشيخ عبدالله بن زيد ينطلق من واقع المسلمين اليوم إذ تعاطوا نكاح الكتابيات من دون مراعاة شرط الإحصان فيهن. ومن ثم لم يتردد في التصريح بما صرح به الشيخ عبدالله بن الصديق أن «نكاح مثلهن حرام على المسلم»(٢٩).

اختلاف الدين بين الزوجين يوجب تنافراً لا يهنأ من عيش

وهذا الحكم الذي ذهبا إليه موافقة لمذهب عبدالله بن عمر ينبني على ما يلي:

بالنسبة لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما فإنه بنى قوله بمنع زواج المسلمين بنساء أهل الكتاب على كون الكتابية من أهل الشرك الذين حرَّم الله على المسلمين نكاح نسائهم في قوله: «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» (البقرة: ٢٢١). أخرج البخاري عن نافع عنه أنه كان إذا سئل عن نكاح النصرانيات واليهوديات قال: «إن الله حرم المشركات على المؤمنين، ولا أعلم من الإشراك شيئاً أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى وهو عبد من عباد الله»(٣٠).

ولقد اختلف العلماء في تأويل جوابه هذا (٣١) وردوه من وجهين أحدهما أن آية البقرة التي حرم الله فيها على المسلمين نكاح المشركات مخصوصة بآية المائدة التي أباح الله فيه للمسلمين التزوج بالمحصنات من أهل الكتاب. والثاني أن الآيتين معاً يمكن استعمالهما بحصر المشركات في آية البقرة في الوثنيات والمجوسيات فيكون التحريم قاصراً عليهن، ويبقى نكاح الكتابيات مباحاً لآية المائدة. وهذا القول نسبه ابن قدامة إلى بعض أهل العلم(٣٢)، وهو اختيار الحافظ ابن عبدالبر(٣٣).

وبالنسبة للشيخين عبدالله بن الصديق وعبدالله بن زيد آل محمود فأيدا أخذهما بقول ابن عمر بما يلي:

١ - كون نساء أهل الكتاب اليوم لا يعرفن عفافاً ولا إحصاناً لأن البيئة التي يعشن فيها لا تعير اهتماماً للعرض، والتعليم الذي يتلقينه فيها يعطيهن كمال الحرية في التصرف في أنفسهن كيف شئن ومن دون ضابط، فيتعارفن على إباحة الزنى وشرب الخمر ومصاحبة من يحببن من أخدان وإن كن متزوجات، وأزواجهن لا يرون في ذلك عاراً عليهم ولا عليهن لتربيتهم جميعاً على عدم الغيرة على العرض. ومن هنا أوضح الشيخ عبدالله بن الصديق أن في الزواج منهن في هذا العصر «مفاسد كثيرة توجب تحريمه، منها (...) أنها لا تغتسل من الحيض وزوجها لا يأمرها بذلك، (...) ومنها أن النصرانية لا تلتزم بالحجاب الشرعي ولا تعرفه فهي تلتقي بأصحاب زوجها المسلم وهي عارية الصدر مكشوفة الذراعين في حضوره وغيبته،

التاريخ لم يعرف مدنية كرعت من الشهوات الحرام كما يحدث الآن في أقطار الغرب

وفي الدار وخارج الدار وهو لا ينكر ذلك بل ربما يرضاه ويقره، ومنها أن النصارى لا يعرفون الغيرة ولا يهتمون بها»(٣٤). وكذلك نبه على هذه المفاسد الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود(٣٥) فأفاد أن النصرانيات بحالهن داعيات إلى النار كما قال تعالى: «أولئك يدعون إلى النار» (البقرة: ٢٢١).

وبناء على هذا ذهب الشيخ عبدالله بن الصديق إلى القول بفساد عقد زواج المسلم اليوم بالمرأة من أهل الكتاب، ووصف العيش معها بأنه عيش في زنى «لأنه على خلاف ما حده الشارع، وهو أحد أنواع الزنى التي تقع اليوم باسم الزواج»(٣٦).

٢ ـ كون نساء أهل الكتاب اليوم من أمة تحارب الإسلام والمسلمين، وقد ذكر هذا، الشيخ عبدالله بن الصديق وأيد به قوله بتحريم الزواج بهن(٣٧).

٣ ـ كون زواج المسلمين بالكتابيات اليوم ينتج منه ضرر بالمسلمات والأبناء، وقد اتفق الشيخان عبدالله بن الصديق وعبدالله بن زيد آل محمود على هذه النتيجة وأكداها بما دلت عليه التجارب من إلحاق الضرر بالمسلمات، وبالأبناء لاتباعهم أمهاتهم الكتابيات:

أ ـ أما تضرر المسلمات من زواج المسلمين بالكتابيات فيحصل بسبب زهد المسلمين فيهن، وتقديمهم الزواج بالكتابيات على الزواج بهن مما يجبر غالبيتهن على البقاء في شقاء العنوسة فيلجأ بعضهن إلى الفساد. وقد أكد الشيخ عبدالله بن الصديق أن هذا قد حصل «فقد ترك كثير الزواج بالمسلمات، وهرعوا إلى الزواج بالنصرانيات حباً لجمالهن مع ما في ذلك من مفاسد»(٣٨). وكذلك قال الشيخ عبدالله بن زيد وأوضح أن من لوازم هذا الزواج «أن تبقى البنات العذارى المسلمات عوانس وأيامى في بيوت آبائهن يأكلن شبابهن وتطوى أعمارهن سنة بعد سنة»(٣٩). وذكرا معاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حذر من حصول هذا فيما رواه البيهقي عن أبي وائل قال: «تزوج حذيفة رضي الله عنه يهودية فكتب إليه عمر أن يفارقها وقال: إني أخشى أن تدعوا المسلمات وتنكحوا المومسات»(٤٠)، مما يستوجب دفع هذا الضرر عن المسلمات بما يجلب لهن المصلحة. وأوضح الشيخ عبدالله بن زيد أن ما فعله عمر بن الخطاب هو «من حسن نظره لرعيته وهو الحكيم في سياسته وسيادته حيث سد باب الفتنة عن المسلمين، إذ عندهم من النساء الحسان المسلمات ما يغني شبابهم ويكفيهم عن النساء الكافرات. والمسؤولية أمام الله وأمام الخلق تقع على كاهل حكام المسلمين الذين جعلهم الله رعاة على العباد وحراساً للبلاد عن دخول الكفر والإلحاد»(٤١).

ب ـ وأما تضرر الأبناء من هذا الزواج فيظهر في اتباعهم ـ في الغالب ـ عقيدة أمهاتهم، وهذه مفسدة عظمى لأن «الزوج إذا مات ضمتهم الأم إليها وربتهم على دينها، وإذا طلقها فلا يسمح له القانون أن يأخذ أولاده، بل يبقون مع والدتهم النصرانية»(٤٢). وقد أكد هذا الشيخ عبدالله بن زيد(٤٣). فيظهر من قولهما هنا أن زواج المسلمين بالكتابيات اليوم يفضي إلى مفاسد كبرى فينبغي أن يمنع بناء على أن من القواعد الشرعية المقررة ـ كما قال الشيخ عبدالله بن الصديق ـ أن «الوسائل تعطي حكم المقاصد، فالوسيلة إلى الواجب واجبة والوسيلة إلى الحرام حرام»(٤٤).

هذا ما بنيا عليه قولهما في المسألة، فعندهما أن زواج المسلمين بنساء أهل الكتاب رخصة من الله لهم تنعدم أسباب العمل بها اليوم فيرتفع الأخذ بها لفقد أسبابها.

ثانيا: سبب الاختلاف

يرجع سبب اختلاف العلماء في المسألة إلى معارضة العموم في قوله تعالى: «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» (البقرة: ٢٢١) للخصوص في قوله سبحانه: «اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان» (المائدة: ٦). فمن ذهب إلى القول بتحريم زواج المسلمين بالكتابيات تمسك بعموم آية البقرة وهو مذهب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، ومن ذهب إلى القول بإباحته خصص هذا العموم بآية المائدة وهو مذهب الجمهور. وقد أكد هذا ابن رشد في بدايته(٤٥).

ثالثا: الترجيح

يتبين من خلال عرض ودراسة أدلة الفقهاء قديماً وحديثاً في المسألة أن القول الراجح فيها هو قول الجمهور بإباحة زواج المسلمين بنساء

أهل الكتاب، فإن هذا الحكم هو الأصل فيها ما لم يترتب على العمل به مفسدة، فإذا أفضى إلى مفسدة انقلب إلى الحظر. وبهذا يفسر دوران قول الجمهور ومن أخذ بقولهم من الفقهاء المعاصرين بين العمل بالأصل في المسألة وهو الإباحة، ثم بالكراهة إذا كانت المرأة المراد الزواج بها من قوم يحاربون المسلمين وبين قولهم بالمنع.

وإنه بالنظر إلى مدى مطابقة حال نساء أهل الكتاب اليوم للضابط الذي ورد في آية المائدة وهو أن يكنّ محصنات، فإن هذا اللفظ يطلق على المرأة العفيفة التي أحصنت فرجها، لما روي عن مجاهد أن «المحصنات العفائف»(٤٦). وهن اللاتي يحصن فروجهن من الزنى. وبهذا تخرج غير المحصنات من حكم الإباحة وهو مذهب جمهور الفقهاء.

فإذا علم هذا فإنا نصل إلى أن هذا الوصف عزيز اليوم في المجتمعات الغربية لأن «العهر هو القانون السائد (...) والتاريخ لم يعرف مدنية كرعت من الشهوات الحرام كما يحدث الآن في أقطار الغرب التي اقتننت في ترويج الأجساد

الزواج بالكتابيات يبقي المسلمات عوانس وأيامى في بيوت آبائهن

واستفزاز الغرائز إلى أبعد الحدود»(٤٧). وبلغ الحال ببعضهن إلى المناداة بالحرية الجنسية للمرأة(٤٨). وهنا يتنزل نهي عمر بن الخطاب عن زواج المسلمين بالكتابيات خشية أن يتعاطى المسلمون نكاح المومسات منهن. ومن أجل هذا لم يتردد الشيخ عبدالله بن الصديق في الحكم بأن من يتزوج بنصرانية اليوم إنما يتزوج برائية(٤٩). وهو حكم غالب لأنه يمكن أن توجد في أهل الكتاب «نسوة لهن بقايا وحي وعفاف ومعرفة بالله الواحد، وقد يكون زواج المسلم منهن بابا إلى أن يعرفن الإسلام ويدخلن فيه، والأساس في هذا الزواج أن يشب الولد على دين أبيه وعباداته وفضائله، بيد أن ما يقع غير ذلك»(٥٠).

ثم إنه بالنظر إلى الحكمة من زواج المسلم بالمرأة من أهل الكتاب وهي «رجاء إسلامها»(٥١)، نظراً لأنه «يجمع بينهم وبين المسلمين اعتقاد وجود الله وانفراده بالخلق والإيمان بالأنبياء، ويفرق بيننا وبين النصارى الاعتقاد ببنوة عيسى والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويفرق بيننا وبين اليهود الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديق عيسى، فأباح الله تعالى للمسلم أن يتزوج الكتابية ولم يبح تزوج المسلمة من كتابي اعتداداً بقوة تأثير الرجل على امرأته»(٥٢)، فإنه يعسر أن تتحقق في واقع زواج المسلمين بالكتابيات اليوم لانعدام تأثيرهم في الغالب عليهن، بل إن عكس هذا هو الذي قد يحصل حينما تؤثر المرأة الكتابية على زوجها المسلم فيتبعها في دينها، وهذا حرام، فيكون ما يفضي إلى الحرام حراماً.

من أجل هذا، وجب تقييد زواج المسلمين اليوم بنساء أهل الكتاب بضرورة ملحة وهو واجب أولياء أمور المسلمين أن يقيدوا بعض المباحات لمصلحة راجحة في بعض الأوقات أو بعض الأحوال لبعض الناس ■

الهوامش:

(١) بعد من أهل الكتاب كل من بخلوا في اليهودية أو النصرانية ولو بعد تحريفها، فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام وناداه وقومه بقوله: «يا أهل الكتاب» مع أن هرقل دخل في النصرانية بعد التبديل (ينظر صحيح البخاري كتاب بدء الوحي).

(٢) ينظر بداية المجتهد لابن رشد: ج٢/٤٠

(٣) ينظر الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده: ج٣/٣٨٤

(٤) ينظر الموطأ، كتاب النكاح، باب ما جاء في الإحصان، والأم للشافعي: ج٥/٧.

(٥) ينظر الحاوي الكبير للماوردي: ج٩/٢٢١

(٦) ينظر المغني لابن قدامة: ج٧/٥٠١

(٧) ينظر المحلى لابن حزم: ج٩/١٣

(٨) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ج٦/٢٦٠ - ٢٦١

(٩) المدونة الكبرى للإمام مالك: ج٣/٢٠٦

(١٠) المصدر نفسه: ج٣/٤١٦

(١١) الأم: ج٥/٧

(١٢) المغني: ج٧/٥٠١

(١٣) حكاه عنه الطبري في جامع البيان: ج٤/٤٤٧ رقم ١١٢٨٨

(١٤) الاستذكار لابن عبدالبر: ج١٦/٢٧١ - ٢٧٢

(١٥) المدونة الكبرى: ج٢/٢٠٦

(١٦) الأم: ج٥/٦٦

(١٧) ينظر التحرير والتنوير: ج٦/١٢٤.

(١٨) ينظر الأحوال الشخصية للشيخ محمد أبو زهرة: ١٠٤

(١٩) التحرير والتنوير: ج٦/١٢٢ - ١٢٤

(٢٠) ضرب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي مثلاً لما ينبغي تقييده في هذه المسألة من أجل مفسدته زواج المسؤولين في البلاد الإسلامية بغير المسلمات فذكر أن «من تقييد المباح (...) منع كبار ضباط الجيش أو رجال السلك السلكي ماسي من الزواج بأجنبيات جنسية تسرب أسرار الدولة عن طريق النساء إلى جهات معادية، ومثل ذلك إذا خيف أن يجيف ذلك على البنات المسلمات وذلك في مجتمع الأقليات الإسلامية الصغيرة والجاليات الإسلامية المحدودة العدد» (ينظر كتاب: الاجتهاد في الشريعة الإسلامية: ١٧٦).

(٢١) ينظر فتاوى معاصرة للشيخ القرضاوي: ج٢/٩٦-١٠٢

(٢٢) سيأتي في هذا المبحث ذكر قول الشيخ عبدالله بن الصديق أن لا ضرورة تدعو المسلمين اليوم للزواج بغير المسلمات.

(٢٣) ينظر فتاوى معاصرة للشيخ القرضاوي: ج٢/١٠٤

(٢٤) سبق قول ابن رشد إن الجمهور يختلفون مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في هذه المسألة

(٢٥) هو الشيخ أبو الفضل عبدالله بن الصديق الغماري من الفقهاء المغاربة المعاصرين، توفي يوم الخميس ١٩ شعبان ١٤١٣هـ.

(٢٦) هو الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود من علماء قطر كان رئيس المحاكم الشرعية بها

(٢٧) دفع الشك والارتياب عن تحريم نساء أهل الكتاب للشيخ عبدالله بن الصديق: ٢٤

(٢٨) ينظر مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد: ٤١٩ - ٤٢٣

(٢٩) ينظر المرجع نفسه: ٤٢٠

(٣٠) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، رقم الحديث ٥٢٨٥

(٣١) يدل على اختلافهم في تأويل جواب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن الماوردي حمله على الكراهة. تذكر أن ابن عمر «كره ولم يحرم، فلم يحسن مخالفتها» (ينظر الحاوي الكبير: ج٩/٢٢٢) بينما حمله النحاس على التورع كما نقله عنه ابن حجر (ينظر فتح الباري: ج١٠/٥٢٢ عند شرح الحديث رقم ٥٢٨٥).

(٣٢) ينظر المغني: ج٧/٥٠٠ - ٥٠١

(٣٣) ينظر الاستذكار: ج١٦/٢٧١.

(٣٤) ينظر دفع الشك والارتياب عن تحريم نساء أهل الكتاب: ١٩

(٣٥) ينظر مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد: ٤٢٢

(٣٦) دفع الشك والارتياب عن تحريم نساء أهل الكتاب: ٢٤

(٣٧) ينظر المرجع نفسه: ١٧

(٣٨) ينظر المرجع نفسه: ١٥

(٣٩) مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد: ٤٢٤

(٤٠) السنن الكبرى للبيهقي: ج٧/١٧٣

(٤١) مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد: ٤٢٥

(٤٢) دفع الشك والارتياب عن تحريم نساء أهل الكتاب: ١٩

(٤٣) مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد: ٤٢٠

(٤٤) دفع الشك والارتياب عن تحريم نساء أهل الكتاب: ١٨

(٤٥) ينظر بداية المجتهد: ج٢/٤٠

(٤٦) جامع البيان: ج٤/١٠٤

(٤٧) ينظر قضايا المرأة للشيخ محمد الغزالي: ١٠٦

(٤٨) ينظر وثيقة مؤتمر السكان والتنمية من الفقرة الأولى إلى الفقرة الحادية والعشرين من الفصل السابع، فقد جاء فيها النص على حماية الحياة الجنسية سواء منها التي تثور بين الجنسين أو التي تثور بين الأفراد من جنس واحد.

(٤٩) ينظر دفع الشك والارتياب عن تحريم نساء أهل الكتاب: ١٧ و٢٤

(٥٠) ينظر قضايا المرأة للشيخ محمد الغزالي: ١٠٧

(٥١) صرح بهذا الكاساني في بدائع الصنائع: ج٣/٢٧٠

(٥٢) ينظر التحرير والتنوير: ج٦/٣٦٣

التجارة الإلكترونية ومستقبل التعاون الاقتصادي في العالم الإسلامي

بقلم: خالد محمد خلاوي

أتاح التطور الهائل في تقنية المعلومات آفاقاً أوسع وأرحب للتجارة الإلكترونية وكوَّن كيانات ومؤسسات اقتصادية تعبر القارات عبر فضاء شبكة الإنترنت وبتكاليف تقل كثيراً جداً مقارنة بالوسائل التقليدية، ولذلك يحذر خبراء الاقتصاد المعاصرون من تعرض اقتصادات العرب والمسلمين للتهميش في الاقتصاد العالمي الذي تسيطر عليه الإنترنت ما لم تتزايد الاستثمارات العربية في مجال تقنية المعلومات.. ولعلنا نجد في التجارة الإلكترونية ما يحقق طموحات التكامل الاقتصادي العربي والإسلامي والمتمثل في مشروع السوق الإسلامية المشتركة، فهل نستطيع أن نحقق في الفضاء الإلكتروني ما فشلنا في تحقيقه على أرض الواقع، وذلك من خلال موقع اقتصادي عملاق يربط اقتصادات الدول العربية والإسلامية ببعضها بعضاً.

ما التجارة الإليكترونية؟

تعرف التجارة الإلكترونية: بأنها مجموعة متكاملة من عمليات عقد الصفقات وتأسيس الروابط التجارية وتوزيع وتسويق وبيع المنتجات بوسائل إلكترونية.

وهذا التعريف أطلقته عليها منظمة التجارة العالمية، ويذكر أن هناك نوعين من التجارة الإلكترونية هما: تجارة الأعمال مع الأعمال ويقتصر التعامل في هذا النوع من التجارة على الشركات وعمليات الاستيراد والتصدير وتبلغ نسبة هذا النوع نحو ٨٥٪ من إجمالي حجم التجارة الإلكترونية.

والنوع الثاني تجارة الأعمال مع المستهلكين ويطلق بعضهم على هذا النوع التسوق الإلكتروني أو تجارة التجزئة الإلكترونية، لتمييزه عن التجارة الإلكترونية بين قطاعات الأعمال. وتبلغ نسبة هذا النوع نحو ١٥٪ من إجمالي حجم التجارة الإلكترونية، وتشير التوقعات إلى ارتفاع حجم التجارة الإلكترونية إلى ١٠٣ مليارات دولار عام ٢٠٠٣م مقابل ١.٨ مليار لعام ١٩٩٧.(١)

وتشير دراسة مسحية قامت بها مجلة «إنترنت العالم العربي» إلى أن حجم التسوق الإلكتروني العربي يصل إلى ٩٥ مليون دولار.

ووصفت الدراسة نمو التجارة الإلكترونية العربية خلال العام الماضي بأنه «نمو خجول»، وقدرت قيمة مشتريات المستخدمين العرب عبر شبكة «إنترنت» بنحو ١٠٠ مليون دولار، ومعظم هذه المشتريات تمت عبر مواقع أجنبية، إلا أن الدراسة توقعت أن يتجاوز حجم التجارة الإلكترونية العربية أكثر من نصف مليار دولار مع نهاية العام ٢٠٠٢م، نظراً إلى بعض المشروعات التي بدأت دول عربية في إنجازها، مثل مشروع مدينة دبي للإنترنت، ومشروعات أخرى في مصر ولبنان.(٢)

أهمية التجارة الإلكترونية

من أهم خصائص التجارة الإلكترونية سرعة إنجاز الأعمال وتنوع البضائع والسلع المعروضة، كما أنها تسهل عمليات التسوق الدولي والاستيراد والتصدير بتكاليف منخفضة جداً عن الوسائل التقليدية حيث تسمح التجارة الإلكترونية بالتسوق عبر شبكة الإنترنت عن طريق الاتصال الإلكتروني المباشر بين المتعاملين، وبذلك فهي

تستغني عن المستندات الورقية وما تستلزمه من نفقات، كما توفر في النفقات الإدارية ونفقات الاتصال وغيرها، حيث تعتبر بديلاً عن تخصيص جزء كبير من رأس المال في إقامة علاقات مستمرة بين البائعين والمشترين، كما أنها تسمح بإتمام عملية التوزيع رأساً للمستهلك.

وتسهم التجارة الإلكترونية في ترشيد القرارات التي يتخذها كل من البائعين والمشترين بما تتميز به من تدفق المعلومات بينهم في الوقت المناسب وبطريقة منسقة ودقيقة، ما يسمح بسهولة المقارنة بين المنتجات سواء من ناحية الأسعار أو الجودة أو طريق الدفع. - كما تعتبر ذات أهمية خاصة لكل من المنتجين والمستهلكين وبخاصة في الدول النامية، حيث إنها تستطيع التغلب على الحواجز التقليدية للمسافة ونقص المعلومات عن الفرص التصديرية.(٣)

محاذير شرعية

التجارة الإلكترونية يجب أن تخضع عملياتها لضوابط وأحكام الشريعة الإسلامية مثلها مثل التجارة التقليدية، ولكن هناك بعض المحاذير التي أشار إليها الدكتور محمد عبدالحليم عمر - رئيس مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي - وكانت في دراسة له بعنوان «التجارة الإليكترونية بين المباح والمحرَّم» وقال: هناك محاذير مثل التجارة في أنشطة تحرِّمها الشريعة مثل: السلع والخدمات المحرمة شرعاً، ومثالها في التجارة الإلكترونية وغيرها «الخمر والخنزير» وكذلك المنتجات التي تدخل فيها، ثم الأفلام والصور والكتب التي تحتوي على مواد غير أخلاقية، وللأسف فإن هذه المواد متاحة على الإنترنت ويتم تسليم بعضها إلكترونياً، والسبيل الوحيد لتلافيها هو الجدار الناري وهو حاسب موقعه بين الإنترنت من جانب والشبكة المحلية من جانب آخر، ويعمل كأداة لإبعاد الدخلاء والمتطفلين ومنع المواد التي تحرِّمها الشريعة.

ومنها منع الظلم الذي يقع على أحد المتعاقدين بعدم حصوله على حقه مع الوفاء بالتزاماته أو حصوله على أقل مما تعاقد عليه صفة أو كمية، وفي التجارة الإلكترونية يندر أن يحدث ذلك، وإن حدث فهو كما يحدث في التجارة العادية، غير أن الأمر الجدير بالذكر هنا أنه توجد مشكلة بالتجارة الإلكترونية تتمثل في حق الرجوع إلى البائع في حال تسلم الحق ناقصاً، ولذا يجب العمل على حل هذه المشكلة.

معوقات

ذكر خبراء اقتصاديون، في المؤتمر السنوي السادس للاستثمار وأسواق المال العربية، أن البلدان العربية متخلفة خمس سنوات على الأقل عن بقية دول العالم في تقنية المعلومات وتحتاج إلى استثمار ما يصل إلى عشرة مليارات دولار سنوياً لمجرد اللحاق بالدول المتقدمة...

وكانت أهم معوقات إنشاء تجارة إلكترونية في العالم العربي والإسلامي هي:

(١) قلة الاعتماد على شبكة الإنترنت كمصدر المعلومات وإجراء التعاملات المختلفة، فعدد المشتركين في شبكة الإنترنت في العالم العربي على سبيل المثال يساوي واحد في المئة من عدد السكان بينما يبلغ عدد المشتركين في الولايات المتحدة خمسون بالمئة من عدد السكان.

وهناك معوقات أخرى تذكرها ماجدة إسماعيل - عضو لجنة التجارة الإلكترونية، التابعة لجمعية إنترنت المصرية - من أهمها:

(٢) نقص التوعية والتعليم: حيث يعتبر نقص الوعي، أحد أهم معوقات تطبيق التجارة الإلكترونية في البلدان النامية.

يجب أن تخضع عمليات التجارة الإلكترونية لضوابط وأحكام الشريعة الإسلامية

(٣) البنية التحتية للتجارة الإلكترونية: يعد عدم توافر بيئة آمنة تناسب التجارة الإلكترونية، سبباً آخر، لقلة عدد المحاولات التي أجريت حتى الآن، لتطبيق هذه التجارة فعلياً، لكن لا يمكن اعتبار هذا الأمر، سبباً رئيساً لذلك. وستتوافر هذه الاحتياجات تلقائياً، عندما يبدأ الطلب على وجود سوق للتجارة الإلكترونية، وعندما تتوافر الإمكانات لإيجادها.

(٤) الافتقار إلى سلطة تصديق CA: سيؤدي توافر سلطة تصديق بين البائع والمشتري، إلى التوجه نحو تبني التجارة الإلكترونية.(٤)

الموقع المتميز

يمتاز الموقع التجاري الناجح على شبكة الإنترنت بخصائص عدة من أهمها:

- جودة التخطيط والتبويب وجمال التصميم.

- سهولة التصفح والتنقل بين أبوابه وصفحاته واستعراض المحتويات.

- يعطي التفاصيل الحقيقية للوضع الطبيعي له «مثل المقر ورقم الهاتف...».

- وجود نظام يؤكد للعميل طلبه ويسمح له بالفحص والتأكد أنه جار معالجة أو متابعة طلبه ومتى أرسل له وكذلك معلومات واضحة عن أمور تفصيلية وعلى سبيل المثال وقت الإيصال.

- درجة سرية عالية بخصوص المعلومات الشخصية عنك وعن خصوصياتك ■

الهوامش:

(١) التجارة الإلكترونية وداعا للأسواق التقليدية، دراسة منشورة في القسم الاقتصادي لشبكة إسلام «اون لاين».

(٢) التسوق الإلكتروني في البلدان العربية، عبدالقادر الكاملي، مجلة إنترنت العالم العربي، عدد مايو ٢٠٠٠.

(٣) التجارة الإلكترونية وداعا للأسواق التقليدية.

(٤) استراتيجيات التخطيط في التجارة الإلكترونية، م. ماجدة إسماعيل، بحث منشور على موقع «إنترنت العالم العربي».

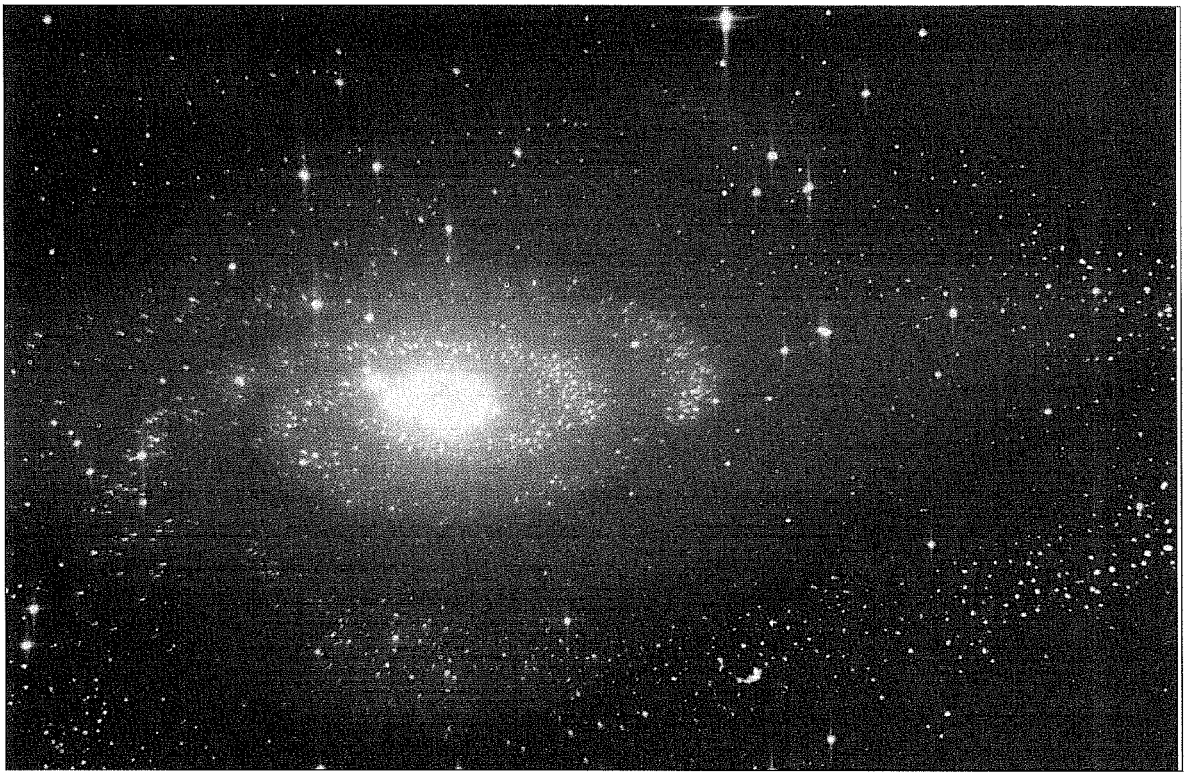

حكمة الله في الأحزمة الواقية من الإشعاعات

بقلم المهندس: سعد شعبان

من نعم الله الكبرى التي تتوقف عليها الحياة على الأرض، ضوء الشمس، والهواء، وكلا النعمتين جعلهما الله منحة بلا ثمن، ينهل منهما الغني والفقير على السواء، وينعم بهما الإنسان والحيوان والنبات.

وضوء الشمس المرئي، إشعاع مركَّب من سبعة ألوان ويصاحبه إشعاعان آخران غير مرئيين، هما الأشعة فوق البنفسجية، والأشعة تحت الحمراء والأولى تأثيرها على الأحياء كيماوي، أما الثانية فتأثيرها حراري ولقد عرفت للإشعاعات غير المرئية استخدامات مفيدة منذ سنوات طويلة، لكن لم تعرف مضارها إلا منذ سنوات معدودة وخصوصاً بالنسبة للأشعة فوق البنفسجية.

ومن رحمة الله بالبشر أن الغلاف الجوي فيه طبقة تحجب هذا النوع من الإشعاعات غير المرئية، ولا تسمح إلا بنفاذ قدر محدد

منه، هو القدر الآمن اللازم للحفاظ على صحة الإنسان.

وفي أعالي الفضاء توجد مصادر أشعة متعددة قاتلة ومهلكة هي «الأشعة الكونية»، الآتية من النجوم والمجرات، ومن رحمة الله بنا أن جعل خطوط المجال المغناطيسي بأسرها تجبرها على الانحناء بين طبقات تتركز فيها، لتشكل حزاماً يمنعها من مواصلة تدفقها إلى الأرض، هذه الأحزمة التي تقينا من الإشعاعات الضارة، هي موضوعنا لنسبح معاً بقدرة الله قائلين، (وإن تعدوا نعمدة الله لا تحصوها).

طبقة الأوزونوسفير

تستخدم الأشعة فوق البنفسجية في علاج بعض الأمراض مثل الكساح وهشاشة العظام، وفي كثير من الأمراض الجلدية. وقد اكتشف الأطباء أن التعرض لها لفترة زمنية طويلة يكسب الجلد اللون «البرونزي»، كما يحدث لرواد الشواطئ وينصح الأطباء الأمهات والآباء بتعريض أجسام أطفالهم لأشعة الشمس عندما تكون مائلة على الأفق، بعد الشروق وقبيل الغروب لتقوية العظام في مرحلة النمو.

وفي الوقت نفسه، فإن الأطباء يحذرون من طول فترة التعرض لهذه الأشعة، لأن الجرعات الكبيرة منها قد تحدث حروقاً في الجلد، ولأن ترددتها مرتفعة جداً، فإن طاقتها العالية يمكن أن تصل إلى الخلايا التي تحت الجلد، وتحدث بها خللاً فيسيولوجياً قد يتطور إلى صورة من صور الأورام.

وتوجد الأشعة فوق البنفسجية في ضوء الشمس بنسبة نحو من ٨٪، ولذلك فهي تحمل قدراً كبيراً من الطاقة كتيار من الجسيمات أو الفوتونات، لو تدفقت كلها إلى الأرض لأهلكت الحرث والنسل.

ولقد كشفت سلسلة الأقمار الصناعية الأمريكية التي توالى إطلاقها بين عامي ١٩٥٨م و١٩٦٨م تحت اسم «الكاشف» Explorer، عن انتشار غاز «الأوزون» Ozone بين ارتفاعي (١٨) و(٥٠) كيلو متراً، وعرف أنه السبب الأساسي في حجب الأشعة فوق البنفسجية عن الأرض، وقد أطلق على هذه الطبقة اسم طبقة «الأوزنونوسفير» Ozonosphere.

وقد أسفرت قياسات الأقمار الصناعية عن حدوث تفاعل كيماوي بين الأشعة فوق البنفسجية ومكونات هذه الطبقة، لأن غاز «الأوزون» بطبيعته صورة غير مستقرة من غاز الأوكسجين، فكل جُزيء منه يتكون من ثلاث ذرات للأوكسجين (أ٣)، بينما الأوكسجين عنصر مستقر تتكون كل جزيئاته من ذرتين متحدتين (أ٢). وسبب وجود غاز «الأوزون» على الصورة غير المستقرة في هذه الطبقة بالذات، هو تركز الأشعة فوق البنفسجية فيها، حيث تعمل على تفكك جُزيء الأوكسجين، وتصبح ذراته أكثر ميلاً إلى الانضمام إلى ذرات أخرى، لتكون جزيئات ثلاثية (أ ٣).

نعمتا الهواء والشمس جعلهما الله منحة لا ثمن ينهل منهما الغني والفقير على السواء

وقد كشفت الأقمار الصناعية أن أشد تركيز في طبقة «الأوزونوسفير»، يكون على ارتفاع بين (٢٨، ٣٠) كيلو متراً فوق الأرض.

ورغم أن «الأوزون» نسبته إلى باقي مكونات الغلاف الجوي ضئيلة، وفي بعض الأحيان قد لا تزيد عن واحد في المليون، فإنه غاز سام في الوقت نفسه، وشم قدر ضئيل منه يحدث تهيجاً في الجهاز التنفسي، لذلك فمن رحمة الله بالأحياء على الأرض، أنه لا يتكون على مقربة من سطحها، ولا يستنشقه الإنسان أو الحيوان مختلطاً بالأوكسجين، هذا فضلاً عن قدرته على إتلاف النباتات وبعض أنواع المنسوجات، والتفاعل مع المطاط وتحويله إلى مادة لزجة، وقد قاس العلماء مدى سمية «الأوزون»، وتأكدوا أنها تفوق مركبات «السيانيد»، والأستركنين، وأول أكسيد الكربون، كلها مواد وغازات شديدة السمية. ولكن لطف الله بمخلوقاته جعل له إلى جانب هذه الخصائص فوائد أخرى جليلة، منها قتله للبكتريا والفيروسات والطفيليات، كما أن نسبته في هواء هذه الطبقة ضئيلة، لأنه يتوزع بين مكوناتها بنسبة جزيء واحد من «الأوزون»، وسط كل مئة ألف جُزيء من الغازات الأخرى، ورغم ضآلة هذا التكوين فإنه يجدد نفسه بصفة مستمرة، لأن حال عدم الاستقرار والتفكك دائمة التكرار

بسبب استمرار سقوط الأشعة فوق البنفسجية عليه، ولقد كشفت قياسات الأقمار الصناعية أيضاً، أن طبقة «الأوزونوسفير» يحدث فيها ارتفاع عال في درجة الحرارة دون سائر طبقات الغلاف الجوي، بسبب التفاعل الكمياوي الذي يحدث بها، وأن اضمحلال غاز الأوزون فيها ينتج منه عواقب وخيمة، تؤدي لتسرب الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض، وبذلك تأكد أن هذه الطبقة الرقيقة من الأوزون، تعمل كمرشح يقي الأحياء على الأرض، من شرٍّ كان يمكن أن يلحق الضرر بكل صور الحياة عليها.

وتتراوح أطوال الأشعة فوق البنفسجية بين (٢٠٠، ٤٠٠) نانومتر (النانومتر = ١/ألف مليون متر = ١٠/١ أس (-٩) متر. ويمكن تقسيمها إلى ثلاث حزم فرعية هي:

الحزمة الأولى: (٢٠٠ ـ ٢٨٠) نانومتر: وهي أشعة قاتلة، وقد تحدث في الجسم الذي يتعرض لها أنواعاً من الأمراض السرطانية، ولكن غاز «الأوزون» يحجبها بالكامل ويمنع وصولها للأرض.

الحزمة الثانية: (٢٨٠ ـ ٣٢٠) نانومتر: وهي ضارة بالحياة ويمتص غاز «الأوزون» الجزء الأكبر منها، وإذا تعرض لها إنسان، فإن جلده يصاب بمرض «الماليـنوما» MALINOMA.

الحزمة الثالثة: (٣٢٠ ـ ٤٠٠) نانومتر: وهي غير ضارة نسبياً بالإنسان، ولايمكن لغاز «الأوزون» أن يمتص غير قدر ضئيل منها.

من ذلك يتبين أن الجزء الأكبر من الأشعة فوق البنفسجية تحجبه طبقة «الأوزونوسفير»، التي تعمل كأنها «نظارة شمسية كونية» تحيط بالكرة الأرضية، لتمنع وصول هذه الأشعة الضارة إلى البشر.

ثقب الأوزون

في العام ١٩٧٤م نشر العالمان الأميركيان «رولاند، ومولينا» بحثاً قررا فيه أن غاز «الكلوروفلورو كربون - (CHLORO FLORO - CARBON) يعتبر مصدراً مهماً لغاز الكلور في طبقات الجو، وأن الكلور يعمل كعنصر وسيط يمكن أن يقطع سلسلة تجدد غاز الأوزون في الغلاف

الإشعاعات فوق البنفسجية محيطاً بالكرة الأرضية من طرفيها، ويغمر أكثر الدول المتقدمة صناعياً

الجوي. وكانت هذه الحقبة الزمنية في السبعينيات قد شهدت تزايد كثير من الصناعات التي تستخدم غاز «الكلوروفلورو كربون»، ووضح أن هذا الغاز هو السبب الرئيس في حدوث «ثقب أو فجوة الأوزون».

وبدءاً من العام ١٩٨٢م عكف لفيف من العلماء، على رصد ظاهرة تجدد ونضوب «الأوزون» فوق القطب الجنوبي على مدى خمس سنوات، وتأكد لهم هذا السبب.

وفي عام ١٩٨٦م توجهت بعثة من علماء وكالة الفضاء الأميركية «ناسا» تتكون من (١٥٠) عالماً، إلى القطب الجنوبي، واستخدموا طائرتين وضعت بهما أجهزة رصد إشعاعي متقدمة لجميع عينات من هواء الغلاف الجوي على ارتفاعات عالية.

وقد تأكدت البعثة من أن الفجوة تتمركز فوق القطب الجنوبي في فترة الربيع، وقدرت مساحتها بما يعادل مساحة الولايات المتحدة الأميركية كلها، بينما يبلغ عمقها عمق ارتفاع «قمة إيفرست»، ولقد أسفرت القياسات عن أن غاز «الأوزون»

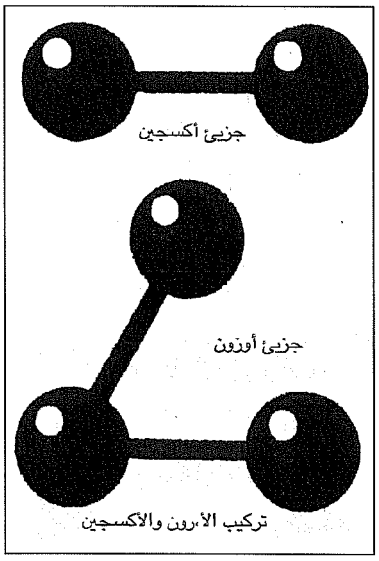

يتخلخل وينقص بنسب تتراوح بين ٤٠، و٥٠٪ من حجمه، ولكن استمرار القياسات أظهرت أن أطراف الفجوة، تمتد من منطقة القطب الجنوبي إلى مناطق مأهولة بالسكان في «الأرجنتين ونيوزيلندا وأستراليا»، وكان هذا بمثابة جرس إنذار، بأن تسرب الإشعاعات فوق البنفسجية من فجوة الأوزون آخذ في التفاقم، ثم قام لفيف من العلماء الكنديين والبريطانيين في العام ١٩٨٦م، باكتشاف فجوة أخرى فوق القطب الشمالي متمركزة فوق النرويج، وأسفرت القياسات عن أن نسبة نضوب الأوزون بها تبلغ ٢٠٪، وبذلك أصبح تسرب الإشعاعات فوق البنفسجية محيطاً بالكرة الأرضية من طرفيها، ويغمر أكثر الدول المتقدمة صناعياً.

وقد أشارت أصابع الاتهام إلى أن كارثة ثقب الأوزون ترجع إلى أربعة أسباب هي:

١ ـ الإسراف في استخدام «المرذذات»: مثل معطرات الغرف ومثبتات الشعر ومبيدات الحشرات والمنظِّفات، وكلها تحمل أسماء تجارية تنتهي بلفظ «سول»، وهو الوسيط الحامل للغاز المسؤول عن الكارثة بالدرجة الأولى، ونعني به غاز «الكلوروفلورو ـ كربون»، والذي يوصف بالاسم التجاري «الفريد»، الذي يستخدم في صناعات عدة أهمها المبردات والأجهزة الإلكترونية والرغويات مثل الإسفنج الصناعي والألياف الصناعية.

٢ ـ كثافة استخدام الطائرات النفاثة لأنها تقوم بتمزيق طبقة «الأوزونوسفير» في أثناء صعودها وهبوطها، فضلاً عن أن الغازات التي تنفثها من محركاتها، تحوي كماً هائلاً من الغازات التي تعمل على تفكيك غاز «الأوزون».

٣ ـ تعدد إطلاقات الصواريخ للأغراض العسكرية والمدنية، وقد قدر العلماء أن (٥٠٠) عملية إطلاق متتالية للصواريخ الكبيرة، كفيلة بالقضاء على غاز الأوزون الموجود في الغلاف الجوي بأكمله.

٤ ـ التفجيرات النووية: والتي تتصاعد بسببها آلاف الأطنان من الغازات إلى أعالي الغلاف الجوي.

ونتيجة لهذه الأسباب الأربعة، فإن الأشعة فوق البنفسجية التي تتسرب من فجوتي «الأوزون» الشمالية والجنوبية، تسبب

انتشار كثير من الأمراض. وتؤكد الأبحاث الطبية أن العلاقة أصبحت وثيقة بين سرطان الجلد وبين التعرض لجرعات زائدة من الأشعة فوق البنفسجية، وأن اختزان الجسم لهذه المؤثرات سنة بعد أخرى، قد يتطور وتصبح الإصابات السرطانية مؤكدة في الأنسجة التي تحت الجلد.

كما تأكد أن زيادة جرعات الأشعة فوق البنفسجية يتلف الخلايا المعروفة باسم «ابيديمال» EPIDEMAL

التي توجد تحت الجلد مباشرة، ويؤدي ذلك إلى إتلاف الحمض النووي «د.ن.أ» DNA المسؤول عن الصفات الوراثية للإنسان.

وهناك بحوث طبية متقدمة، أثبتت وجود علاقة بين زيادة جرعات الأشعة فوق البنفسجية وأمراض العيون مثل «المياه البيضاء» أو «الكتاركت» التي تحدث عتامة في الرؤية و«العمى الجليدي» في المناطق التي تغطيها الثلوج، وظهور أعراض الشيخوخة في أعمار مبكرة، وبخاصة تجعد أو «كرمشة» الجلد وضعف الجهاز المناعي في الجسم.

هكذا نرى أن الله خلق لنا حزاماً يقياً من مضار الطبيعة الإشعاعية، وأن نزق البشر قد ثقب هذا الحزام وبدد الفائدة منه.

الحزام الواقي من الأشعة الكونية

قبل أن نتعرض للحزام الثاني الواقعي من الإشعاعات الضارة بالحياة على الأرض، تلزم الإشارة إلى أنه يختلف عن الحزام الأول، بأنه عال في أعماق الفضاء، على بعد آلاف الكيلو مترات من سطح الأرض، كما يختلف عنه، في أنه يقياً من أضرار إشعاعات أخرى، هي الأشعة الكونية وهي تختلف في طبيعتها عن الإشعاعات الأخرى، بأن لها خاصية «اختراق» عالية جداً، فهي تستطيع النفاذ من لوح من الصلب سمكه متر، وبالتالي فإنها تستطيع أن تنفذ في الأرض إلى أعماق كبيرة، وقد اهتم ببحوث الأشعة الكونية علماء كثيرون من دول متعددة وتأكد أن مصادرها في الفضاء هي:

- العواصف الشمسية التي تصدر عن الشمس، أو «الرياح الشمسية».

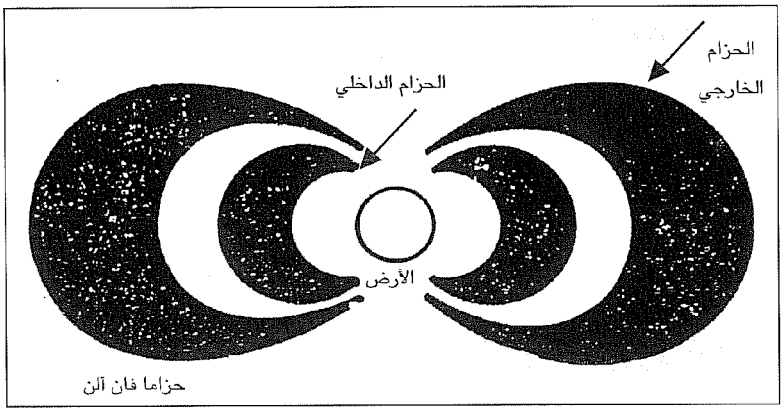

حزاما فان آلن

زيادة جرعات الأشعة فوق البنفسجية يتلف الخلايا المعروفة باسم «ابيديمال»

- النجوم المتغيرة اللمعان.

- المجرات التي تحوي ملايين النجوم.

وبعد جهود وقياسات متعددة لشدة الأشعة الكونية من هذه المصادر، أسفرت بحوث الفضاء عن اكتشاف الحزام الواقي منها، فبين عامي ١٩٥٨م و١٩٦٨م، أطلقت الولايات المتحدة الأميركية ٣٨ قمراً صناعياً في سلسلة أقمار «الكاشف» EXPLORER لإجراء قياسات علمية في طبقات الغلاف الجوي. وقد عكف العالم الأميركي الدكتور «جيمس فان آلن» JAMES VAN ALLEN على تحليل هذه القياسات، فاكتشف ظواهر لم تكن معروفة من قبل، وكان لها أثرها الكبير على تفسير سلوك الأشعة الكونية ومساراتها في الفضاء.

وكانت أولى هذه الاكتشافات، أن الأشعة الكونية التي تتجه نحو الأرض لا تتخذ مسارات مستقيمة، بل تنحني في خطوط تماثل تماماً خطوط القوى المغناطيسية وأنها تتكثف بين ارتفاعي (٢١٠٠، ٧٠٠٠) كيلو متراً فوق الأرض وأطلق على المحتوى الوهمي الذي يضمها اسم «حزام» (BELT). ولكنه لاحظ أن الحزام ليس له سمك متماثل، بل له طرفان مدببان قرب سطح الأرض فيما يشبه خطوط المجالات المغناطيسية، وقادته مواصلة تحليل القياسات إلى اكتشاف وجود حزام ثانٍ، أكثر عمقاً في الفضاء بين ارتفاعي (١٣,٠٠٠، ٢٠,٠٠٠) كيلومتراً، وينثني بالطريقة نفسها للحزام الأول. وقد قاد هذا الاكتشاف إلى تفسير سلوك الأشعة الكونية التي تتجه نحو الأرض بأن قوى المغناطيسية الأرضية تجذبها وتجبرها على تحويل مساراتها من خطوط مستقيمة، لتنثني مع خطوطها نصف الدائرية.

ويمكن تصور هذين الحزامين كأنهما «مصيدة» تجبر الأشعة الكونية على دخولها لتصبح أسيرة بين قوى مغناطيسية، وأمام هذه الحقيقة، نكشف أن الحزامين يمثلان درعين لوقاية الأحياء على الأرض من مضار الأشعة الكونية، ومن رحمة الله أن جعل هذه «المصيدة الكونية» مزدوجة إذا أفلتت بعض الأشعة الكونية من نطاقها الأول تصطادها قوى النطاق الثاني.

هكذا أعطي تحليل «فان آلن» لتركيز الأشعة الكونية في حزامين حول الكرة الأرضية، تفسيراً لرحمة الله بأهل الأرض، لوقايتهم من أشد أنواع الإشعاعات فتكاً ■

المراجع

١ - ثقب في الفضاء - بقلم الكاتب.
٢ - التلوث البيئي وخطره: د.محمد كمال عبدالعزيز - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.
٣ - التلوث البيئي وسبل مواجهته: د.محمد نبهان سويلم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.
٤ - أعداد متفرقة من مجلة AVIATIAN WEEK & SPACE TECNOLOGY.
٥ - أعداد متفرقة من مجلة SPACE.
٦ - أعداد متفرقة من مجلة ASTRONOMY.

رجال ومواقف

بقلم: محمد يوسف الجاهوش

كان ذلك لخمس مضين من رجب الفرد في السنة الخامسة عشرة هجرية، وقد تلاقت جيوش الروم وجيوش المسلمين على اليرموك من أرض الشام.

وبينما القتال على أشده، والجند يحطم بعضها بعضاً، إذ بالقائد «جرجه بن بوديها الأرمني» - وهو أحد قادة جيش الروم الكبار تحت قيادته خمسون أو ستون ألفاً، وكان نازلاً بإزاء يزيد بن أبي سفيان - يخرج من الصف، ويستدعي خالد بن الوليد قائد الجيش المسلم.

لبَّى خالد طلبه، وتقدم نحوه حتى اختلفت عنقا فرسيهما، وخالد مصغٍ بحذر، يرقب ما وراء طلب هذا القائد.

لم يطل تفكر خالد بهذا الأمر، فقد بادره القائد «جرجه» بما يدور في نفسه:

جرجه: يا خالد، أخبرني، فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله.

يا خالد، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه، فلا تسله على أحد إلا هزمته.

خالد: لا، ما ثمّة شيء من هذا.

جرجه: فبم سُميت سيف الله إذاً؟

خالد: إن الله بعث فينا نبيه، فدعانا فنفرنا منه، ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدَّقه وتبعه، وبعضنا كذَّبه وباعده، وكنت فيم كذَّبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصيها، فهدانا به، وبايعناه، فقال لي - صلى الله عليه وسلم: يا خالد، أنت سيف من سيوف الله، سله الله على المشركين، ودعا لي بالنصر، فسُميت سيف الله، لتسمية رسول الله لي، فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

جرجه: يا خالد إلامَ تدعون؟

خالد: إلى شهادة أن لا إله الله الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عزَّ وجل.

جرجه: فمن لم يجبكم؟

خالد: يؤدون الجزية، ونحميهم مما نحمي منه أنفسنا وذرارينا وأموالنا.

جرجه: فإن لم يعطوها؟

خالد: نؤذنهم بالحرب ثم نقاتلهم.

جرجه: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟

خالد: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا.

جرجه: هل لمن دخل في دينكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

خالد: نعم وأفضل.

جرجه: كيف يساويكم وقد سبقتموه؟!

خالد: إنا قبلنا هذا الأمر، وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبلغ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منَّا.

جرجه: بالله يا خالد، لقد صدقتني ولم تخادعني؟

خالد: تالله لقد صدقتك، وإن الله وليُّ ما سألت عنه؟

وهنا شعر «جرجه» أن نوراً خفياً بدأ يتسرب إلى قلبه، وأن حجباً كثيفة قد أزيحت عن صدره، وأن ما ذكره له خالد من موعود الله للمؤمنين المصدقين بهذا الدين قد أحاط به، ودنا منه كثيراً، فما عليه لينعم به إلا أن يمسك بمفتاح الإسلام ليلج من بابه إلى سعة رحمة الله عزَّ وجلَّ، وما أعده لعباده المؤمنين، فقلب ترسه، ومال مع خالد يناشده أن يعلّمه الإسلام.

لم يتوانَ سيف الله عن تلبية طلبه، ولا شغله عن مطلب «جرجه» حرج المعركة، ولا ضراوتها، بل أخذ بيده وأدخله خيمة، وصب عليه قربة ماء، وعلّمه نطق الشهادتين، ثم صلى به ركعتين، وخرجا لمتابعة سير المعركة، فوجدا القتال على أشده، والدولة للروم، حيث أزاحوا المسلمين عن مواقعهم، فنادى خالد بالناس ومعه «جرجه»، فثاب المسلمين إليهما واشتد القتال حتى لم يستطع المسلمون أداء صلاة الظهر والعصر إلا إيماء.

وانتهت المعركة بنصر مؤزر للإسلام وأهله، وتفقد خالد رجاله، فوجد «جرجه» مع الشهداء، ولم يصل لله تعالى إلا تلكما الركعتين اللتين ركعهما في الخيمة، فكانتا نور قلبه، ودليل دربه إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

درس وعبرة

متى صفا القلب، وصدقت النية، وتفتحت أبواب السماء، فلا تحجب دعوة، ولا يرد مطلب، وتدلت حبال الرجاء لانتشار الغارقين من حمأة الذنوب والمعاصي، فمن أخذ بطرف منها كان سبيله إلى النجاة.

وإذا لحظت العناية عبداً تبدد خوفه، وسهل أمره، وذل له كل باغٍ وعاتٍ، وكل جامحٍ ونفور.

ومتى وصل العبد حباله بخالقه، ونقَّى القلب من شوائب الآفات وجعل الهموم هماً واحداً، محصوراً في دائرة مرضاة الله عزَّ وجل، وانخلع من المثبطات - وما أكثرها - فاز بعز الدنيا، وسعادة الآخرة.

وإن في موقف القائد «جرجه» لعظمة وعبرة لأولي الألباب: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ■

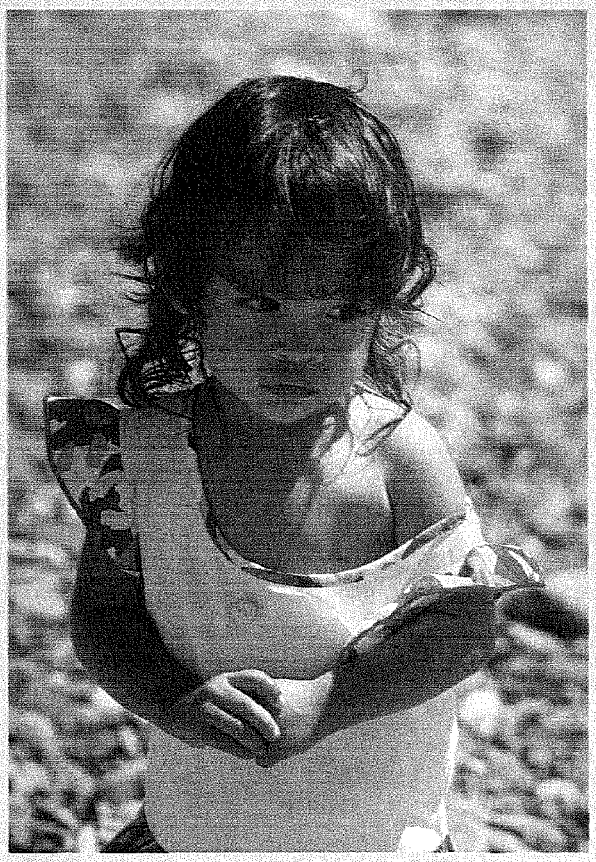

أسعد نفساً وأسعد الآخرين

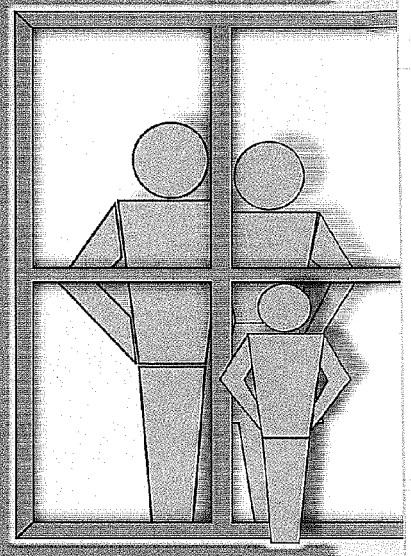

الأطفال.. وسوء المعاملة!!

التربية الجنسية للأطفال والبالغين من منظور إسلامي

هل يكون الخلع بإرادة الزوجة وحدها؟!

هل يكون الخلع بإرادة الزوجة وحدها؟!

بقلم: د.عبدالحميد إسماعيل الأنصاري
عميد كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

في مقاله الموجز (الخلع بين النظرية والتطبيق) - الوعي الإسلامي ٤١٢ - أجاد الباحث الأستاذ أحمد الحجي الكردي في توضيح أحكام الخلع وفي تعليله من أن الخلع يكون بتراضي الطرفين بأمرين:

١ - أن عقد الزواج، عقد رضائي بين الزوجين، فناسب أن يكون الحل برضاهما.

٢ - أن الزوجية قد تتعسر بسبب من الزوجة وحدها دون سبب من الزوج فيأبى أن يطلقها لما تكلفه من النفقة، ولا حلَّ إلا ببذل الزوجة تلك الكلفة. على أن فيما وضحة الباحث الكريم وعلله من «تراضي الزوجين» هو الشق الأسهل في الموضوع، وهو لا يكاد يثير خلافاً بين الفقهاء المعاصرين، ولكن ماذا عن الشق الآخر من الموضوع وهو الأصعب والمثير للجدل؟

ماذا إذا لم يتوافر رضا الزوج؟ ماذا لو رفض الزوج الإجابة إلى المخالعة؟ ألا يجوز للزوجة أن تلجأ إلى القضاء؟ وألا يجوز للقاضي أن يتدخل بالفصل بينهما؟

هذه التساؤلات لم يجب عنها الباحث الكريم وانطلاقاً من أنه لا حل إلا بالتراضي، وهو ما فهمته من تعريفه للمخالفة بأنها مفاعلة تقتضي المشاركة، ومن قوله «لو قالت الزوجة لزوجها: خذ مني كذا وأخلعني، فلم يخلعها، لم تنحل الزوجية» ومن استشهاده بقول ابن القيم: «ولا يحصل الخلع بمجرد بذل المال».

والذي أريد أن أصل إليه، هو أن الفقهاء حينما أفاضوا في بيان أحكام الخلع، وأنه بالتراضي، فذلك جرياً على الأصل السائد في زمنهم، إذ لم يكن متصوراً تمسك الزوج بزوجته الكارهة له - عناداً - وبخاصة إذا بذلت عوضاً، ولكن تغيَّرت أمور كثيرة بعد ذلك، وساحات المحاكم - في زمننا - ملأى بآلاف الحالات التي يرفض الزوج فيها الطلاق أو المخالعة - عناداً - وما الحل؟ لذلك اتجهت التشريعات والبحوث المعاصرة إلى تجاوز مسألة التراضي لعلاج حال عدم التراضي.

فما الحل إذا لم يتم التراضي؟

وللإجابة عن هذا التساؤل أوضح الحقائق التالية أولاً:

١ - يقول الله تعالى: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) فإذا كان ذلك حكم الله في التفريق الذي بغير مقابل، فمن باب أولى في التفريق الذي بمقابل. فالمرأة إذا كرهت زوجها، وتضررت منه نفسياً وعاطفياً، يُصبح الإمساك بها - رغماً عنها - من الإمساك المحرم، لم يترتب عليه من الأضرار والمفاسد والظلم والإثم، وما يؤدي إليه من أسباب العداوة والبغضاء والقطيعة بين الأسر.

٢ - في حديث امرأة ثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أمر ثابت بفراقها، والأمر للوجوب إذا لم توجد قرينة ولا قرينة صارفة هنا كما هو المنصوص في الأصول

المرأة إذا كرهت زوجها وتضررت منه نفسياً يُصبح الإمساك بها - رغماً عنها - محرما

ولا يُحمل على الندب أو الإرشاد إلا بقرينة واضحة، ولهذا قال الإمام الصنعاني في سبل السلام (١٠٧٤/٣) «إن أمر الرسول لثابت، أمر وجوب لا إرشاد».

٣ - قال الإمام ابن رشد - الفقيه المالكي الكبير - «والفقه أن الفداء - المخالعة - إنما جُعل للمرأة، مقابل ما بيد الرجل من الطلاق»، فالخُلع بيد المرأة يقابل ما بيد الرجل من الطلاق، مما يحقق العدالة بينهما.

٤ - ولهذا ذهب فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله تعالى - في فتوى مشهورة في الإذاعة إلى «وجوب إجابة المرأة إلى المخالعة إذا التزمت برد المهر، إذا لم تستطع البقاء مع زوجها، استناداً إلى الأدلة الشرعية وإلى قواعد الشريعة السمحة التي لا تقر الإضرار بأحد».

٥ - وأيَّد هذه الفتوى، قرار كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بتاريخ ١٣٩٤/١/٢١هـ، وجاء فيه «فإن تيسَّر الصلح

بين الزوجين... وإلا أفهم القاضي الزوج أنه يجب عليه مخالعتها، على أن تسلمه الزوجة ما أصدقها، فإن أبى أن يطلق، حكم القاضي بما رآه الحكمان من التفريق بعوض أو بغير عوض، فإن لم يتفق الحكمان، أو لم يوجدا، أو تعذرت العشرة بالمعروف، نظر القاضي في أمرها وفسخ النكاح حسبما يراه شرعاً بعوض أو بغير عوض» راجع التفريق بين الزوجين للضرر، فضيلة الشيخ عبدالقادر العماري، بحث مقدم للمنتدى القضائي الأول برئاسة المحاكم الشرعية في دولة قطر، شعبان ١٤١٩هـ.

٦ ـ يقول بعض العلماء في تعليل قوله تعالى: (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جُناح عليهما فيما افتدت به) لماذا خُصت المرأة بالفداء، مع أن الخوف من عدم إقامة حدود الله يشمل الزوج والزوجة معاً؟ قالوا: إن الرجل إذا كره المرأة فإنه يملك حق طلاقها، ولكنها إذا كرهته فلا تستطيع أن تُطلق إلا إذا أجابها أو بحكم القاضي، ومن هنا جاز لها أن تفتدي نفسها، وكان على الرجل أن يستجيب لرغبتها وألا يضيِّق عليها حتى تعطيه أكثر مما أمهرها به.

٧ ـ قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ «إن الخلع كما يكون بالتراضي بين الزوجين، مما يوجب أن يحكِّم القاضي حكمين عدلين، فإن استطاعا الصلح أصلح بينهما وإن لم يستطيعا، فرَّق بينهما خلعاً، ويوافق القاضي على ذلك».

٧ ـ أن المستفاد من وقائع الخلع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أمر الزوج أن يطلق الزوجة الكارهة له، فماذا لو أبى الزوج أن يطلق؟ لا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل قاض بعده، يملك إيقاع الطلاق جبراً عن الزوج كالطلاق للضرر، وللأسباب الأخرى كالغيبة وعدم النفقة والعنة وما إليها... وكذلك «الخلع» ولا فرق، والقول بغير ذلك، يجعل الرجل الذي لا ترضى زوجته بعشرته، قادراً على إمساكها على الرغم من إرادتها، وهو ما يخالف علة تشريع الخلع، وهو كونه للمرأة في مقابلة الطلاق المشروع للرجل (راجع محمد سليم العوا، ١٧/١/٢٠٠٠م).

٨ ـ إن التطليق «للخلع»، أيسر على بعض الزوجات من التطليق «للضرر» فكم من زوجة أصابها من الضرر أفدحه، فأحجمت عن اللجوء إلى المحكمة لتطلب التطليق لهذا السبب لأنها تأبى أن تلجأ إلى أقسام الشرطة شاكية زوجها الذي قد يكون أباً لأولادها حتى لا تسيء إلى نفسها وإلى أسرتها، وكم من زوجات تحملن العسف والمهانة خلف جدران بيوتهن حتى لا يكون ما يفعله بهن أزواجهن على مرأى ومسمع ممن تحتاجهن للشهادة إثباتاً للضرر، فيتعذر عليهن التطليق، فإذا ما حاولته تخلصاً من أسر الزوج المتعنت، وقعن في أسر القضاء الذي لا يقضي لهن بالتطليق إن قضى لهن إلا بعد سنوات، يذوي شبابهن فيها، ويدفع الأبناء ثمناً باهظاً، وقد تهدمت الأسرة ومضى كل من الزوجين في طريق، وتشتت الأبناء بينهما، وهو تشتت يدفع المجتمع ثمنه في النهاية، (راجع: نبيل محمد عبداللطيف الحامي: قانون الأحوال الشخصية).

٩ ـ إن القول بضرورة رضا الزوج في الخلع، لا يتنافى مع تقرير ولاية القضاء ورقابته على ممارسة كل من الطرفين لحقه في التراضي حتى لا يجنح الزوج به إلى التعسف ويسيء استخدامه من أجل الكيد والمعاندة،

تشتت الأبناء بين الزوجين يدفع المجتمع ثمنه في النهاية

والذي يتعين له الحق في النظر عند إساءة استعمال الحق هو القاضي، ولا يصح شرعاً أن يكون هو الزوج، إذ ليس من المعقول أن يحرم الله الإضرار عليه ثم يجعله حكماً على ما يصدر عنه من ضرر، فلا يجوز عقلاً أن يكون الشخص خصماً وحكماً أو مدعياً ومدعى عليه في آن واحد معاً، كما لا يستقيم أن يقرر الشارع الخلع لمصلحة المرأة عند توافر أسبابه، ثم يجعل تطبيقه رهناً برغبة الزوج وهواه، إذ في هذا مصادرة لما سنَّه الشارع من تشريعه، وشرع الله منزه عن هذا الهوى (راجع: عبدالله مبروك النجار ـ أستاذ الشريعة والقانون بالأزهر ـ الأهرام ٢٧/١/٢٠٠٠م).

١٠ ـ وإذا كان هناك من ذهب إلى أن الزوج لا يجب عليه إجابة زوجته إلى المخالعة، وإنما يندب له ذلك، فهذا محمول على ما إذا اعتقد الزوج بأنه يستطيع الإصلاح والوفاق، ولكن إذا اعتقد بعدم جدوى ذلك ولا أمل في الإصلاح، فعليه الإجابة، وإلا أثم بالإمساك المحرَّم.

١١ ـ وأخيراً، فإن الباحث الكريم نفسه، سبق أن ذكر في كتابه المتميز «فسخ الزواج» الصادر عن مكتبة اليمامة بدمشق، ص ٥٠٣: «هذا، والتخلص من جانب الزوج أمر ميسور، فهو يملك الطلاق لا معقب لأحد عليه فيه، ففي كل وقت يستطيع أن يستعمل هذا الحق لتنتهي الحياة الزوجية، وأما الزوجة فإنها لا تملك من حق الطلاق مثل ما يملك الرجل، فهل معنى هذا أنها ستبقى ملتزمة بالبقاء زوجة لمن لا تستطع التفاهم معه، وليس أمامها إلا الصبر على هذا البلاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وفي ذلك كل الظلم والعنت؟ والجواب: لا، لقد فتح الإسلام أمام هذه الزوجة الفاشلة في حياتها الزوجية إن بسبب منها أو بسبب من زوجها، أو بسبب تنافر طباعهما، ألا وهو الخلع، فإذا ما ساءت العلاقة الزوجية، وخشيت الزوجة على نفسها أن تضعف عن القيام بحق الزوج، كان لها أن تفتدي نفسها من زوجها» إلى أن يقول: «فالخلع إذاً بيد المرأة يساوي ما بيد الرجل من الطلاق مما يحقق العدالة التامة بينهما في ذلك» ثم استشهد الباحث في الكتاب نفسه بقول ابن رشد المتقدم.

وسؤالي للباحث الكريم ـ هنا ـ هل لا يزال الباحث الكريم متمسكاً برأيه المذكور في كتابه، أم نسي ما سبق أن خطَّه بيمينه؟ لأني وجدته متجاهلاً في مقاله الإشارة إلى قول ابن رشد، وهو قول فصل في هذا الموضوع لا مفر من الإقرار به بكل وضوح، والمسير إلى أن الشريعة الإسلامية تعطي المرأة حق الخلع، إذا التزمت برد العوض، إذا لم تستطع البقاء مع زوجها لبغضها له، وأنه على الزوج ـ وجوباً ـ إجابة المرأة إلى المخالعة، وبعد استنفاد وسائل الإصلاح والوفاق، فإذا تعنت الزوج وركب رأسه، وجب على المحكمة الحكم لها بالخلع بناء على طلبها بعد استنفاد وسائل الإصلاح، ولهذا وجب المسارعة إلى إدخال التعديلات اللازمة على التشريعات العربية التي مازالت متخلفة في هذه القضية، كما حصل في التشريع المصري الأخير، والتعديل المقترح هو «الخلع هو حل عقد الزواج بتراضي الزوجين بلفظ الخلع أو ما في معناه، على بدل تبذله الزوجة، فإذا رفض الزوج المخالعة أو تراجع بعد الموافقة ـ عنتاً ـ حكم القاضي بالتطليق بالخلع على أن ترد الزوجة للزوج ما بذله من مهر ـ عيناً أو نقداً ـ بعد استنفاد وسائل الإصلاح في مدة أقصاها ثلاثة أشهر» ■

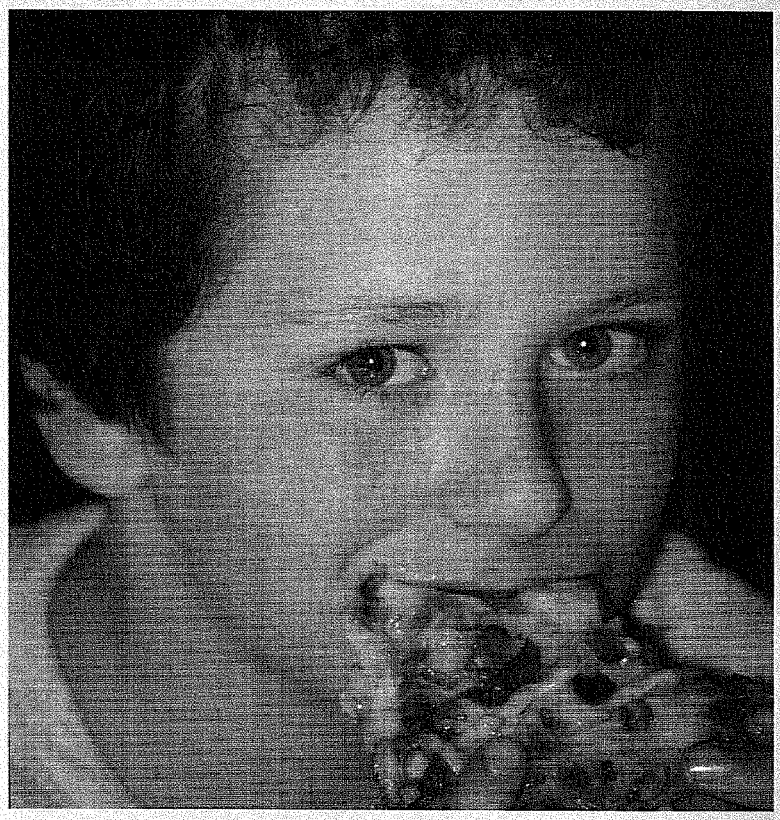

إرشادات استهلاكية للأسرة

بقلم: د. زيد بن محمد الرماني

اتسمت العقود الأخيرة من القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، بتطورات تنموية سريعة ومتعددة شملت جوانب الحياة المختلفة وكان لها الأثر على الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات مثل: وفرة الإنتاج وسرعة التوزيع وزيادة الدخل وتقدم وسائل الاتصال والاعتماد على فعالية برامج الإعلان.

بَيْدَ أن لهذه التطورات إفرازاتها السلبية التي مسّت حياة وسلوك الفرد، وكان من النتائج السلبية عادة الاستهلاك المتزايد لدى الأفراد.

إن إنسان اليوم تتجاذبه تيارات متعددة ذات بريق نحو مزيد من الاستهلاك والصرف وإن كان الاستهلاك في حد ذاته يعتبر سلوكاً طبيعياً للإنسان، للمحافظة على وجوده ولتلبية حاجاته ومتطلباته، وإذا تخطى هذا الاستهلاك الحاجات المطلوبة والأوليات، فإنه يعتبر سلوكاً سلبياً وتبذيراً، ويدخل في دائرة الخطأ والمحظور، فيلزم التدخل لمعالجته والوقوف في وجهه.

ومن ثمّ، كانت الحاجة ماسة لبعض الإرشادات والنصائح والتوجهات فيما يتعلق بترشيد استهلاك المياه، والكهرباء، والغذاء، والملابس، والأثاث، وكل ما له علاقة باقتصادات المنزل والمجتمع والدولة.

جاء في كتاب «اقتصادات المنزل وترشيد الاستهلاك» إعداد: د. وفيقة الحميدان ود. هدى التركي إصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج، إشارات عدة ونصائح مفيدة للأسرة في مجالات استهلاكية، استفاد منها الجميع بشكل كبير.

ترشيد استهلاك المياه

إن الماء عنصر أساسي للحياة، شاء الله تعالى أن يكون أصل الحياة ومنشأها، قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا تؤمنون) الأنبياء:٣٠، وقال عز وجل: (وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) الأنفال:١١.

ومن ثمّ، ينبغي المحافظة على هذه النعمة وعدم إهدارها دون فائدة، وللمحافظة على الماء ينبغي مراعاة:

١ ـ قفل الصنابير جيداً بعد الانتهاء من استعمالها.

٢ ـ إصلاح أي تلف أو عطل مباشر حتى لا يتسبب في فقد كميات كبيرة من الماء.

٣ ـ عدم التبذير في استخدام الماء عند غسل الخضار والفواكه، ومحاولة ملء إناء ماء وغسلها به.

٤ ـ الاقتصاد في الماء قدر الإمكان عند عمليات التنظيف اليومي أو الأسبوعي.

٥ ـ تحذير الأطفال من اللعب في الماء.

إن اقتصادات المنزل بمجالاتها المختلفة من مياه وتغذية وملابس وإدارة منزل ورعاية للطفولة تهتم بالأسرة التي هي نواة المجتمع، فإن صلحت صلح المجتمع كله.

خصوصاً أن الحياة في المجتمع المدني الحديث صارت أكثر تعقيداً وتداخلاً.

ترشيد استهلاك الكهرباء

إن التقدم العلمي أدى إلى زيادة الأجهزة والأدوات الحديثة المستخدمة في المنازل، وهذه الأجهزة والأدوات الحديثة إذا استخدمت بطريقة غير صحيحة فإنها ستؤدي إلى أضرار وأخطار تهدد سلامة الأسرة.

لذا، ينبغي أن يهتم جميع أفراد الأسرة باتباع القواعد الصحيحة للسلامة والتعليمات

الموجودة على الأجهزة، لزيادة الأمان في المنزل، ولحماية الأسرة من زيادة المصاريف الناتجة من استهلاك الكهرباء ينبغي إتباع الخطوات التالية:

١ ـ الحرص على عدم ترك الإضاءة ليلاً دون الحاجة لها، والتقليل منها قدر الإمكان.

٢ ـ عدم استخدام الإضاءة في النهار.

٣ ـ تعويد الأبناء على التجمع في غرفة المعيشة.

٤ ـ عدم تشغيل الأجهزة الكهربائية لمدة طويلة والحرص على اختصار الوقت والنفقات.

٥ ـ الحرص على قراءة كتيِّب التعليمات المرفق بالأجهزة الكهربائية.

٦ ـ الاستعانة بقراءة التوصيات الصادرة عن هيئة المواصفات والمقاييس.

إن الارتفاع في سعر الكهرباء، القصد منه ترشيد المستهلك للكهرباء، ودفعه إلى عدم الإسراف في استخدام الإضاءة أو الأجهزة الكهربائية المتعددة والمنتشرة في المنازل.

على ربة المنزل أن تكون أول من يحافظ على ميزانية الأسرة وتحاول الاقتصاد في النفقات.

ترشيد استهلاك الغذاء

اهتم الإنسان منذ القدم بحفظ الأغذية وكان التجفيف هو أول ما استخدم لحفظ الغذاء من الفساد، ويدل على ذلك الآثار القديمة التي اكتشفت، فقد عمد الإنسان للاستفادة من طاقة الشمس وحركة الهواء الطبيعية في تجفيف الأغذية، حيث تتوافر الخضراوات والفواكه بكميات كبيرة في أثناء موسم إنتاجها، مما يستوجب الحفاظ عليها بطرق عدة، لاستخدامها وقت ندرتها، وللمحافظة على الأغذية وترشيد استهلاكها ينبغي مراعاة:

١ ـ قيام المستهلك بشراء ما يحتاج إليه من طعام وغذاء بنفسه.

٢ ـ التخطيط لما يحتاج إليه المستهلك فعلاً من الأغذية وعدم الشراء عشوائياً.

٣ ـ مقارنة الأسعار بين أكثر من محل أغذية للاستفادة من فروقات السعر.

٤ ـ عدم التسرع في اختيار الأغذية، بل التمهل في الفحص والمقارنة عادة ما يوفر المال.

٥ ـ شراء الأغذية الطازجة في موسمها.

٦ ـ التأكد من تاريخ انتهاء الصلاحية لتلافي شراء أطعمة فاسدة.

إن عملية الشراء ليست عملية سهلة كما يظن

عملية الشراء ليست سهلة بل تحتاج إلى تفكير ودراية

بعض الناس، بل تحتاج إلى تفكير ودراية عند اتخاذ قرار الشراء.

وأول ما ينبغي مراعاته في أثناء عملية الشراء هو عدم الشراء أكثر من الحاجة، وشراء كميات الغذاء اللازمة لتجنّب التلف والفساد.

ترشيد استهلاك الملابس

مهما كان ما تنفقه الأسرة سواء كان جزءاً صغيراً أو كبيراً من دخلها على الملبس، فهو يتطلب تخطيطاً ومعرفة بالملابس وممارسات الشراء لإنشاء دولاب ملابس مناسب لجميع أعضاء الأسرة من خلال ميزانية محددة.

وللاحتفاظ بدولاب ملابس مناسب ينبغي مراعاة:

١ ـ تحديد احتياج كل عضو من الأسرة من الملابس طيلة العام.

٢ ـ تحديد الاحتياجات اللازمة من الملابس الجديدة.

٣ ـ تقدير تكلفة كل نوع من الملابس الجديدة لكي تتناسب التكاليف مع دخل الأسرة.

٤ ـ مقارنة التكاليف التقديرية للملابس الجديدة بميزانية الملابس المسموح بها.

٥ ـ الاستفادة من مواسم التخفيضات، دون الانسياق وراء أيّ تخفيضات.

٦ ـ الاهتمام بخياطة ملابس الأسرة ذاتياً لتوفير مبالغ نقدية لدخل الأسرة.

٧ ـ حفظ الملابس بطريقة سليمة وغسلها عند الضرورة.

ينبغي أن تبدأ حماية المستهلك في شراء الملبس بالمستهلكين أنفسهم، كما ينبغي أن تتطور اتجاهاتهم وتنمو نحو معرفة المشتريات، والرغبة في الحصول على أحسن نوعية مع أقل كمية نقود مع أخذ الحذر من العلامات التجارية المقلّدة والإعلانات المضللة.

ترشيد استهلاك الأثاث

إن عملية تأثيث المنزل من الأمور المهمة التي تواجه الأسرة نظراً للمبالغ الضخمة التي تحتاجها، ولكن ببعض الدراسة، والحكمة يمكن لربة البيت أن تجعل من بيتها نموذجاً للأناقة دون إرهاق لميزانية الأسرة.

وعند اختيار أثاث المنزل ينبغي مراعاة:

١ ـ الشراء من محلات موثوق بها، وعدم الاستعجال في عملية الشراء، إلا بعد التأكد من جودة الأثاث المختار.

٢ ـ عدم الانجذاب لضخامة المحلات ذات الديكور الفخم والأثمان المرتفعة.

٣ ـ الاقتصاد في شراء الأثاث واختيار ما تحتاج إليه الأسرة، ولا داعي لأن يكون المنزل معرضاً للمفروشات.

٥ ـ البساطة مع الذوق في تأثيث المنزل واختيار الأثاث.

٦ ـ اختيار الأثاث المناسب لحجم الغرفة المراد تأثيثها.

إن المنزل هو المكان الذي يأوي إليه الأفراد بعد مجهود يوم كامل، فالأب يذهب للعمل، والأبناء للمدارس، والأم للعمل، ومن ثمَّ فجميع أفراد الأسرة في حاجة إلى الجو المناسب والمكان الملائم، الذي يمكن توفيره من خلال غرفة الجلوس أو المعيشة، بشرط توفير المقاعد المريحة والإضاءة الكافية والمناظر البديعة وبعض الوسائل الترفيهية من أجل سعادة الأسرة.

لانضيف جديداً حين نقرِّر أن الحياة بمختلف جوانبها أصبحت متداخلة، بحيث دخل الإنسان في علاقات متشابكة لا فكاك منها.

ولا شك أن الاقتصاد المنزلي له علاقة كبيرة بالاقتصاد الوطني، فتعلُّم الفرد طرق حفظ الأطعمة، وتصنيع الملابس، والحفاظ على الماء والطاقة والكهربائية يساعد على زيادة دخل الأسرة، ومن ثمَّ يؤثر بدوره على الاقتصاد الوطني.

وما يبشِّر بآمال مستقبلية اهتمامات دول الخليج العربية، التي تبذل قصارى جهدها في سبيل تثقيف صحي ووعي غذائي لجميع أفراد الأسرة،والمجتمع بشرائحه المختلفة، ودعوتهم إلى الأخذ بالأساليب الصحية السليمة، وتعديل الأنماط والسلوك الخاطئ في مجالات الاقتصاد المنزلي.

فإذا كان التوجيه التربوي يعنى ـ في المقام الأول بالمدارس والجامعات ومناهج التدريس، بَيْدَ أنه لا محيص من التناول التربوي منذ النشأة الأولى، في البيت والمدرسة والحي والعمل بدءاً من الوالدين وانتهاء بالمجتمع ■

أسعد نفسك وأسعد الآخرين

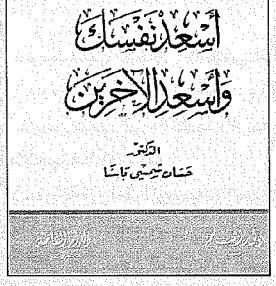

يقلم: د. حسان شمسي باشا
استشاري أمراض القلب في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة

السعادة ضالة الإنسان المنشودة، يسعى إليها في كل زمان، ويبحث عنها في كل مكان... وتختلف وسيلته في ذلك باختلاف الأفراد... وتتباين بتباين طبائعهم وبيئاتهم وظروفهم الخاصة، فمنهم من ينشدها في جمع المال، وحشد الثروة، ومنهم من يجدها في هواية، أو رياضة يقتل بها أوقات فراغه... ويبحث عنها آخرون في الجاه والسلطان وذيوع الشهرة، ومن الناس من يسعده إتقان مهنته، أو خدمة وطنه، أو إسداؤه الخير ومساعدة غيره... ولا يرضى بغير هذا أو ذاك بديلاً.

وهناك من لا يرى السعادة إلا في شقاء غيره... فإذا لم تنزل بهم نازلة، دس لهم في الخفاء واغتابهم، وطعنهم من وراء ظهورهم، ودبَّر لهم المكايد والشراك.

ومن الناس من يظن أن السعادة في الهروب من الحياة بشتى الطرق، فالحياة في نظر هؤلاء عبء لا يُطاق... وكسب العيش منهك للجسم والحب والوفاء والصداقة وسائر الفضائل كلها في اعتقادهم خرافات لا وجود لها إلا في عالم الأوهام، وتخلصاً من هذا وذاك، يعمدون إلى ألوان من وسائل النسيان باحتساء كميات من الخمر حتى الثمالة... أو إدمان المخدرات، وكلاهما يودي بصاحبه إلى أرذل الدركات، وأسفل السافلات... وبعضهم يلجأ إلى حبوب «المهدئات» يظن أنها تريح جسمه المُتعب وأعصابه المرهقة... وللأسف الشديد، فقد أسيء استعمال هذه الحبوب التي كان الغرض منها في الأصل معالجة حال معينة في ظروف خاصة. والذين يتناولون المهدئات - من دون سبب طبي وجيه - يلقون بأنفسهم في هاوية الإدمان، وما يصحب ذلك من مخاطر جسام.

السعادة: فن الاستمتاع بما تملك:

السعادة تصدر من أعماق النفس، وتنبعث من مزاجك وتفكيرك، ونظرتك إلى أمور الحياة، وطريقتك في مواجهة الأحداث، وفي رضاك عن نصيبك في هذه الحياة.

يدخل شخصان حديقة، فيريان وردة جميلة على غصن، ويهم أحدهما بقطفها، فيصاب بوخزة من شوكها، فيقول لنفسه: ما أقسى الحياة وما أشقانا فيها، حتى الورد أحيط بالشوك فلا نستمتع به، أما الثاني فيقول: لله در الحياة، ما أبهجها وما أحلاها، حتى الشوك قد وضع بين الورد الجميل.

وهكذا تختلف نظرة الناس إلى الحياة، فكل شيء في الحياة له وجه جميل... وآخر قبيح، فخذ الدنيا بوجهها الجميل، وحاول أن تنسى ذلك الوجه القبيح.

فالسعادة هي فن الاستمتاع بما تملك، والتأثر بالجمال دون القبح... والقدرة على كشف نواحي الجمال.

وليست السعادة مجرد الامتلاك، وإنما حسن استعمالنا لما نملك

على المرء أن يأخذ الدنيا بوجهها الجميل وينسى وجهها القبيح

السعادة في العمل لا في المال

والإقبال على العمل وسيلة من وسائل السعادة. فالعمل المثمر ينقذ صاحبه من وحشة الفراغ، وشرور البطالة.

والذي يحب عمله، وراضياً عنه، يعسد به حقاً، فالعمل على مضض ضرب من ضروب الإرهاق، ولكن الذين يصابون بالأمراض النفسية - بسبب كثرة الفراغ - أكثر ممن يصابون بها بسبب العمل المرهق، فالفراغ سيئ الأثر نفسياً، وتأثيره النفسي لا يقل عن تأثيره الاقتصادي.

وتزداد سعادة الإنسان بعمله. إذا هو لم يجعل الغرض منه مجرد جمع المال، أما إذا كان المال هدفه، فقد باع نفسه في سوق الرقيق، وأصبح مع الوقت عبداً للمال، فالسعادة الحقة لا تصيب الإنسان حسب ما يملكه من المال، وإنما حسب ما يفعل بهذا المال.

وليس المال ضرورة للسعادة، فقد يشقيك جمع المال ويؤذيك بإنفاقه، ويضايقك حفظه وتنميته، فالمال للحياة، والحياة للسعادة، فلا تضع لذة الحياة لأجل المال.

السعادة في إسعاد الآخرين

والحياة عمل تستفيد منه أو يستفيد منه الآخر، فإذا قدَّمت للآخرين خيراً. سعدت بذلك في الدنيا والآخرة، وإذا قدمته لنفسك وحدها، سعدت في تلك اللحظة وحدها.

ولعلك أكلت بعض الحلوى في أحد الشوارع العامة في بلد ما ولاحظت عيوناً جائعة تتمنى أن تذوق ما تأكل، فكّر في السعادة التي تغمرك حين تدعو طفلاً محروماً لتقدم له ما يشتهي من الطعام...

فليس أحب إلى القلب من أن ترى مظاهر السعادة على وجوه الآخرين.

فكِّر في إسعاد الناس، ولا تركِّز اهتمامك في نفسك، فذلك أول ما يقوِّض سعادتك، وابدأ بإسعاد زوجك وأولادك. فلعل بعضنا يجد سعادته في رعاية أسرته، ويحسُّ في ذلك اللذة كلها. فهو يحقق رغباته الشخصية... ويسعد نفسه بإسعاد من يحب، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «خيركم خيركم لأهله».

لا تكن عبداً لمهنتك

فلا يحسبنَّ أحد أن السعادة فقط في عمل الإنسان في مهنته، فهناك وسائل أخرى لكسب السعادة ينبغي السعي إليها... وإلا كان مثله مثلُ ذلك الرجل الأعزب الذي ظل حياته عبداً لمهنته، لا يعنيه شيء في الحياة سوى العمل في بقالته، يذهب إليها على كل صباح، ويعود إلى بيته الموحش في ساعة متأخرة من الليل ليرتمي في فراشه... حتى إذا ما أسفر الصبح... انطلق إلى دكانه لا يلوي على شيء... فلما أدركتهُ الوفاة - بعد أن جمع مبلغاً كبيراً من المال - وضع أحد أقاربه لوحة تذكارية على قبره... كتب عليها تحت اسمه هذه العبارة: «ولد إنساناً.. ومات بقالاً». وكذلك الواحد من الناس... قد يولد إنساناً... ويموت مهندساً... أو طبيباً... أو تاجراً... أو قلْ ما شئت من أصحاب المهن والأعمال!!.

السعادة في الإيمان

فلا شك أن السعادة الحقة تنبع في حديقة الإيمان وتنساب في جنباته، يقول فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي: «السعادة ليست في وفرة المال... ولا سطوة الجاه... ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة، ولا في العلم المادي.

السعادة شيء معنوي، لا يُرى بالعين، ولا يُقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يُشترى بالدينار أو الدولار.

السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه: صفاء نفس... وطمأنينة قلب... وانشراح صدر... وراحة ضمير.

السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان، ولا يستورد من خارجه.

وإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية، والقلب الإنساني، فإن الإيمان بالله وبالدار الآخرة هو ماؤها، وغذاؤها، وهواؤها، وضياؤها.

يقول الدكتور إبراهيم مدكور: وإذا شئنا أن نبحث عن أساس فلسفي للسعادة، فسوف نجده في الأخلاق، على أن تفسير السعادة لم يقف عند هذا الحد، فالأخلاق الدينية كلها تجمع على أن سبيلها طاعة الله، وامتثال أوامره، وغايتها: أن يشعر المرء بغبطة وهناءة لا حدَّ لهما، ويحظى بالنعيم المقيم، لا في هذه الدار فحسب، بل في الدار الآخرة.

ولستُ أرى السعادة جمع مال

ولكن التقيَّ هو السعيدُ

ويقول الدكتور كامل يعقوب: «الحقيقة التي لامستُها في حياتي - كطبيب - أنَّ أوفرَ الناس حظاً من هدوء النفس هم أكثرهم نصيباً من قوة الإيمان... وأشدهم تعلقاً بأهداب الدين».

فالإيمان هو ملجأ الإنسان الأمين... الذي يلوذ به إذا اعترضت حياته العواصف، واكتنفته الظلمات، ومن دونه يشعر أنه

السعادة هي فن الاستمتاع بما تملك والتأثر بالجمال دون القبح

شخص غريب تائه في مجاهل الحياة، لا يعرف لنفسه غاية، ولا لحياته مستقراً وهناء.

وقد حدث ذات مرة أن كان أحد الأطباء النائبين يمر مع أستاذه على بعض المرضى في أحد المستشفيات الجامعية، وكان الأستاذ رجلاً أيرلندياً واسع العلم، متقدماً في السن، ما جعل الطبيب الشاب - كلما صادف مريضاً قد زالت عنه أعراض المرض - يكتب في تذكرة سريره هذه العبارة: «شُفي ويمكنه مغادرة المستشفى»، ولاحظ الأستاذ علائم الزهو على وجه تلميذه، فقال له وهو يرنو إليه: «أشطب كلمة شُفي يا ولدي... واكتب بدلاً عنها كلمة «تحسَّن»، فنحن لا نملك شفاء المرضى، ويكفينا فخراً أن يتحسنوا على أيدينا، أما الشفاء فهو من عند الله وحده.

ويعلِّق على ذلك الدكتور كامل يعقوب قائلاً: «ولست أشك في أن مثل هذا الإيمان العميق - إلى جانب العلم الغزير هو من دواعي الغبطة الروحية والسعادة الحقة».

وقد لاحظ الطبيب الإسلامي الشهير «ثابت ابن قرة» الطريق الموصل إلى السعادة، فصاغه في عبارة قليلة جليلة فقال:

«راحة الجسم في قلة الطعام وراحة النفس في قلة الآثام وراحة القلب في قلة الاهتمام وراحة اللسان في قلة الكلام».

إن راحة الجسم في قلة الطعام، فالعقلاء هم الذين يأكلون ليعيشوا، والسفهاء هم الذين يعيشون ليأكلوا، يقول تعالى: (كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف:٣١.

وجاء في الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع».

وراحة النفس في قلة الآثام: لأن النفس أمارة بالسوء، لذلك كان أعدى أعداء الإنسان هوى نفسه، فإن استجاب لهذا الهوى قضى عليه، وإن حال بين نفسه وبين هذا الهوى استقام على الطريق، والله سبحانه وتعالى يقول: (قد أفلح من زكَّاها. وقد خاب من دسَّاها) الشمس:٩-١٠.

وراحة القلب في قلة الاهتمام: أي في قلة الهمِّ والحزن، لأن القلب الضعيف الجبان يفتح على صاحبه أبواب الوهن والقلق، فيبيت في همّ مقيم، فيندم على الماضي ويضيق بالحاضر، أما صاحب القلب الثابت فيؤمن بقضاء الله تعالى، ويؤمن بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له» رواه مسلم.

وراحة اللسان في قلة الكلام: لأن المكثار معثار، ولذلك أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «أمسك عليك لسانك».

وكان ابن عباس يأخذ بلسانه ويخاطبه قائلاً: «ويحك... قل خيراً تغنم... واسكت عن سوء تسلم... وإلا فاعلم أنك ستندم».

يقول فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي: «فهذا هو طريق السعادة في ضوء الدين، فإذا اتقى الجسم الإسراف في الطعام، واتقت النفس معاطب الآثام... واتقى القلب أثقال الهمِّ والاغتمام، واتقى اللسان لغو الكلام... فقد استقام المرء على الصراط، وأصبح من السعداء» ■

على ورق ملوث !!

بقلم: منى السعيد الشريف

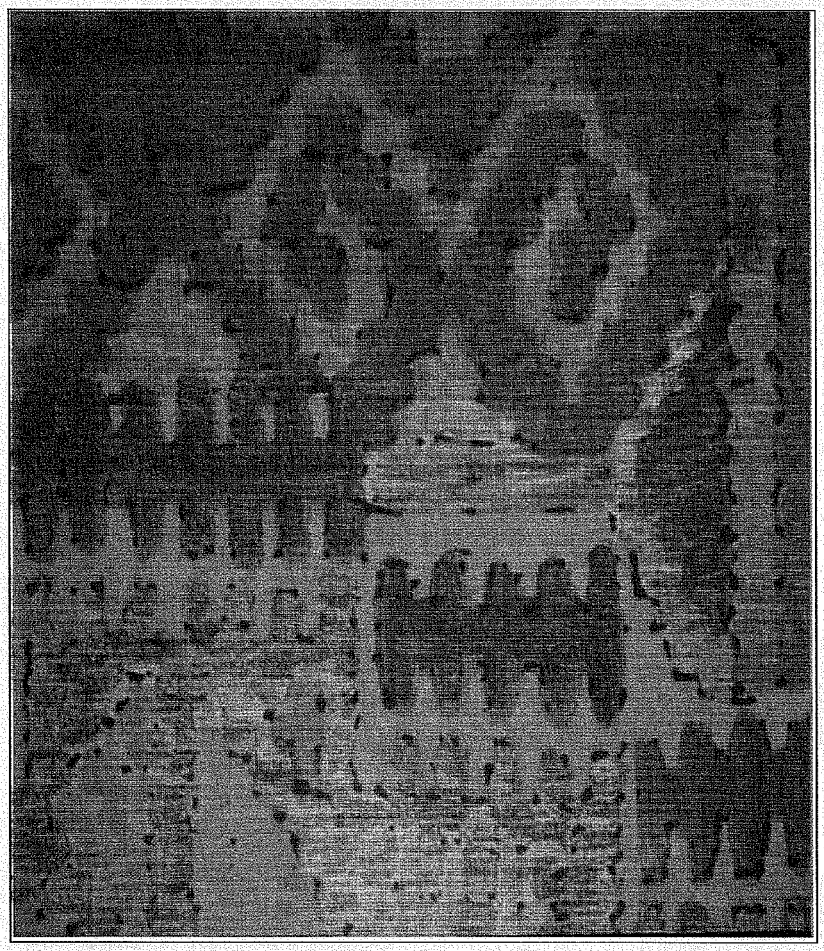

استبد به القلق والاضطراب وهو يجوب أرجاء حجرة مكتبه... تتقاذفه أمواج الحيرة إلى بحار هادرة من الأسى، وبين إقدام وإحجام يمسك بقلمه... ينقر به فوق سطح مكتبه... ينظر إليه طويلاً وتتصاعد الأفكار داخله وهو يحدِّث نفسه قائلاً: لابد من إنهاء هذه المهزلة واتخاذ موقف حاسم فلم يعد الأمر يحتمل أكثر من ذلك، لقد سامحته أكثر من مرة وتغافلت عن أخطائه ومخالفاته المالية الجسيمة، تعرضت بسببه لأكثر من أزمة كان يمكن أن تهدم كل ما بنيته طوال حياتي، ولكن كيف يكون ذلك وهو صديق العمر ورفيق الدرب الطويل، يحمل كل منَّا للآخر أياماً حلوة وذكريات لا تُنسى... كل صفحة من حياتي خطَّ فيها علامات لا تُمحى، ولكنه باع كل ذلك، باع أيام البراءة والمرح، أيام الصبا والأحلام، أيام العمل والكفاح، باع حتى أسرته وأطفاله عندما أسلم خطاه لشيطان مريد وعرف طريق السهر والكيف والغواية ينفق فيها دون وعي حتى أهدر ماله عن آخره، وبعد أن كان شريكاً لي في الشركة أصبح يعمل عندي كأي موظف، ولكنِّي لم أشعره بأي تغيير ولم أنزع منه أي سلطة كانت في يده، وحاولت إصلاحه بشتى الطرق ولكن عقله وإرادته سُلبا عندما سُلبت بصيرته، وامتدت يده إلى أموال الشركة، ونسي أنها أمانة قد وضعتها في عنقه أمام الله... فماذا بيدي أن أفعل أكثر مما فعلت معه؟ إن سكوتي وتهاوني معه قد يشجع باقي العاملين على الانحراف كما أن تصرفاته أصبحت لا تُطاق، لقد أصبح عضواً فاسداً لا مفر من بتره، وعموماً أنا لن أبلغ الشرطة بما قام به من مخالفات، سأكتفي بفصله من الشركة لعله يرجع إلى رشده، وبسرعة يخرج ورقة ليكتب قرار الفصل ثم يتراجع قائلاً: ولكن زوجته وأبناءه ليس لهم ذنب... لا... لا، هذا ليس مبرراً كما أني يمكنني مساعدتهم دون علمه، ويعود محاولاً كتابة القرار، ولكن القلم يتوقف بين أصابعه وهو يقول: ولكنه صديقي... رغم كل شيء هو صديقي... يا الله إنه لشيء ثقيل كيف سأواجهه بهذا

القرار، كيف يمكنني أن أنظر في عينيه؟... كيف استطاع هو أن ينسى كل هذا؟!

وينتبه على صوت دقات خفيفة على باب الحجرة فكأنها طوق نجاة مُد لغريق، فيسرع قائلاً: تفضل بالدخول ظاناً أنها زوجته «صفية» وينفتح باب الغرفة ليجد أمامه صديقة زوجته التي جاءت لزيارتهم، فتزيد رؤيته إياها من ضيقه ويستدير قائلاً: مرحباً يا سيدة «سميحة» هل من خدمة؟

سميحة: لقد ذهبت صفية لإعداد الشاي وأردت التحدث معك قليلاً.

الزوج: خيراً إن شاء الله.

سميحة وهي تضع لفافة كبيرة فوق المكتب: لقد علمت من صفية أنك شغوف بالقراءة والكتابة وقد أُهدي إليَّ نوع فاخر من الورق المستورد وأحببت إهداءه إليك.

الزوج: هذا كرم زائد منك، ولكن كان يمكن أن تعطيه لصفية... عموماً شكراً لك.

سميحة: لماذا تعاملني دائماً بهذا الجفاء، هل بدر منِّي ما يسوء؟

الزوج: قد ترين أنه جفاء، أما أنا فأرى أنها جدية في التعامل قد اعتدت عليها، كما أن طبيعة العلاقة بيننا لا تحتمل أكثر من ذلك.

تشعر ببعض الحرج ولكنها تواصل حديثها قائلة: على كل حال أنا لا أستطيع أن أغضب منك أبداً، فأنت لا تعلم قدر حبي لكم ولصفية والأولاد... وكم أتمنى أن تدوم صداقتنا وتقوى... إن صفية امرأة فاضلة طيبة القلب، ولطيفة أيضاً، قد تكون مهملة في نفسها ببعض الشيء ومشغولة بأبنائها أكثر مما ينبغي ولابد أنك تعاني كثيراً من ذلك، ولكنها امرأة طيبة ورغم أنها تختلف عنِّي ببعض الشيء، إلا أني أعتقد أننا يمكن أن نكون صديقتين حميمتين، ثم تستطرد مبتسمة: أتعلم أنها كثيراً ما تذكرني بأمي وجدتي، قد يرجع ذلك لنبتها في بيئة متوسطة اجتماعياً، فلم تتعلم كيفية المحافظة على مظهرها العام وأناقتها وفن التعامل مع الرجال الآخرين... ولكنها امرأة طيبة على أي حال.

الزوج: لم أرَ فيها يوماً شيئاً مما ذكرت، إن صفية امرأة طاهرة نقية، وزوجة صالحة تقوم بحقي وحق أبنائها على أكمل وجه، وقد أكرمني الله بها وهي في عيني كل نساء الدنيا.

سميحة: إنها امرأة محظوظة لارتباطها برجل مثلك فـ....

الزوج قاطعاً حديثها: أخبروني في العمل أنك حضرتِ مرات عدة لمقابلتي... وأنا آسف سيدتي فلم أتعوَّد إجراء المقابلات الخاصة في أثناء العمل، فإن كان هناك شيء مستقبلاً يمكنك أن تخبري به صفية وهي تقوم بإخباري.

سيمحة بغضب: لم أكن أدري أن زيارتي لك سوف تزعجك.

الزوج: عفواً سيدتي ولكنه مكان عمل.

سميحة وهي تهم بالانصراف: كن مطمئناً فلن يتكرر هذا.

يستوقفها قائلاً: إلى أين؟ أنت تنتظرين صفية أو الشاي على الأقل؟

تخرج سميحة غاضبة... ما هي إلا برهة وينفتح باب الغرفة من جديد لتدخل صفية حزينة واجمة وتجلس أمامه دون أن تنبث بكلمة واحدة فينظر إليها قائلاً: ماذا بك يا صفية؟ ماذا حدث؟

صفية: لقد سمعت عن دون قصد كل ما دار بينكما.

الزوج: حمداً لله، هذا لطفٌ من الله بنا... فلعلك أدركت الآن لماذا كنت أحذِّرك من تلك المرأة، لم أفصح لك عن محاولاتها ومطاردتها لي حتى لا أجرحك، ولكني أوضحت لك مراراً أنها تختلف عنك في كل شيء، في مظهرها وكلامها وسلوكها في كل شيء.... كل شيء، وطلبت منك أكثر من مرة أن تقطعي صلتك بها ولا تسمحي لها بدخول البيت، ومع ذلك أفاجأ بها اليوم هنا في بيتي.

صفية: لم أكن أعلم أنها بهذه البشاعة... حقاً إنها متبرجة صاخبة الصوت والمظهر والطباع ولكني كنت أمل في تغيرها وكثيراً ما كنت أتحدث معها في ذلك، وأنصحها وكانت تُبدي استجابة.

الزوج غاضباً: أي استجابة بالله عليك إلا أنها تستقبل كلماتك بابتسامة زائفة أو تمتدحك ببعض الكلمات؟ ولكن هل تغير فيها شيء، في سلوكها، في مظهرها؟ إني أسألك بالله لو أزالت ما على وجهها من أصباغ ومساحيق هل يمكنك التعرف عليها؟ فكيف تثقين في امرأة لست على ثقة من ملامح وجهها الحقيقية... كنت تأملين أن تتغير، ألم تخشي أن تغيرك هي أم تراك نسيتي أن الطبع لص.

صفية: لقد اتخذتها صديقة قربتها مني وعاملتها كأخت ولكنها لم تقدِّر هذا.

الزوج وكأنه يحدث نفسه: نعم... الصداقة والوفاء، الود والأخوة، كم هي كلمات جميلة، ولكن حين نحب أن نخطها لابد أن نخطها على ورق طاهر حتى لا نُسيئ إليها ونهدر قدسيتها، وأنت كنت تخطين بكلام طاهر عظيم ولكن للأسف على ورق ملوث... ثم يستطرد قائلاً: أحمدي الله يا صفية الذي حفظ لك بيتك فلو صادفت محاولات تلك المرأة رجلاً ضعيفاً لا يرعى حق الله ولا حق بيته من يدري ماذا كان يمكن أن يحدث.

وتهم صفية بالخروج لكنها تتوقف قائلة بتردد: هل ذهبت إليك كثيراً في العمل؟ وهل قابلتها هناك؟

الزوج مبتسماً: اطمئني يا صفية إن مثلي ومثلك كالأم وطفلها، فقد يرى الطفل نساء أجمل وأفضل من أمه في نظر الكثيرين، ولكنه أبداً لا يرضى عن أمه بديلاً، وأنا لا أرضى عنك من نساء العالمين بديلاً.

تترقرق دمعة امتنان في عيني صفية قائلة: يوماً ما سمعت أمي تقول: إن المرأة تستمد ثقتها بنفسها وقدرها من عيني زوجها ولسانه، ولكني لم أدرك مغزى تلك الكلمة إلا الآن... إنني أحمد الله أن رزقني زوجاً صالحاً تقياً مثلك.

الزوج ضاحكاً: الطيبون للطيبات يا أم أحمد... والآن يمكنك أن تتركيني قليلاً، فلدي ما أقوم به.

وتفتح صفية باب الحجرة لتخرج ولكنه يتنبه قائلاً: صفية انتظري لا تخرجي حتى تأخذي هدية صديقتك المزعومة وتخلصي منها بأي طريقة تشائين فلست في حاجة لها.

وتخرج الزوجة وتتركه جالساً في مكتبه ليخرج ورقة وهو يقول: نعم... لابد أن نخطها على ورق طاهر... ثم يبدأ في كتابة قرار الفصل ■

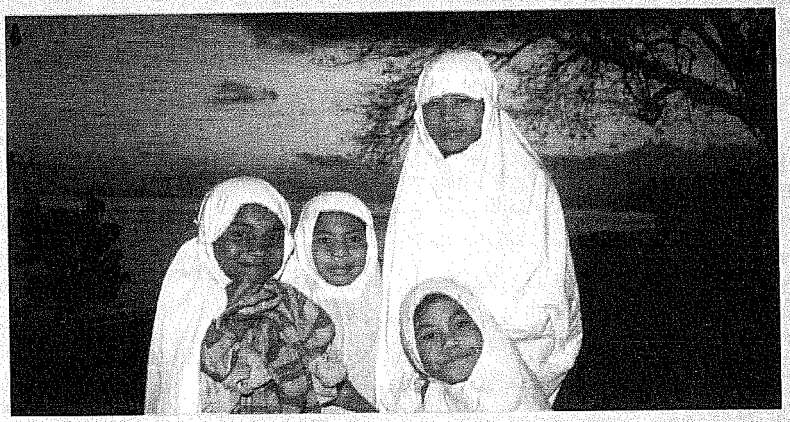

٢٢ أسلوباً تسهم في تقريب الأم من أبنائها

بقلم: سلوى فؤاد

يعد مركز الأمومة والطفولة في الكويت واحداً من أبرز الهيئات الأهلية التي تعني بشؤون المرأة والأسرة... ويشهد على مدار العام سلسة من المحاضرات واللقاءات والندوات التي يتحدث فيها المتخصصون في مجال شؤون الأسرة من الأكاديميين والعاملين في مجالات شتى تتصل اتصالاً مباشراً بالمرأة والأسرة والطفل.

نشاط المركز

كما ينشط المركز أيضاً في عقد ورش العمل وإجراء الدراسات الجادة التي تهم كل أفراد الأسرة، وبخاصة الأم كونها الأقرب والأكثر احتكاكاً بأولادها وتتحمل الجزء الأساس من مسؤولية التربية والتوجيه والإرشاد.

مجموعة إرشادات

وقد أصدر المركز مجموعة من الإرشادات الموجهة إلى الأمهات حول سبل التعامل مع أطفالهن تضمنت الكثير من النقاط المهمة وهي:

- عند التحدث إلى طفلك حاولي الاقتراب منه والمسح على رأسه أو لمسه فهذا يشعره بحبك له وحنانك.
- اخبري طفلك بأنك تحبينه، وأظهري مشاعرك له.
- أوقفي النقد والتوبيخ وافتحي معه الحوار.
- دعي طفلك يتحدث أمام الآخرين حتى يكسب الثقة بنفسه.
- استخدمي المدح والتشجيع لأي تصرف إيجابي أمام الآخرين.

الاقتراب من الطفل يكون بالمسح على رأسه أو لمسه فهذا يشعره بالدفء

- إسأليه عن رأيه في بعض الأمور العائلية ليشعر بذاته.
- علّميه الاعتماد على النفس وذلك بترتيب سريره وملابسه حتى لا يكون اتكالياً.
- اجعلي له دوراً داخل الأسرة حتى يشعر بذاته.
- لا تعاقبيه أمام الآخرين فهذا يضعف من شخصيته بل يفقده الثقة بنفسه ويشعره بمهانة.
- لا تلصقي به صفة سلبية «كسلان، عنيد، خجول... إلخ» فذلك يجعله يستمر فيها ويتطبع عليها.
- عندما تقولين لا، لا تقولي نعم.
- اقرئي له قصة بين الحين والآخر فهي تنمّي لديه الخيال والمعرفة اللغوية وحب القراءة وتشعره بالتواصل معك.
- الحوار مع الطفل يزرع الثقة بنفسه.
- علمي طفلك إلقاء التحية، وأن يقول شكراً، وأن يعتذر عندما يبدر منه خطأ.
- احتضني طفلك بين ذراعيك ليشعر بالأمان والدفء والحنان.
- عندما يبدر من الطفل خطأ لا تقولي له لا أحبك، بل قولي لا أحب هذا التصرف أو السلوك منك.
- الطفل يعاقب ذاته لا ستجلاب اهتمام الأم.
- كوني قدوة حسنة أمام الطفل لأنه يقتدي بك.
- أعدي نفسك لتربية طفلك عن طريق الاطلاع على الكتب وحضور المحاضرات.
- كوني إيجابية معه بقولك له: «افعل كذا» افضل بكثير من «ألا تفعل كذا».
- من أنجح الوسائل تعليم الطفل حسن التصرف مع غيره من الأطفال، ومعالجة ما يحدث من خلافات فور حصولها وإعطائه الدرس المناسب.
- عدم تخويف الأطفال لإجبارهم على تصرف معين، بل نشرح لهم وجه الأذية فيه حتى يقتنعوا بذلك ويتجنبوا التصرف الشائن ■

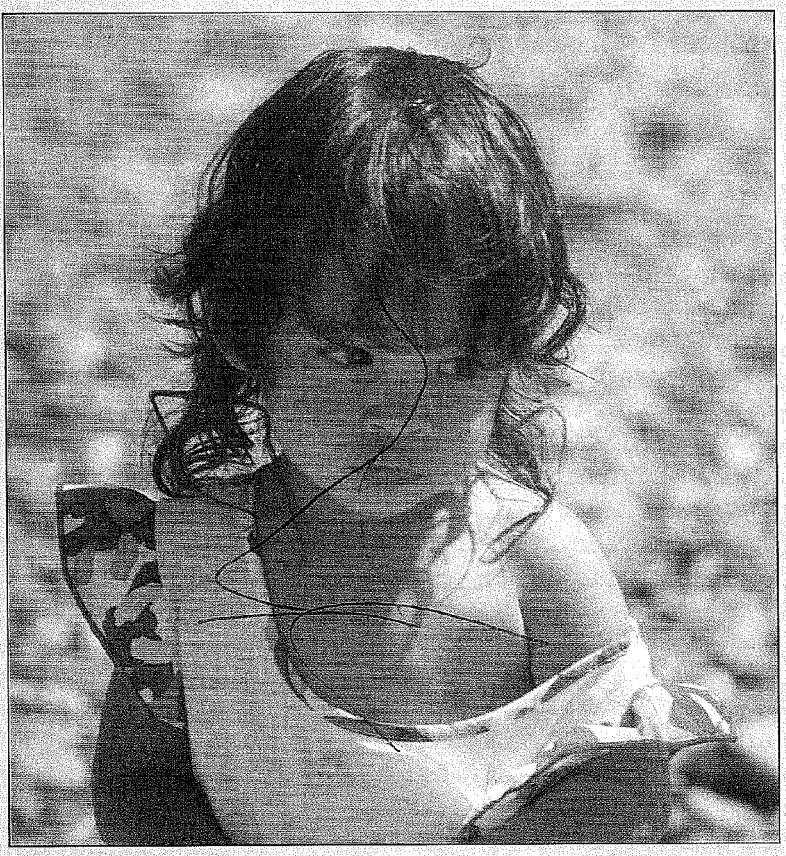

الأطفال.. وسوء المعاملة!!

بقلم: عبدالستار خليف

ترتفع اليد الخشنة الغليظة، عالياً... وتهوي على الوجه الطفولي الصغير!!. صفعة قاسية تدوي كالطبل، بلا رحمة أو شفقة...

هكذا - في كثير من الأحيان - تتم معاملة الأطفال الصغار الأبرياء من جانب الكبار الطغاة، وهي معاملة لا إنسانية، بل أسوأ معاملة تجاه الأطفال.

فعندما يخطئ الصغير، خطأ بسيطاً - كأن يسقط من يديه طبق على البلاط فينكسر، أو كوب من الزجاج فيتناثر إلى قطع صغيرة هنا وهناك، فتغتاظ الأم أو الأب أو الأخت الكبرى، وتهوي براحة يدها الثقيلة على وجه الصغير!!.

وهذا ما يحدث دوماً... نرفع أيدينا ونصفعه على وجهه أو خده دون إعطائه مهلة أو فرصة للتبرير أو الدفاع عن نفسه لنعرف ما الأسباب التي أدت إلى وقوع هذا الخطأ منه.

وأحياناً يضرب - الصغير - قطته، فتقفز الهرة هنا وهناك وتحدث إزعاجاً أو خللاً في ترتيب الحجرة أو تسقط زهرية من الزهريات فتتحطم ويكون نصيب الطفل «علقة ساخنة» بقدر غلاء ثمن ما تحطم من أثاث البيت. وعندما يلعب مع شقيقته الصغرى ويضربها أو تضربه هي ويذهب أحدهما باكياً وشاكياً إلى من هم أكبر سناً تكون النتيجة، هي الضرب أو الصفع أو الزجر أو النهي بقسوة وخشونة دون معرفة الأسباب أو الحل التربوي المناسب.

واذكر حالة لإحدى الأمهات كانت تعنف ولدها الصغير بشدة، وربما تضربه لأنه لم يحصل على العلامات - الدرجات النهائية في الاختبارات المدرسية، مثل شقيقه الذي يكبره ويتفوق عليه دراسياً، وهي لا تدري أن المشكلة هي في الفوارق الفردية بين الأولاد، وليست في إهمال أحدهما ونشاط الآخر واجتهاده، لدرجة أن وصل الأخ الأصغر إلى كراهية شقيقه الذي يتفوق عليه وتعامله الأم معاملة - خاصة - كريمة، بينما تعامل الصغير الخامل الكسول - من وجهة نظرها - معاملة سيئة مهينة!!.

يجب على الآباء والأمهات البحث عن أسباب عبث الطفل واعطاءه الفرصة للدفاع عن نفسه

ومن سوء معاملة الأطفال، عقاب غريب - على الطريقة الإنكليزية - قرأته أخيراً عن طفل يسير عارياً في الشارع حاملاً لافتة تقول: «أنا كسول وأتبول في السرير!!».

على الآباء والأمهات والكبار البحث عن الأسباب وإعطاء الصغير فرصة للتعبير والدفاع عن نفسه، ثم بعد ذلك معالجة أسباب هذه الظاهرة أو تلك بطريقة تربوية سليمة وليس عن طريق سوء المعاملة التي لها نتائجها الوخيمة على الطفل في مستقبل أيامه ■

التربية الجنسية للأطفال والبالغين من منظور إسلامي

تأليف: يوسف مدني
عرض: وفيق صفوت مختار

نستطيع القول: إن الكتاب الذي نعرض له هو كتاب في غاية الأهمية، لأنه استطاع أن يسدّ عجزاً شديداً ظلت تُعاني منه المكتبة العربية والإسلامية، حيث يُعالج موضوعاً على درجة كبيرة من الحساسية ألا وهو موضوع التربية الجنسية، فقد كنا بحاجة مُلحّة أن يكون بحوزتنا سند إيماني، وعقائدي إسلامي ونحن نتناول هذا الموضوع الحيوي ونتعامل معه... من هذا المنطلق رأينا أن نعرض لهذا الكتاب الذي صدر في زمنه وتوقيته - وإن كان قد تأخر بعض الشيء.

الكتاب من تأليف الأستاذ: «يوسف مدني»، واختار له عنوان: «التربية الجنسية... للأطفال والبالغين»، وهو صادر عن دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة أولى، ويتكوّن من ٣١٢ صفحة من الورق المصقول ذو الحجم الكبير. ينقسم الكتاب إلى قسمين رئيسين: القسم الأول: يتكوّن من خمسة فصول، والقسم الثاني: يتكوّن من ثلاثة فصول.

القسم الأول
التربية الجنسية للطفل المسلم
الفصل الأول

يتناول المؤلف في هذا الفصل أهمية البحث التربوي للتربية الجنسية بحيث يمكن الاستفادة من الحقائق التشريحية والسيكولوجية «النفسية» التي اكتشفها العلم الحديث، لأن هذه الاستفادة هي من صميم المنهج التربوي، وإن كانت هذه الحقائق أو النظريات ليست بديلاً عن كل القواعد الإسلامية المنظمة للسلوك الجنسي.

أما عن منهجية البحث التي اتبعها المؤلف، فهي الاعتماد على موقف الإسلام من أي مشكلة سلوكية أو تربوية، والمؤلف لم يحاول تحديد المشكلة من خلال نظرته الفاحصة إلى واقع الحياة فحسب، بل سعى إلى وضع المشكلة بين يدي الكتاب «القرآن الكريم» والسنة النبوية الشريفة، يستنطقهما، ويأخذ منهما حكمهما الموحد في هذه المشكلة ألا وهي مشكلة الانحراف الجنسي عند المميزين «الذين اقتربوا من عتبة البلوغ»، والأحداث والبالغين.

هل أهمل الدين السلوك الجنسي؟

يطرح المؤلف هذا التساؤل ثم يقدم الإجابة عليه، فالإسلام لم يعالج هذا الموضوع بلغة التكتم والسرية والغموض كما يدّعي بعضهم وهم في غمرة الهجوم على الإسلام، وأن هذه السرية لم يصنعها الدين وإنما صنعها الناس أنفسهم، لأن النصوص المنظّمة للسلوك الجنسي في غاية الصراحة والمكاشفة.

حصار المشكلة في بنية العائلة

جاء هذا العنوان الجانبي ليختتم به فصله الأول، حيث يؤكّد المؤلف أن هناك نتائج سلبيّة تترتب على مشكلة الانحراف الجنسي بين المراهقين والأطفال والمميزين أهمها هو ظهور عدد كبير يمثل قطاعاً واسعاً من الأمة لا يعرفون من قواعد التربية الجنسية الإسلامية شيئاً يُذكر. وهناك خطورة أخرى تتجلى في مجالسة الصغار للكبار المراهقين، الذين قد يتناولون أحاديث عن الجنس فتهفو نفوس الصغار إلى التقليد والتأسي والكل يعرف خطر هذا التقليد، أما السلبية الثالثة فتظهر في أن دخول الصغار والمراهقين في موضوعات تتسم بالجنس قد يقابل بالعنف، فيفرض عليهم نوعاً من القهر العائلي أو المؤسساتي، وهنا يلجأ المراهقون إلى مصادر أخرى هرباً من هذا القهر، وبحثاً عن متنفس لتفريغ الشحنة الانفعالية المصاحبة لهذه الشهوة.

النصوص الإسلامية المنظمة للسلوك الجنسي في غاية الصراحة والمكاشفة

الفصل الثاني

تحت عنوان: العوامل المؤثرة في نمو مشكلة الانحراف الجنسي عند المراهقين والأحداث والمميزين، يحدد المؤلف فيه ثلاثة عوامل رئيسة تؤدي إلى نشوء هذه المشكلة:

أولاً: الاختلال الهرموني: السلوك الجنسي عند الفرد يرتبط بالهرمونات التي تفرزها الغدد التناسلية والتي تنشط بعد ضمور كلٍ

من الغدة الصنبورية والغدة التيموسية، وعلى ذلك، فإن فترة الطفولة المتأخرة «من ٩ إلى ١٢» فترة كمون جنسي، ولكن يظهر أحياناً عند بعض الأطفال عكس ذلك، أي يظهر نشاط جنسي، وهذا يرجع إلى اختلال في الهرمونات التي تفرزها الغدة الصنوبرية ما يؤدي إلى نمو جنسي سريع عند هؤلاء الأطفال لا يتناسب بالطبع وطبيعة المرحلة.

ثانياً: القابلية الوارثية للانحراف الجنسي: من هذه القابليات:

أ ـ الصفات الوالدية: حيث يحمل الوالد ـ عادة ـ بعض الصفات الأخلاقية أو المزاجية أوالسلوكية التي تنتقل إلى الأبناء وراثياً، ومن هنا يوصي المشروع الإسلامي بعدم الزواج من البغي، والمرأة المستعلنة بالزنى، حتى يعرف عنها التوبة «مكارم الأخلاق ص ٢٠٤».

جـ ـ ملابسات الجماع: بالرغم من اهتمام المشروع الإسلامي بتنظيم مسألة العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، إلا أنها مازالت غامضة، وإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى الإمام علياً رضي الله عنه بهذه المستحبات والمكروهات «انظر مكارم الأخلاق ص ص ٢٠٨ ـ ٢١١، باب آداب الزفاف».

والمؤلف يوضح المقصد من «القابلية الوراثية» بأن الإنسان لايولد منحرفاً، فهذا التصور لا أساس له في الإسلام، ولكن المراد به أن هذه «القابليات تجعل الإنسان على درجة كبيرة من الاستعداد للتفاعل مع كل أثر سيئ يشجع على ارتكاب المعصية.

ثالثاً: العوامل البيئية المشتركة: يؤكد المؤلف أن أساليب التربية ومفاهيمها الخاطئة هي المسؤول الأول عن أخطاء السلوك، لا في مجال الجنس وحده، وإنما في كل أنماط السلوك والعادات والقيم، ولا يخفى على أحد أن الوعي بأهمية التربية الجنسية المبكرة للطفل لدى كثير من الآباء والأمهات يكاد يكون معدوماً، مما ترتب عليه ظهور أجيال من الشباب والناشئة أصبحت تتعامل مع قضية الجنس وأحكامها الإسلامية بجهل تام، فظهرت الانحرافات الجنسية.

وفي ختام هذا الفصل، وتحت عنوان: عوامل التربية الجنسية الخاطئة، يقدم لنا المؤلف عشرة عوامل تؤثر على السلوك الجنسي للمراهقين والمميزين وهي:

١ ـ جهل الآباء بالتربية الجنسية.

٢ ـ المنبهات الجنسية العادية في الأسرة.

٣ ـ عدم تدريب الطفل على الاستئذان.

٤ ـ التجاور في المضاجع.

٥ ـ تقليد السلوك الجنسي.

٦ ـ منع تساؤلات الطفل الجنسية.

٧ ـ زينة المرأة.

٨ ـ التقبيل وتحسس الأعضاء الجنسية.

٩ ـ إهمال الأهل مراقبة أجهزة الإعلام.

١٠ ـ رفاق السوء.

هذا علاوة على مجموعة العوامل المادية والمناخية مثل: الفقر وضيق المسكن، المناخ وأثره في النضج الجسمي المبكر.

الفصل الثالث

للإسلام فضل السبق في تنظيم عملية الإعداد الجنسي للأفراد قبل سن البلوغ

تحت عنوان: «حقائق جنسية بين العلم والتربية الإسلامية» يؤكد المؤلف أنه على الرغم من التقاء علماء الجنس والنفس مع المشروع الإسلامي حول بعض الحقائق الجنسية، إلا أن هذا الالتقاء يجعل للإسلام فضل السبق التاريخي في التأكيد على القواعد السليمة التي تنظم عملية الإعداد الجنسي للأفراد قبل سن البلوغ.

وعن أهمية الإعداد الجنسي للطفل يقول المؤلف إن المشروع الإسلامي قد اتفق مع العلم الحديث حول ضرورة تثقيف الطفل المميز بأسس الحياة الجنسية وأحكامها الفقهية استعداداً لتنظيم نشاطها خلال فترة المراهقة.

ثم يبدأ بعد ذلك المؤلف في عرض لأهم الأساليب التربوية التي يجب أن تتبع كما جاءت في المشروع الإسلامي:

١ ـ الحديث عن الجنس بواقعية: المشروع الإسلامي يرى أن يكون هذا التثقيف بلغة تتفق مع آداب الإسلام ونظامه الأخلاقي.

ب ـ الاحتشام والتعري: المشروع الإسلامي أصرَّ على تربية الصغير على الاحتشام وستر عورته، بل حدد آداباً لنظر البالغين إلى جسمه سواء كان هؤلاء البالغين من الأجانب أو المحارم أو الأشقاء.

جـ ـ التفرقة بين الأبناء في المضاجع: المشروع الإسلامي لا يحتاج إلى إثبات في هذه النقطة، فالنصوص الإسلامية واضحة وجلية في هذا المقام.

د ـ الاستئذان: الاستئذان قاعدة سلوكية وأخلاقية دعا إليها المشرع الإسلامي من قبل، وحض المؤمنين على التقيد بآدابها، وتعويد صغارهم على ضوابطها «انظر سورة النور، ٥٨، ٥٩».

هـ ـ وقت مبكر للإعداد والتهيؤ: المشروع الإسلامي يدعو للعناية بتربية الطفل جنسياً، وإعداده لتقبل التغيرات النمائية اللاحقة في فترة البلوغ ومابعدها.

ويختتم المؤلف هذا الفصل بتأكيده على أن الأب هو مرشد ومُعلِّم لابنه الذكر، كما أن الأمَّ مرشدة ومعلِّمة لابنتها الأنثى سواء في عملية التثقيف الجنسي، أو في اكتساب الأحكام الشرعية الخاصة بهذا الشرط.

الفصل الرابع

«التربية الجنسية للطفل المسلم» هو عنوان الفصل الرابع من الكتاب، ويبدأ المؤلف تعريفه للتربية الجنسية على أنها: تعطي الطفل الخبرة الصالحة التي تؤهله لحسن التكيّف مع المواقف الجنسية في مستقبل حياته، ويترتب على إعطاء هذه الخبرة أن يكتسب الطفل اتجاهاً عقلياً صالحاً إزاء المسائل الجنسية والتناسلية.

ثم يُحدد المؤلف بعد ذلك مميزات التربية الجنسية وهي كالتالي:

١ ـ ربَّانية التربية الجنسية: بمعنى أن التعاليم الجنسية مستمدة من توجيهات الله عز وجل.

٢ ـ إنسانية التربية الجنسية: فالنظرة الإسلامية في تربية الطفل جنسياً تمتاز بالوازع الإنساني الذي يؤكد دائماً على كرامة الإنسان واحترامه وقدسيته.

٣ ـ تربية جنسية متكاملة: فقواعد التربية الجنسية مترابطة، بحيث لا يجوز للمربي أن يتساهل فيها.

٤ ـ استمرار التربية الجنسية: طالما أن النشاط الجنسي يحتاج دائماً لعملية ضبط مستمرة بسبب عنفوان الانفعالات المصاحبة له سواء كانت حقيقية أو غير حقيقية «من قبيل التقليد» فإن التربية الجنسية تظل كذلك مستمرة حتى نهاية العمر.

٥ ـ الواقعية: تتوجه التربية الجنسية الإسلامية نحو هدف واقعي مقصود، أو تنطلق من حقائق علمية، والمشرع الإسلامي يضع أحكامه الواقعية لمعالجة شؤون الجنس وما يتصل بها من تغيرات فسيولجية ونفسية.

٦ ـ التدرج في التعليم والتدريب الجنسي: يأمر المشرع الإسلامي المربي المسلم بالتدرج في عملية تدريب الفتى المميز على قواعد التربية الجنسية، حيث لا يبدأ في خطوة جديدة حتى ينتهي من تثبيت سابقتها في شخصية الفتى.

الفصل الخامس: جاء عنوان: «التربية الإسلامية وتحسين السلوك الجنسي»، ويستهل المؤلف هذا الفصل بتوضيح المقصود «بتحسين السلوك الجنسي» فهو عبارة عن مجموعة من الخطوات والإجراءات والقواعد الوقائية والعلاجية التي يتبعها المربي المسلم في تربية أجيال مسلمة جديدة خالية ـ بفعل التعديل الإسلامي المستمر ـ من كل الاستعدادات الوراثية للانحراف الجنسي، أو قادرة ـ بفعل تدخل البيئة الإسلامية ـ على تحقيق العفة الجنسية والتكيُّف السليم مع المواقف الجنسية في فترات البلوغ، وما قبلها، وما بعدها.

ثم يحدد المؤلف بعد ذلك خطوات تحسين السلوك الجنسي في النقاط التالية:

أولاً خطوات التحسين الوراثي وتشمل:

أ ـ الانتقاء الزوجي: فالمشروع الإسلامي نهى عن الزواج من المرأة المستعلنة بالزنى، أو الرجل الذي يعيش في أجواء هذا الانحراف الجنسي.

ب ـ ملابسات الجماع: بحيث نتجنب الحالات المسببة للانحراف الجنسي وقت الجماع، والحرص على التقيد بالحالات الجنسية المساعدة على العفاف، ثم التأكيد على الطابع الروحي للجماع.

ج ـ الرضاعة:: أكد الفقهاء على وجوب اختيار المرضعة العفيفة سواء كانت أماً أصلية أو بديلة.

ثانياً: خطوات التحسين البيئي للسلوك الجنسي: يلاحظ أن قواعد التربية الجنسية لا

الاسلام يربي شخصية المسلم على تجنب المثيرات الجنسية بتقوية عنصر التقوى لديه

تتم تطبيقاً خلال فترات ما قبل التكليف وبخاصة في حال الطفولة المتأخرة، كما أن هذه القواعد ضرورية لحماية الشاب المسلم والفتاة المسلمة من مفاجآت التغيرات الحيوية التي تتميز بها مرحلة البلوغ المبكر.

وقد حدد المؤلف قواعد احتياطية عدة للتربية الجنسية للطفل هي:

١ ـ تثقيف الطفل جنسياً وفقهياً.

٢ ـ الاستئذان وتعيين ضوابط النظر والتستر.

٣ ـ التفريق بين الأبناء في المضاجع.

٤ ـ المسكن الملائم.

٥ ـ مراقبة حالات النضج الجنسي المبكر.

٦ ـ تعيين الحلال والحرام في برامج أجهزة الإعلام.

القسم الثاني
التربية الجنسية للبالغين
الفصل السادس

يبدأ القسم الثاني من الكتاب بهذا الفصل الذي يحمل عنوان: «قواعد التربية الجنسية للبالغين»، في البدء... يوضح المؤلف الفرق بين مصطلح «البلوغ الجنسي» Puberty ومصطلح «المراهقة» Adolescemce، فالبلوغ الجنسي: يعني قدرة الفرد على الإتسال، أي اكتمال الوظائف الجنسية عنده، أما مصطلح المراهقة فيشير إلى التدرج نحو النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي.

وتحت عنوان: «السيطرة على الدافع الجنسي والصحة النفسية» يوضح المؤلف أن المشروع الإسلامي قد وضع نظاماً عاماً يحفظ عمل الطاقة الجنسية، ويستند هذا التنظيم إلى دعائم ثابتة، منها الاعتراف بالجنس كطاقة حيوية مهمة زوَّد الله بها عباده لاستمرار النوع البشري، كما أضفى المشروع الإسلامي على الفعل الجنسي صبغة روحية، واعتبرها سلوكاً عبادياً يُثاب عليه المرء أو يعاقب، كذلك... فإن الإفراغ الجنسي الحلال يُحقق للفرد المسلم إشباعاً لدوافع نفسية أخرى كالانتماء إلى جماعة جديدة كالأسرة.

أهمية التوعية الجنسية للمراهقين: يؤكِّد المؤلف أنه إذا تمكَّن المربِّي المسلم في البيت أو في المسجد أو في المؤسسات التعلمية الأخرى أن يصل بالتوعية الجنسية وفق المشروع الإسلامي إلى المراهقين، جنَّبهم الوقوع في مشكلات السلوك الجنسي، ومن حُسن الحظ في هذه الأيام أن فرصة المربِّي المسلم في تثقيف الأجيال بالأخلاق والمفاهيم الجنسية من وجهة نظر الإسلام أفضل من ما

مضى، فقد تنوعت وسائل التوجيه، وارتفعت مقدرة المراهقين والبالغين على المطالعة والبحث، والكل يسعى الآن نحو الإسلام لتلقي وجهة نظره في حلّ مشاكلهم وقضاياهم.

قواعد العلاقة الجنسية للبالغين: النصوص الإسلامية صريحة وواضحة ومقيدة بضوابط العفاف والأخلاق، فهذه النصوص تشكل إطاراً مرجعياً يُعين كل زوج وزوجة على تفهم سيكولوجية الآخر في مجال الإشباع الجنسي للمحافظة على عُرى العلاقة بينهما، هذا ما يؤكده المؤلف بالتحليل وهو يختتم هذا الفصل من الكتاب.

الفصل السابع:

«الأبعاد النفسية للضوابط الإسلامية» يوضح المؤلف أن المشروع الإسلامي يحرص على أن تُربي شخصية المسلم على تجنب المثيرات الجنسية عن طريق: النظافة الداخلية وذلك بتقوية عنصر التقوى لديه، منع الإثارة الجنسية الخارجية عن طريق سلطة القانون، وإشباع الأفراد لحاجاتهم الجنسية عن طريق الزواج الحلال.

ثم يعرض المؤلف للأبعاد النفسية العامة لهذه الضوابط على أساس الشعور بالتميز واستقلال الذات، أو يحس الفرد المسلم وهو يطبق ويلتزم بالمشروع الإسلامي في علاقاته بالجنس الآخر بقيمة موضوعية وتذوق عقلي خاص، إن هذه الضوابط تخلق في الفرد المسلم رقابة داخلية، وبذلك لا يحتاج إلى أي سلطة أخرى خارجية تراقبه.

بعدها ينتقل بنا المؤلف إلى بعض الضوابط:

- لا يفضل الجلوس في مكان المرأة بعد قيامها مباشرة حيث إن هذا يرتبط بتنبيه الخلايا الجنسية عند نفر من الرجال.
- التحذير من مفاكهة النساء ومزاحهن بهدف تفريغ الشحنة الانفعالية ذات الطبيعة الجنسية.
- التحذير من المحادثات المريبة بين الرجل والمرأة.
- منع الاختلاء بين الجنسين حيث وردت نصوص كثيرة تحذر من المقابلة الانفرادية بين رجل وامرأة أجنبية عنه ليست محرماً حتى دون محادثة بينهما كما جاء في النص التالي:

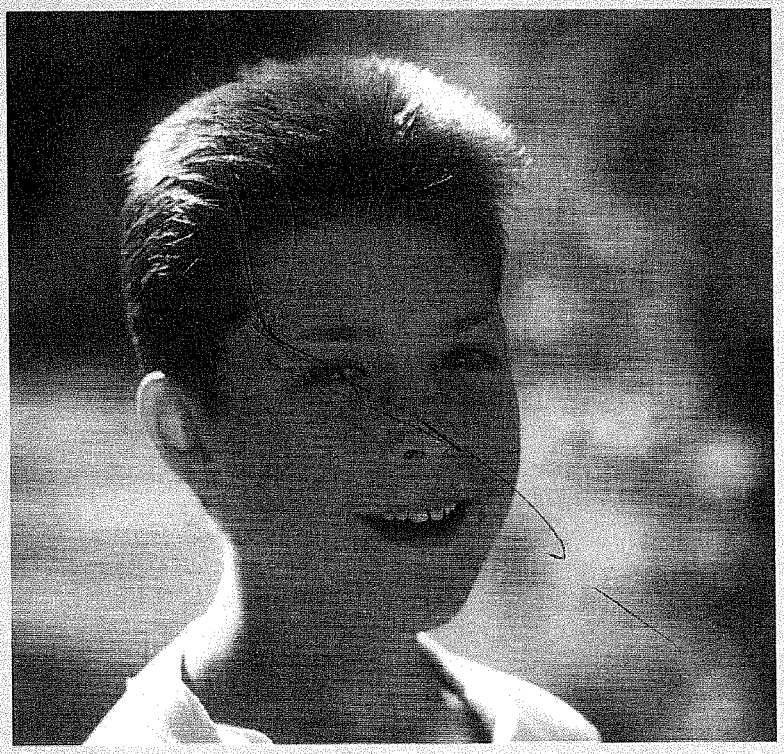

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبيت في موضع يُسمع نَفَسه امرأة ليست له بمحرم» «ميزان الحكمة، ج٩، ص١٠٨».

الفصل الثامن:

جاء تحت عنوان: «الموقف الإسلامي من أزمة المراهقة»، حيث يصنف المراهقين في المجتمع المسلم إلى فئتين: إحداهما تعاني من اضطرابات تتفاوت ضعفاً وشدة بمقدار تأثرها بأجواء الانحراف، وأخرى أكثر تكيفاً مع أنظمة الحياة الاجتماعية ومعايير التوافق الإسلامي.

ثم يتساءل المؤلف في سياق عرضه لهذا الفصل سؤالاً مهماً عن كيفية حدوث أزمة المراهقين في المجتمعات الإسلامية، الإجابة تتلخص في أن معظم المراهقين قد شبُّوا دون أن يتلقوا تدريباً وتكيفاً إسلامياً كافياً يُعينهم على مواجهة التغيرات البيولوجية والنفسية، وبخاصة المراهقين الذين يمتازون بقابلية التغيير والاستهواء.

ثم يشير المؤلف إلى الخطوط العامة لمواجهة الأزمة من وجهة نظر المشروع، حيث تتضمن إرشادات المشروع اتجاهين مترابطين:

- الأول: وقائي: وهي تبدأ منذ الطفولة المبكرة، حيثُ يُلح المشروع الإسلامي مع تلقين الطفل بعض المفاهيم الاعتقادية، ثم تدريجياً يتم تدريبه على بعض العادات الحسنة.
- الثاني: علاجي: حيث يحاول المربِّي المسلم إعادة التوجيه النفسي للمراهقين مرة أخرى، وصياغة مواقف وأساليب تكيُّف جديدة.

كذلك تضمنت هذه الإرشادات بعض المفاهيم والخطوات المساعدة على حل الأزمة ومنها:

١ - اعتبار المراهقة فترة مهمة فيها تتفتح قدرات الأفراد وتتنوع إمكاناتهم ومواهبهم.

٢ - دعا المشروع الإسلامي إلى تحديد سن المراهقة على أنها فترة صداقة ومصاحبة بين الآباء والمربين من جهة، وبين الأبناء من جهة أخرى.

٣ - إعطاء المراهق الحرية والاختيار، وأن يُعهد له بالمسؤولية الكاملة عن ذاته، كما ينبغي أن نطلب منه البحث عن هويته، وتعديل أخطائها، أو بمعنى آخر قدرته على تصحيح مسار حياته ■

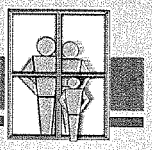

الدودة الدبوسية وكيف نقي أطفالنا منها؟

بقلم: د. محمد مصطفى السمري

تُعد الدودة الدبوسية (Enterobius Vermicularis) أو «الإكسيورس» أكثر الطفيليات المعوية انتشاراً خاصة بين الأطفال، لدرجة أنه يُقال إن ما لا يقل عن ٩٠٪ منهم مصاب بها، ويرجع انتشارها إلى بساطة تاريخ حياتها وسرعة نموها، وسهولة العدوى بها، وهي ديدان إسطوانية صغيرة ورفيعة بيضاء اللون وتشبه ديدان الجبن القديم «المِش» وتُرى بالعين المجردة، طول الأنثى ١ سم، وطول الذكر نصف سم تقريباً، وله ذيل ملتوي، وتعيش في الأمعاء الغليظة للإنسان، وخصوصاً في منطقة الزائدة الدودية.

طرق العدوى

تحدث العدوى عن طريق ابتلاع طعام أو شراب ملوث «ببيض» هذه الديدان «وهو الطور المعدي للإنسان» وبعد ابتلاع البيض، فإنه يفقس خلال ساعات وتخرج منه «يرقة» تلتصق بجدار الأمعاء وتكبر حتى تصل بعد أسبوعين إلى الطور النهائي وهي «الدودة». وفي منطقة الزائدة الدودية تنمو هذه الديدان وتتزاوج، وعقب التزاوج يموت الذكر وتهاجر الأنثى حتى تصل إلى فتحة الشرج، حيث تضع بويضاتها بين ثنايا الجلد حول هذه الفتحة «تضع الأنثى ١٢ ألف بيضة في اليوم». وغالباً ما تقوم هذه الديدان بالخروج من الشرج في فترة المساء لوضع البيض، ويصحب ذلك حكة شديدة، مما يجعل الطفل يهرش منطقة الشرج فتتلوث أصابعه وأظفاره بالبويضات، ويقوم بنقل العدوى إلى باقي أفراد أسرته عن طريق تلويث الطعام والشراب. كما تحدث (العدوى الذاتية) عندما يضع يده في فمه، فيبتلع البويضات، لتكمل دورة حياتها وتنضج لتصبح ديداناً تغزو الشرج من جديد.

الأعراض

تنحصر أعراض الدورة الدبوسية في تلك الحكة الشديدة حول فتحة الشرج خاصة ليلاً مع التهاب جلدي قد يصيب الطفل بالأرق ويحرمه من النوم، وقد تصل إلى درجة تسبب تشنج الطفل الصغير... وقد يشكو الطفل - في بعض الأحيان - من اضطراب الهضم وآلام بالبطن وفقدان الشهية للطعام.

المضاعفات

لا تسبب هذه الديدان توقف نمو الطفل لأنها تعيش على فضلات الطعام، ولكن يجب التحذير من مضاعفاتها التي قد تحدث نتيجة لوجودها مثل: التهاب الجلد حول فتحة الشرج، والتبول غير الإرادي ليلاً، فضلاً عن إقلاق نوم الطفل مما يؤثر تأثيراً غير مباشر على نشاطه وتركيزه في المدرسة وعلى شهيته. وأخطر المضاعفات التي قد تنتج عن هذه الديدان هي التهاب الزائدة الدودية، نتيجة لهجرة الديدان إليها، حيث تقوم بسدها ومن ثمّ التهابها، كما قد تهاجر إلى الجهازين التناسلي والبولي للفتاة مسببة لها التهابات بالمهبل والمثانة.

التشخيص

في بعض الأحيان ترى الديدان البالغة بالعين المجردة في البراز، وهي تشبه ديدان «المِش» كما قد تظهر البويضات في البراز، وإن كان ذلك ليس متاحاً دائماً، حيث يحتوي البراز على عدد قليل من البويضات نظراً لالتصاق معظمها بمنطقة ما حول الشرج.

ويتم التشخيص بأخذ مَسحة (Swabbing) من فتحة الشرج والمنطقة المحيطة بها، ثم فحصها تحت الميكروسكوب، ويستحسن أن تتم هذه المسحة في الصباح قبل دخول الحمام والاغتسال وذلك لضمان إيجابية التحليل.

العلاج

هناك الكثير من العقاقير الحديثة التي تقضي تماماً على هذه الديدان، ولكن يجب أن يشمل العلاج كل أفراد الأسرة في الوقت نفسه، لأن العدوى بهذه الديدان هي عدوى عائلية تنتقل من فرد إلى آخر في الأسرة.

ويقوم الطبيب بوصف العقار المناسب لسن ووزن الطفل وباقي أفراد أسرته بعد عمل التحاليل اللازمة لهم، وينبغي تكرار العلاج بعد ١٤ يوماً ولمدة ستة أشهر متواصلة، حيث إن العلاج يقضي على الديدان البالغة فقط، ومن هنا يجب تكرار العلاج للقضاء على البيض الذي يتحول إلى دودة بالغة بعد ١٤ يوماً.

طرق الوقاية

لما كانت الدودة الدبوسية من أكثر الديدان إصابة للإنسان وأسهلها عدوى وأسرعها انتشاراً، فالوقاية أهم من العلاج، وتتلخص طرق الوقاية فيما يلي:

أولاً: حض الطفل على أهمية النظافة الشخصية، فيجب قص الأظافر، وغسل اليدين جيداً قبل الأكل وبعد التبرز، والامتناع عن الهرش في منطقة الشرج.

ثانياً: ارتداء الأطفال ملابس داخلية محكمة عند النوم، حتى لا تتساقط البويضات من فتحة الشرج على ملاءة السرير وتلوثها، وحتى تمنع وصول الأطفال بأظافرهم لحك الشرج.

ثالثاً: تغيير الملابس الداخلية وملاءات الأسرّة كل صباح، وغَـلْـيها لضمان القضاء على أي بويضات قد تكون ملتصقة بها.

رابعاً: العناية بنظافة منطقة الشرج وغسلها جيداً أكثر من مرة في اليوم، وينصح بدهان الشرج بمرهم الراسب الأبيض في الصباح ووقت النوم.

خامساً: الامتناع عن مخالطة المصابين بالمرض ■

المراجع

١ - الأمراض المتوطنة والأمراض المنقولة من الحيوان للإنسان، أ.د. محمد فتحي عبدالوهاب - مؤسسة الأهرام - سلسلة اعرف صحتك رقم (٢١) القاهرة ١٩٩٩م.

٢ - المرجع الطبي للأم العصرية - د. فؤاد نجيب - مؤسسة الأهرام - القاهرة ١٩٩٧م.

٣ - مجلة طبيبك الخاص - دار الهلال بمصر - أعداد عدة.

٤ - Medical parasitology/ Dr. W.M. morcos/ faculty of Medicine/ Alexandria University.

٥ - Tropical Medicine/ A.z. Shafei, H. Abaza/ Dar El-Maorref/ Alexandria 1990.

إعداد : تمام أحمد

باب جديد يحتوي على مواقع مختارة على شبكة الإنترنت تهم القارئ العربي والمسلم. نقدمها لقرائنا الأعزاء املين منهم التواصل معنا ورصد المواقع الجيدة التي تخدم هذا الباب وإرسال عناوينها إلينا حتى نخدم من خلالها ديننا وأمتنا وقضايانا العربية والإسلامية والله الموفق.

«إسلام اي كيو» يمكِّن المسلمين من دفع الزكاة عبر الإنترنت

أعلن موقع «إسلام اي كيو» والذي يعدُّ أول بوابة إلكترونية استثمارية ترتكز في عملها على مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية عن إطلاق بوابة إلكترونية جديدة لها لدفع أموال الزكاة من خلال شبكة الإنترنت.

وتعرف الزكاة بأنها النسبة الشرعية المفروضة على أموال المسلمين، التي تذهب لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وتبلغ هذه النسبة ٢,٥٪ من إجمالي المال، ومن خلال هذه الخدمة الإلكترونية الجديدة تسعى «إسلام اي كيو» لأن تقدم للمسلمين في جميع أرجاء العالم معلومات وافية وشاملة حول الزكاة لمساعدتهم على الوصول إلى فهم أعمق وأدق لهذا المبدأ الذي يعدُّ من أركان الإسلام الخمسة بالإضافة إلى تمكين زوار الموقع بأن يستفيدوا من خدمة «حساب الزكاة» وذلك ليتحققوا من المبلغ المستحق عليهم بشكل دقيق وصحيح، وكما يسمح لهم هذا الموقع الإسلامي القيام بتقديم صدقات وتبرعات للجهة الخيرية التي يختارونها.

ويتم إطلاق هذه الخدمات الجديدة بالتعاون مع عدد من المنظمات والهيئات الخيرية المعتمدة، والتي تتضمن هيئة الإغاثة الإسلامية، والدعم الإسلامي، انتربال، الأيادي الإسلامية، المنتدى الإسلامية «المملكة المتحدة»، ايمبيرو «سنغافورة»، لجنة مسلمي إفريقيا «الكويت» ومدراسا السيزان «البوسنة». ويقدم هذا الموقع قرصة فريدة للمسلمين، إذ إنه يسمح لهم باختيار المنظمة الخيرية التي يفضلون التعامل معها، كما تقوم هذه الخدمة بتغطية شاملة ومتكاملة للحملات الخيرية الطارئة التي تطلقها كلٌّ من المؤسسات الخيرية المشاركة.

وقامت «إسلام اي كيو» بتطبيق آلية عمل معقدة لضمان أن جميع الأموال التي يتم التبرع بها من خلال خدمة استيفاء مبالغ الزكاة الإلكترونية ستصل إلى الجهة المحددة لها.

وأعلنت الدكتورة «حسنيتا داتو هاشم» الرئيس التنفيذي لمجموعة «إسلام اي كيو» أن هذه الخدمة الجديدة ستقدم للمسلمين الفرصة لدفع مبالغ الزكاة المستحقة على أموالهم للجهة التي يريدونها وذلك من خلال بوابة إسلام اي كيو للدفع الإلكتروني، وقد أضحى موقع إسلام اي كيو، بمكاتبه في لندن ونيويورك وكوالالمبور والكويت، واجهة المسلمين الأولى على شبكة الإنترنت ■

مواقع مهمة في شبكة الإنترنت

● **شمس الإسلام**

http://www.islamsun.com/

موقع شاب في الثقافة الإسلامية يتناول موضوعات وأبواب عدة، ألطف ما فيه حرص أصحابه على تجديده باستمرار.

● **موقع حفظ الملفات**

http://www.filesan where.com/

موقع آخر لحفظ الملفات على شبكة الإنترنت كي تكون في متناول أيديكم أينما كنتم وفي أي دولة من العالم. فكما البريد الإلكتروني يمكن قراءته من أي كومبيوتر متصل بالإنترنت، يؤمن هذا الموقع لكم الوصول إلى ملفاتكم الموجودة فيه، هذه الخدمة مجانية لمن يرغب.

● **مجموعة علماء العرب**

http://scientist.cjb.net

محاولة من شاب عربي لتوثيق سير حياة العلماء والنوابغ العرب قديماً وحديثاً في شتى العلوم، هلاَّ انتبهت إلى صفحات المعارف يا عزيزي.

عندما أفطر الحجر

بقلم : محمد المكين صافي

الأحداث من حولها تتأجج، والنزاع يحتدم، وعدد الضحايا كل يوم في ازدياد، ولم يعد ممكناً وسط الزحمة معرفة مَنْ مِنْ الأقارب غاب، ومَنْ منهم حضر، فالبعض يضمد جرحاً وآخرون يدفنون شهداءهم. والباقي ... منتظم... ولا يبدو أن لهذا الليل من آخر!.

المصاب الذي أمكنه أخيراً أن يشد القلوب إلى بعضها بعضاً لم يستطع أن يمنع «هاجر» من القلق المتفرد على ولدها: «وحيدي يا ناس... وحيدي الذي أرى الحياة من عينيه... فبعده لا حياة... لا يكفي أنني ضحَّيتُ بأبيه لأجل القضية؟!... لماذا لا ترحمونني؟!...»، ولا يقتنع عتب الأهل بهذا فتصرُّ: «اسمع يا إبراهيم... هذا الباب لا تتعداه، فاهم... زمن اللهو انقضى، ولقد اخترتك لشيء مختلف عما يجري في الشارع، وإنني أعيش لهذه المهمة التي اخترتك لها، فإذا رغبت في إنهاء عمري فالآن أخرج!...».

حبّه لأمه لا يخالطه شك، إلا أنه يشرد إلى بعيد كأنما يناجي أحداً لا يراه غيره... «ربما تكون أمي محقةً في كل ما تقول، أتمنى أن أصير كما تشتهي وأجتهد كي أبرّها. ولكن ما يجري هناك وراء النافذة يشعل في فؤادي لهيباً لا أستطيع إغفاله ولا أدري ماذا أفعل به!...».

والمدارس بعدُ. لم تعد لها أبواب لتفتحها لأمثاله... بيد أن الوقت الذي أرادوا ليضيعوه لا يجب أن يضيع، فالأم المحترقة لهفةً على أيامه المقبلة تقبض بالكتب لتسكب في عقله ما جاء فيها ... وهو يطيعها... حباً لها وتزجية للوقت الذي لا يُسمح له بالنفاذ إلى الشارع... لكن الأصوات المقبلة . من هناك. تتعالى دون أن تنتظر إذن أمه.. وتحجب عليه قدرة الاستيعاب وكأنها الصيحات المكبرة المجلجلة. تناديه: «لو تتركيني فقط أتفرج يا أماه!» أبداً... فالصمت الحازم ينذره إن فعل ويلزمه أن يبقى ساكناً فلعل الأيام. التي مرَّ علينا مثلها كثير. أن تنقضي من نفسها مثلما انقضت هاتيك التي قبلها!!.

وعد الأم يتكرر مثلما تعود.. إن كل شيء سيكون على ما يرام.. على ما يرام يا حبيبي فلا تدع شيئاً يشغلك عما أعددتك له.. الرجال. في غزة. سيتحركون... لقد وعدوا بذلك. وسيبذلون كل شيء من أجل أن نستقر ونرتاح... «ولكن الدخان الأسود! ألا تشتمين رائحته الخبيثة يا أمي... إنه يتمدد... في لمح البصر يتمدد ويخالطنا الدخان الخافق ليعيش في بيوتنا.. أو يعشش في رئتينا... ويضغط ويضغط ليملي علينا هواء وما أراد!..».

آه... إنه الشيخ ياسين ... صوت

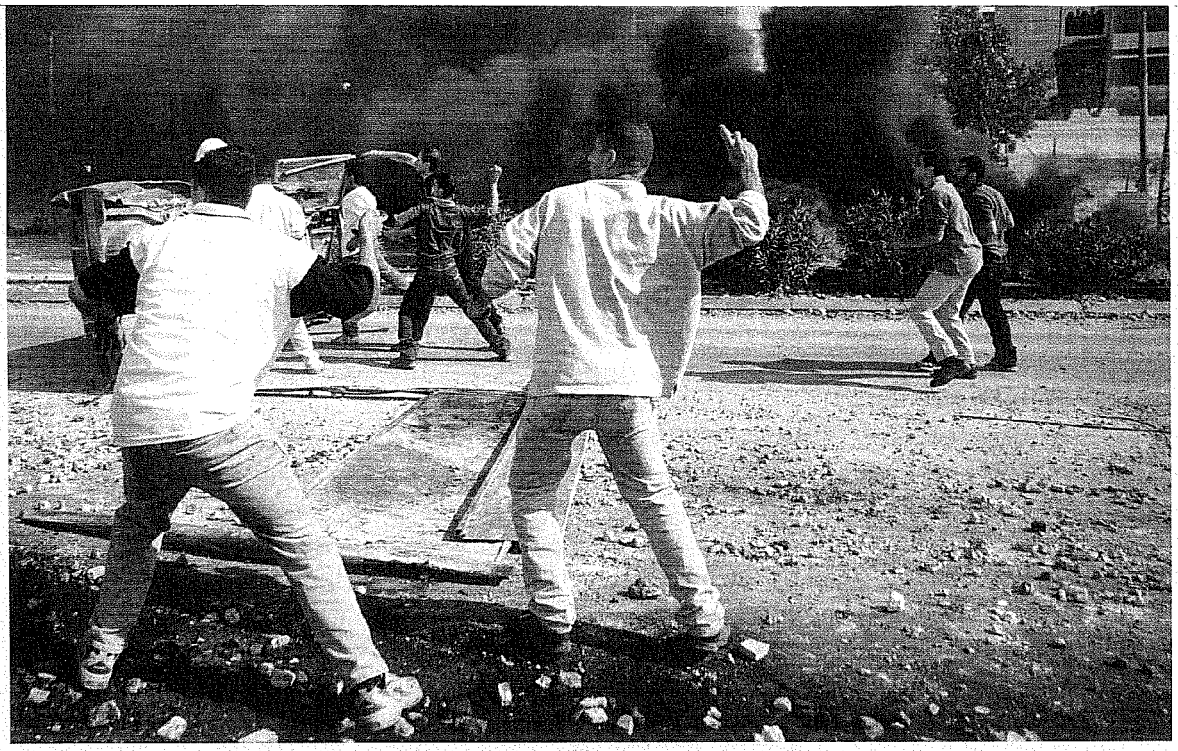

الشيخ ياسين هو ما أسمع... ماذا يريد منّا هذا الشيخ المقعد؟!... إن عليه أن يلتزم بكتاب الله.. من أجل هذا أوفدت إليه صغيري لا من أجل أن يسكب في وجداني ما يشاء أو تحسبيني لاهية أو أحلم؟!... ولكن الصغير يشبّ بسرعة وينمو... كأنما ما يجري نُضجه بأسرع مما يمكنني متابعته... هذا ما أخشاه يا ربي! هل سيقضي وحيدي من أجل الشيخ ياسين؟! هل سيتركني رغم كل ما بذلت من أجله؟!... يا ويلي!، فمن يبقى لديَّ إذاً... هل سأصير الثكلى «هاجر» مرتين. ما بي من قدرة يا رب فارحمني... سأصبر عليه... أجل لو أغلقت عليه كل المنافذ أو لو فاته الكثير فسأعوضه! سأعوضه كل ما يفتقد ولكن فقط.. لو يبقى إلى جانبي!.

حسناً. ما يشعر به من التبرّم لن يضير: «الشيخ ياسين يخبرنا أن الكرماء يرفضون العيش الذليل يا أمي... وأنا يا أمي... ألست كريماً ومن أب كريم أيضاً؟!...» بلى. وزوجي من أكرم الناس... ولكنني فقدته... سيطرت عليه وعليَّ يوماً حماسة، فانتزعته مني... ولم يبق لي إلا هذا الطول الفارع، والعينان البراقتان، والذكاء المتقد والأسئلة الحائرة التي لا تنقطع... «ولكن أبي ليس مفقوداً يا أمي... الشيخ ياسين أسرَّ إليَّ أن أبي هناك في عليين. مع سيدنا محمد... آه يا أمي... لماذا لا تسمحين لي بالانضمام إليهم»، يا ويلي... يا ويلي.. طلبات الصبي غدت أكبر منه ومني!. هل جنّدك الزمان حتى تجهز عليَّ بأسئلتك تلك يا ولدي!... هذا ما لن يكون... ومهما بلغت معاناتي.. وتجهز الآن فموعد الإفطار قد أزف.

اللقيمات تنزلق في جوفه. كمثلي تماماً. كأنها تعبر حقلاً مليئاً بالأشواك، وهو يشرد إلى بعيد لا يبالي بما أعددته له من الطيبات... وما ينتهي الأذان حتى ينتهي من إفطاره... ومن يشتهي الطعام هذه الأيام؟!.. «ولكن الشيخ ياسين أخبرنا أن الشهداء فطورهم من نوع آخر... هناك مع النبيين. ومع سيدنا محمد... من يُقتل صائماً يفطر مع سيدنا محمد... أليس هذا شيئاً رائعاً يا أمي...» ياه... لقد سلك بك شيخك الياسين أودية عميقة هيهات. وأنا المرأة الوحيد مهما أكون. لن أتمكن من مراقبتك فيه... «إنك تخافين عليَّ يا أمي.. أعرف... هذا من حقك... وتبخلين عليَّ بمثل تلك المكرمة لأجل هذا... ولكن أرجوكِ لا تحرميني أن أشاركهم... ولو بالتكبير أو تشييع الشهداء!...».

آه... ما كنت أخشاه شارف موعده... يا رحمة المولى تلحق بي... أنّى لي أن أوقف الزخم كله... أنىَّ لي؟!... «ولكن احذر يا إبراهيم... من بعيد... آ... من بعيد... تكبَّر وتساعد وترمي. إذا رغبت. ببعض الحجارة في وجوه اليهود ثم تعود... فهمت يا إبراهيم... من بعيد ثم تعود... استحلفتك بالله يا إبراهيم أن تسرع لتعود...».

والدنيا التي تميل للغروب... والمؤذن الذي يستعد للإفطار... والباب الذي يطرق يا إبراهيم... لا. إنه السراب. «إلحقي يا هاجر... إلحقي وحيدك المنطرح وسط الدماء فقد أوشكت أن تغادره كلها!...»... آه يا ولدي... هل فعلتها... أم فعلوها الأوغاد بك!! أهذا ما استحلفتك عليه... أهذا ما ادخرتك لأجله... يا ويلي من أم بائسة فاتها كل ما تحلم به، لكنْ هو.. المنطرح وسط دمائه يرنو في عذوبة إلى المئذنة: «آماه هل آن لي أن أفطر... أم ليس بعد؟!...»... بلى يا ولدي... سنفطر... كلنا بعد الصيام سوف نفطر ... إنْ هاهنا... أو كما أخبرك شيخك الياسين مع نبينا محمد!... وهذا الحجر هو أيضاً سيفطر أنظر!! وسيرتوي... سيفطر يا حبيبي. ويرتوي مثلك ويتطهَّر! ■

حديقة النوعي

إعداد أحمد عبدالجبار

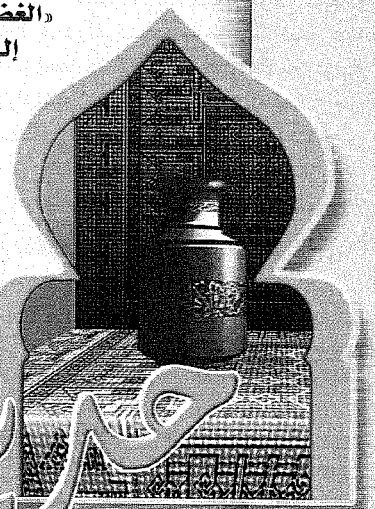

من هدي كتاب الله

يقول تعالى:

(ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً. وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعدٌ لن يجدوا من دونه موئلاً)

الكهف: ٥٧ ـ ٥٨

من هدي رسول الله ﷺ

من السنن عن النبي ﷺ أنه قال:

«الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم، ألا ترى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، وهو غليان دم القلب لطلب الانتقام»

النقد الأدبي ليس له عيون!

بينما كان «كُثيِّر عزة» ماراً بطريق يوماً، فإذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها: تنحي عن الطريق، فقالت له: ويحك ومن تكون؟ قال: «كُثيِّر»، قالت: قبَّحك الله، وهل مثلك يتنحى له عن الطريق؟ قال: ولِمَ؟ قالت: ألست القائل:

وما روضة بالحسن طيبه الثرى

يمح الندى جثجانها وعرارها

بأطيب من أراد عزة موهناً

إذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو بخِّر بالمجمر اللدن مثلي، ومثل أمك لطاب ريحها، لم لا قلت مثل سيدك أمرئ القيس:

وكنت إذا ما جئت بالليل طارقاً

وجدت بها طيباً وإن لم تطيَّب

فخجل كثيراً من ردها ولم يحر جواباً.

قال أهل اللغة

«الغيِّلم ذكر السلاحف، والأنثى سلحفاة ويُقال: سلحفية، والعُلجوم ذكر الضفادع، والشيهم ذكر القنافد، والخُزر ذكر الأرانب، وجمعه خزَران، والظليم ذكر النعام، والقط والضيون ذكر السنانير، والحيقطان ذكر الدراج، والعضرفوط ذكر العظاءة، والحرباء ذكر أم حبين، والحنطب ذكر الخنافس، وهو أيضاً الخنفس، واليعاقيب ذكور الحجل، واحدها يعقوب، والسلك الذكر من فراخها، والأنثى سُلكة، والخرب ذكر الحُبارى، والفيَّاد ذكر البوم، ويُقال هو الصدى، وساق حُرٍّ ذكر القماري، واليعسوب ذكر النحل».

العلماء أفضل أم الأغنياء؟

قيل لبرز جمهر الحكيم: العلماء أفضل أم الأغنياء؟ قال العلماء.

فقيل له: فما بال العلماء بأبواب الأغنياء أكثر من الأغنياء بأبواب العلماء؟

قال: لمعرفة العلماء بفضل الغني، وجهل الأغنياء بفضل العلم.

صنفان

صنفان من الناس فقط يجوز أن نسميهم عقلاء:

الذين يعرفون الله والذين يَجدُّون في البحث عنه لأنهم لا يعرفونه.

أقوال

- قال بعض الحكماء: أن ترى بعينك مرة أفضل من أن تسمع من الناس مئات المرات.

- وقيل: الشعر كالحلم نبني فيه ما نعجز عن بنائه في الواقع.

- أكثر الناس تأثيراً هم من يكونون في حال من الانفعال، وأقدرهم تعبيراً عن الشقاء من كان الشقاء في نفسه، وأقدرهم تعبيراً عن الغضب من استطاع أن يملأ بالغضب نفسه.

الصاحب

من ألقاب الوزراء وهو مختص بأرباب الأقلام دون أرباب السيوف، وهو في أصل اللغة اسم للصديق، وأول من لُقِّب من الوزراء كافي الكفاة إسماعيل بن عباد وذلك أنه كان يصحب الأستاذ ابن العميد ثم غلب عليه حتى استعمل فيه بالألف واللام ثم صار لقباً على كل من ولي الوزارة بعده.

انتبه

- أن يموت المرء واقفاً أفضل من أن يعيش جاثياً على ركبتيه.
- لا تناقش غبياً لأن الناس لن يعرفوا أيكما الغبي!.
- السعادة مثل الأرواح لا تستقر طويلاً فوق الأرض الفانية.
- قطار الفشل يمشي على قضبان الكسل.
- مهما قدمت للذئب من طعام فإنه يحن للغابة.
- العبقرية هي القدرة على تحمل المشاق.

أفضل الناس

قال عبد الملك بن مروان: أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة، وجاء في كتاب أدب الدنيا والدين، قال عيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أشرف لك. وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما: سمعت أبا بكر رضي الله عنه يقول:

إذا أردت شريف الناس كلهم
فانظر إلى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حسنت في الناس رأفته
وذاك يصلح للدنيا وللدين

من كنوز العرب

حمل رزام بن حبيب إلى طحّان طعاماً فقال له: «اطحنه»، قال: «أنا مشغول عنك» قال: «إن طحنته وإلا دعوت الله عزَّ وجلَّ على حمارك ورحاك» فقال الطحان: «أو مُستجاب الدعوة أنت»؟ قال: «نعم» قال: «فادع الله أن يصيِّر حنطتك دقيقاً فهو أسهل عليك».

اقتصاد إسلامي

إعداد : عبدالكريم خليل

نظراً لأهمية الاقتصاد في عالمنا المعاصر، فقد ارتأت المجلة فتح صفحاتها لنشر أهم أنشطة المؤسسات الاقتصادية الإسلامية وقضاياها المعاصرة، إضافة لنشر أبرز ما يدور على الساحة الاقتصادية العالمية، والباب مفتوح للإخوة والأخوات القراء للإسهام في إغناء وإثراء هذا الباب بكل ما يسهم في دفع عجلة الاقتصاد الإسلامي، باعتباره ركيزة أساسية في المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر.

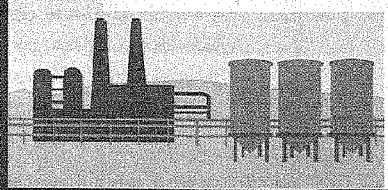

البنك الإسلامي الأول يتملك شركة أميركية كبرى للمقاهي

أعلن بنك الاستثمار الإسلامي الأول يوم ٢٠٠٠/١٢/١٠م عن توقيعه عقوداً خاصة لتملك حصة كبيرة في شركة «كاريبو كوفي كومباني إنك كاريبو» نظير قيمة إجمالية للصفقة تبلغ أكثر من ٨٠ مليون دولار أميركي، والجدير بالذكر أن «كاريبو» هي شركة رائدة متخصصة في تجارة التجزئة للقهوة الفاخرة في الولايات المتحدة، ومن المتوقع الانتهاء من عملية التملّك قبل نهاية ديسمبر الجاري.

وتعدّ شركة «كاريبو» ومقرها الرئيس في «مينيابوليس» في ولاية «مينيسوتا»، هي ثاني أكبر سلسلة مقاهي متخصصة التي لا تمنح حقوق الامتياز لشركات أخرى في الولايات المتحدة، وتقوم «كاريبو» بنشاط بيع القهوة المحضَّرة وحبوب القهوة المحمَّصة بالإضافة إلى تجارة الشاي ومنتجات المخابز، والمنتجات ذات العلاقة بها وذلك من خلال ١٤٣ متجراً البيع التجزئة تملكها الشركة وتقوم بتشغيلها، وفي السنوات الأخيرة قامت الشركة بتوظيف فريق متمكن للإدارة قام بترشيد وتطوير عمليات الشركة وتحسين الاسم التجاري القوي الذي تتمتع به شركة «كاريبو»، وتهدف «كاريبو» إلى أن تصبح المؤسسة النشطة التي تحتل المركز الثاني في السوق التي مازالت تهيمن عليها «ستاربكس كوربوريش» في سوق مازالت في مراحلها التكوينية الأولى من تطويرها وبالتالي فإنها ستكون لديها إمكانات قوية للنمو.

وقام «البنك الإسلامي الأول» حتى الآن بعمليات استثمارية مباشرة تتجاوز قيمتها ٤٥٠ مليون دولار في الولايات المتحدة، وأعلن أخيراً عن أول عملية بيع لأحد استثماراته وهي عملية بيع كمبيوتر جنريشن انكوربوريتد «سي جي أي» في معاملة بلغت قيمتها ٢٤٨ مليون دولار، وذلك لشركة «انتك تليكوم سيستمز بي ال سي» التي يقع مركزها الرئيس في المملكة المتحدة.

وأوضح الرئيس التنفيذي لـ «البنك الإسلامي الأول» عاطف أحمد عبدالملك، أن الهدف الذي تتطلع إليه «كاريبو» هو أن تصبح شركة مساهمة عامة، ونحن نعتقد أنه مع تحقيق الشركة خطتها للنمو فإنها ستكون في وضع جيد يؤهلها لطرح اسهمها للاكتتاب العام في غضون عامين إلى ثلاثة أعوام.

وأشار المدير التنفيذي لتوظيف الاستثمارات محمد نور الدين في أعقاب الانتهاء من تملك شركة «ترانسبورتيشن سيفتي تكنولوجيز إنك» وهي شركة متخصصة في «تصنيع منتجات ومكونات السلامة للمركبات» والتي تعد صفقة صغيرة نسبياً تمت في شهر سبتمبر ٢٠٠٠م، يسعدنا أن نتمكن من تقديم صفقة أكبر حجماً إلى مستثمرينا مثل «كاريبو» ■

حساب البراعم يطرحه بيت التمويل للأطفال

أعلن بيت التمويل «بيتك» عن طرح حساب مصرفي جديد يخدم شريحة الأطفال تحت اسم «حساب البراعم»، وقال محمد ناصر الفوزان نائب مساعد المدير العام للقطاع المصرفي في «بيتك» إن الحساب الجديد الذي بدأ التعامل به في الفروع المصرفية يهدف إلى تعميق قيم اقتصادية ذات أهداف تنموية واجتماعية لدى جمهور الأطفال ■

اعتبر المشروع الأكثر ابتكاراً على مستوى الشرق الأوسط

بيت التمويل الكويتي يحصل على جائزة دولية لتطبيق نظام GIS لبيع وشراء العقارات

حصل بيت التمويل الكويتي «بيتك» على شهادة تقدير رفيعة المستوى تؤكد تميز جهوده لتعزيز أنظمته الآلية واستحداث برامج وأساليب تقنية عالية لتقديم خدماته.

فقد منح منتجو برامج الكمبيوتر التجارية BSA - BUSINESS SOFTWARE ALLIANCE «بيتك» جائزة وشهادة تقدير، على البرنامج الآلي المستخدم لعرض وشراء العقارات، ويسمى نظام المخططات الجغرافية GIS، وقد منحت رابطة BAS «بيتك» الجائزة خلال معرض «جيتكس ٢٠٠٠م».

واعتبرت رابطة منتجي برامج الكمبيوتر التجارية BAS مشروع نظام المخططات الجغرافية «لبيتك» من أحسن ثلاثة مشاريع طبقت في الشرق الأوسط وتميز بالابتكار والتجديد والملاءمة القصوى لأهداف تطبيقه.

ومن الجدير ذكره أن «بيتك» هو المؤسسة الوحيدة من القطاع الخاص التي منحت مثل هذه الجائزة بجانب دولتين هما الأردن وقطر.

وقد أعلن ذلك في لقاء جمع شركة البابطين المنفذة للمشروع، ومثّلها خالد عبدالمحسن البابطين رئيس مجلس الإدارة، ومحمد شلبي المدير العام للشركة، و«بيتك» بمشاركة يوسف الميلم نائب المدير العام وطلال الحوطي مساعد المدير العام لقطاع تكنولوجيا المعلومات ويحضور يوسف الخضر المدير لإدارة المشاريع ونظم المعلومات، وموفق ذياب مدير نظم المعلومات، وأكد الميلم أن «بيتك» يطمح دائماً إلى مواكبة ثورة المعلومات والتقنية الحديثة، وأنه يعتز بمثل هذا التقدير والشهادة الدولية الرفيعة ويعتبرها تأكيداً وتتويجاً لمساعي البيت وجهوده نحو تعزيز وترسيخ تطبيق واستخدام النظم والبرامج الآلية في مختلف أنشطته وخدماته.

من جانبه، أشاد طلال الحوطي بنظام GIS المستخدم في إدارة العقار المحلي لعرض العقارات على العملاء وقال: إن العميل يمكنه من خلال النظام أن يشاهد المبنى بشكل أقرب ما يكون إلى الطبيعة، حيث تعرض تفاصيل العقار بالصورة لتبين مختلف مكوناته.

وأضافت أن النظام كذلك يحتوي على طريقة سهلة للبحث عن العقار الذي يطمح العميل إلى شرائه وذلك من خلال تسجيل المواصفات التي يريدها المشتري من حيث المساحة أو الموقع وخلافه، حيث يقوم النظام بالبحث آلياً حتى يصل إلى العقار المطلوب.

وأكد الحوطي أن هذه الجائزة ذات معنى ومغزى بعيد، فهي شهادة قيّمة تؤكد حرص «بيتك» على احترام حقوق الملكية الفكرية في إحلال وتشغيل النظم والبرامج الآلية في خدماته، إذ قدرت الجائزة كذلك حرص واحترام «بيتك» ومراعاته الدائمة لهذا الجانب وعدم اعتدائه على حقوق الملكية الفكرية للآخرين. وعبَّر خالد البابطين عن سعادته لفوز أحد المشاريع التي ينفذونها «لبيتك» بمثل هذه الجائزة الرائدة، متمنياً أن يتحقق النجاح لمزيد من الأعمال المشتركة بين الجانبين مستقبلاً، وأعرب محمد شلبي عن حرص شركة البابطين على حشد كل الطاقات والإمكانات لإخراج المشروع بالشكل الذي يليق «ببيتك» ■

إطلاق موقع للاستثمار في الأدوات الإسلامية

قالت شركة «ايه سي فنشرز» التابعة لشركة «اندرسن الاستشارية» و«صندوق رسملة الاستثماري السعودي» إنهما سيطلقان معاً بوابة جديدة على شبكة الإنترنت للاستثمارات في الأدوات المالية الإسلامية.

وقال علي الشهابي رئيس البوابة الجديدة والشريك - المدير في رسملة «لرويترز»: إن الجانبين يعتزمان إطلاق البوابة في الربع الأول من العام الحالي. وأضاف أن الهدف هو إتاحة توزيع عالمي متخصص للمنتجات المالية الإسلامية التي تعرضها أطراف ثالثة، وهو ما لم يتح حتى الآن للمستثمرين المسلمين على مستوى عالمي.

وقال الشهابي: إن البوابة التي تشارك «ايه سي فنشرز» بنسبة ١٧٪ في رأسمالها والباقي لصندوق رسملة ستتيح مجموعة مختلفة من الأدوات والخدمات المالية الإسلامية لسوق يضم ٢٣٥ مليون نسمة على مستوى العالم يمثلون ٢٠٪ من عدد المسلمين في العالم.

وصندوق رسملة شركة ذات مسؤولية محدودة متخصصة في الاستثمار في قطاعات الخدمات المالية في العالمين العربي والإسلامي، ويملك بنك «دويتشه» الألماني ١٨٪ من الصندوق و«البنك السعودي الأميركي» ١٠٪، والباقي يملكه مستثمرون سعوديون.

وقال «بول راسل» الشريك في «أي سي فنشرز» التي ستدير مشروع البوابة الإسلامية: إن الإنترنت أتاحت لنا بناء شبكة عالمية مثل هذه وإدارتها بكفاءة.

وقدَّر «بول راسل» القيمة الحالية للاستثمارات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم أن المبلغ المرسل بنحو ١٥٠ مليار دولار سنوياً، وقال: إن السوق تحقق نمواً قوياً يتراوح بين ١٠ و١٥٪ سنوياً.

ويقول مصرفيون إن السوق تنمو بمعدل ٢٠٪ سنوياً، أو يزيد بفضل افتتاح شهية المسلمين على الاستثمار في الأسهم الدولية وزيادة الثروات الخاصة في منطقة الخليج.

وقال الشهابي: إن صناعة المال الإسلامية لم تبذل جهداً كافياً في تسويق منتجاتها الإسلامية لجمهور عالمي، خاصة في أميركا الشمالية وأوروبا.

وأضاف، نحن في الأساس نستهدف المستثمرين المسلمين الصغار والمتوسطين في شمال إفريقيا وتركيا والمملكة المتحدة، وأوضح أن كثيراً من المسلمين في مختلف أنحاء العالم يريدون الاستثمار في منتجات متوافقة مع الشريعة الإسلامية لا يعرفون ما هو متاح.

وقال الشهابي: إن البوابة الجديدة أقامت لنفسها قاعدة إدارية وتكنولوجية في مدينة الإنترنت في دبي، لكنها ستبرم الصفقات المالية من خلال فروع تابعة لها في الولايات المتحدة وبريطانيا وجيرنسي ■

إعداد : محمد هاني

خمسة كتب تربوية توجيهية أصدرتها الايسيسكو

أصدرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - ايسيسكو - مجموعة من الكتب التربوية التوجيهية في إطار تنفيذ برامجها التربوية في خطة العمل الثلاثية الحالية (١٩٩٨م - ٢٠٠٠م)، وتضم هذه المجموعة خمسة كتب، هي:

- نموذج لبرنامج في التربية السكانية المدرسية من منظور إسلامي باللغة العربية.

- تعليم السكان غير ثابتي الإقامة «تعليم المترحّلين البدو والصيادين» باللغة العربية.

- الدليل المبسَّط للمفاهيم السكانية والوضع الديموغرافي في قضايا السكان في العالم الإسلامي باللغة العربية.

- من أجل استراتيجية لتعليم مؤهَّل للشغل في العالم الإسلامي.

- أضرار المخدرات والوقاية منها من خلال الرؤية الإسلامية باللغة الفرنسية، وكانت الطبعة العربية لهذا الكتاب قد صدرت في وقت سابق.

وقد صدر الكتابان «نموذج لبرنامج في التربية السكانية المدرسية من منظور إسلامي» و«الدليل المبسط للمفاهيم السكانية والوضع الديموغرافي وقضايا السكان في العالم الإسلامي» في إطار التعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وصندوق الأمم المتحدة للسكان. بينما صدر كتاب «أضرار المخدرات والوقاية منها من خلال الرؤية الإسلامية» في إطار التعاون بين المنظمات الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومنظمة الصحة العالمية «المكتب الإقليمي لشرق المتوسط»، وصندوق الأمم المتحدة للسكان، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية.

ويعالج الكتاب الأول «نموذجا لبرنامج في التربية السكانية المدرسية من منظور إسلامي» منطلقات التربية السكانية، ويقدم تعريفاً بالتربية السكانية من منظور إسلامي، ويحدد أهداف التربية السكانية من منظور إسلامي أيضاً، ويرسم مجالات التربية السكانية، ويتناول قضايا تدريس التربية السكانية، ثم يتناول تدريب المربين على مختلف المستويات، وآليات تدريب المعلمين وأساليبه، وطرائق تدريس التربية السكانية وأساليبه، ويقدم هذا الدليل مرجعاً تعليمياً لصفوف المرحلتين الابتدائية والإعدادية لمادة التربية السكانية المدرسية من منظور إسلامي.

أما الكتاب الثاني «تعليم السكان غير ثابتي الإقامة» فهو جديد في بابه باللغة العربية، وضعه الدكتور فخر الدين القلاّ، ويبحث خصائص المترحّلين «البدو والصيادين» الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية، والتنظيم المدرسي وتعليم المترحّلين، وتعليم المترحّلين بالتقنيات الحديثة، ثم يقدّم الكتاب مقترحات عملية للنهوض بهذا الحقل من حقول التعليم.

والكتاب الثالث «الدليل المبسّط للمفاهيم السكانية والوضع الديموغرافي وقضايا السكان في العالم الإسلامي» اشترك في تأليفه الدكتور جمال أبو السرور مدير المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية، وعميد كلية الطب بجامعة الأزهر، والدكتورة آمنة نصير عميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر في الإسكندرية بمصر، والدكتور محمد طلعت الجارحي أستاذ طب المجتمع بكلية الطب «جامعة الأزهر»، ويعالج الكتاب في ثلاثة فصول الموضوعات التالية: المفاهيم السكانية «مصطلحات وتعاريف»، الوضع السكاني في العالم الإسلامي القضايا السكانية وقد خرّج الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الكتاب الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والدكتور إسماعيل الدفتار الأستاذ في كلية أصول الدين «جامعة الأزهر».

أما الكتاب الرابع فهو بعنوان «من أجل استراتيجية لتعليم مؤهل للشغل في العالم الإسلامي»، لمؤلفه محمد بوبكري، ويتناول واقع الشغل «العمل» في بلدان العالم الإسلامي، وأثر البطالة في العرض والطلب في سوق الشغل، ونتائج التكوين المهني، والواقع التربوي ومشكلاته، وإصلاح المدرسة في الأرياف، ويقدم الكتاب مقترحات لمواجهة مشاكل التعليم التقني والنهوض به.

وصدر الكتاب الخامس عن «أضرار المخدرات والوقاية منها من خلال الرؤية الإسلامية» باللغة الفرنسية، بعد صدور الطبعة العربية في وقت سابق، وهو من تأليف الدكتور أحمد العمري، والدكتور ميلود حبيبي، والدكتور محمود العاني، وهم أساتذة باحثون في جامعة محمد الخامس في الرباط.

وقد كتب التقديم لهذه الكتب الخمسة، الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، حيث أبرز اهتمامات الإيسيسكو بتطوير مناهج التربية والتعليم في الدول الأعضاء وفق أحدث ما توصلّت إليه تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال، على النحو الذي يحقق الأهداف التربوية المنشودة ■

الحدود الدستورية بين التشريعية والقضائية

صدر عن لجنة التأليف والتعريب والنشر التابعة لمجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، كتاب جديد من تأليف الدكتور عادل الطبطبائي بعنوان: «الحدود الدستورية بين التشريعية والقضائية»، دراسة مقارنة في ٦٠٨ صفحات، يتكون الكتاب من فصل تمهيدي، وبابين تناول المؤلف في الفصل التمهيدي مبدأ الفصل بين السلطات، وتمييز العمل التشريعي عن العمل القضائي، وخصص الباب الأول لدراسة موضوع كيفية تدخل «البرلمان» في شؤون السلطة القضائية، فوضح في الفصل الأول منه كيف يتدخل البرلمان في أعمال القضاء عن طريق استخدام وسائل الرقابة السياسية التي يملكها بما فيها من أسئلة، وتشكيل لجان التحقيق، والاستجوابات، وبيَّن في الفصل الثاني المظاهر المختلفة لتدخل البرلمان في أعمال السلطة القضائية عن طريق التشريع.

أما الباب الثاني في الكتاب فخصصه لدراسة تدخل القضاء في أعمال السلطة التشريعية، فتناول في الفصل الأول منه دور القضاء في خلق القواعد القانونية سواء عن طريق سد الحاصل في التشريع أو عن طريق الكشف عن العرف، وأما الفصل الثاني فخصصه لدراسة رقابة القضاء على السلطة التقديرية للمشروع ومحاولته التدخل في شؤون هذه السلطة عن طريق ممارسته لهذا النوع من الرقابة، وتضمن الكتاب في نهايته قائمة بالمراجع باللغتين العربية والأجنبية كما ذكر عدداً كبيراً من الدوريات ومجموعات الأحكام القضائية باللغتين العربية والفرنسية ■

المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية

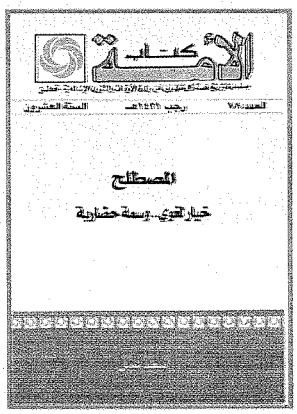

في سلسلة كتاب الأمة الذي يصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، صدر العدد ٧٨ تحت عنوان «المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية» للأستاذ «سعيد شبار».

وهذا الكتاب... يمثل بعض الإشارات الضوئية، وينبه إلى بعض المخاطر في معركة المصطلحات، وما يمكن أن يلحق بالأمة من إصابات ثقافية وفكرية وعقدية تمزق رقعة تفكيرها، وتعبث بمدلولات النص القرآني، تحريفاً وانتحالاً، إضافة إلى ما يمكن أن ينتج من معركة المصطلح من التسلط المعرفي الذي تمارسه ثقافة «الآخر»، من استبداد وهيمنة ونقل خصائص حضارته وأنماط تفكيره وطراز حياته.

وقد يكون من المفيد التأكيد لهذه المناسبة، أنه لابد أن تتوافر لكل معركة أسلحتها النوعية، ولكل بحث أدواته، ولكل معرفة تخصصها، حيث لم تعد عمليات الرفض والإدانة والاتهام مقنعة لأحد... فلابد من التزود بزاد المعركة قبل خوضها، فكثيراً ما ندخل بعض المعارك عزلاً من الأسلحة الملائمة فتكون النتيجة لصالح الخصم، ويقتصر دورنا في التوقيع على هزيمتنا ■

أخبار ثقافية

● اختيرت الكويت مقراً للجامعة المفتوحة المقترح إنشاؤها من بين خمس دول عربية طلبت استضافة الجامعة، وقال الأمير طلال بن عبدالعزيز رئيس برنامج الخليج العربي، الذي أطلق الدعوة لإقامة الجامعة: إن اختيار الكويت مقراً للجامعة اتخذ بموضوعية ومسؤولية وتجرد والتزام بالمعايير والشروط والتسهيلات التي ستستفيد منها الجامعة.

● أعلنت سفارة الكويت في باريس يوم ٢٠٠٠/١١/٢٢م عن توقيع الكويت بروتوكول تبرع بقيمة ٤٨ مليون فرنك فرنسي ما يساوي ٦,٢ مليون دولار مع معهد العالم العربي الذي يتخذ من العاصمة الفرنسية مقراً له، وذلك للمساعدة على تمويل الأنشطة الثقافية التي يقوم بها.

● أصدرت منظمة اليونسكو أخيراً كتاباً بعنوان: تاريخ إفريقيا، شارك في إعداده عدد من كبار المؤرخين، ويتناول الكتاب التراث التاريخي في عدد من الدول الإفريقية، وأهم الآثار التي تم العثور عليها في عدد من هذه الدول، ومنها مالي، وبوركينا فاسو، وكينيا، ونيجيريا، وأوغندا، والسنغال.

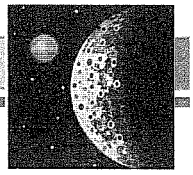

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تدين قانون «قتل الرحمة»

دانت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ما يُسمَّى «بقتل الرحمة» الذي أقرته هولندا أخيراً، ويُعطي المريض الحق في طلب إنهاء حياته بوساطة الطبيب بطرق مختلفة.

وقال رئيس المنظمة د.عبدالرحمن العوضي: إن هذا القانون لا يتوافق مع أي دين سماوي، أو أخلاقي، مؤكداً أنه سيفتح باباً من أبواب جهنم على البشرية، وأضاف: إذا كان الطب من وسائل رحمة الله بالإنسان، فكيف نحوّله إلى وسيلة قتل مع سبق الإصرار، موضحاً أن أول ما يقسم به الطبيب والهيئة التمريضية بعد تخرجهم هو الحفاظ على حياة الإنسان، وبذل كل غالٍ ونفيس لإنقاذها، متسائلاً: كيف يتحول الطبيب إلى قاتل؟

وقال الأمين العام للمنظمة د.أحمد الجندي: لقد ناقشت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية هذا الأمر أكثر من مرة من المنظور الإسلامي، وحشدت له مجموعة متميزة من فقهاء الشريعة الإسلامية ومجموعة من الأطباء، وذلك في ندوة خاصة، وخلصت الندوة إلى تأكيد أن موضوع قتل الرحمة مناف للإسلام مهما تغيرت أسماؤه «الموت بكرامة مثلاً»، أو تشكلت وسائله من تدخل طبي مباشر، أو تهيئة الأمر من قبل الطبيب ليقتل المريض نفسه.

وأوضحت المنظمة أنه يستوي في ذلك التدخل السلبي بحجب العلاج عن المريض، إن كان ذلك بنية قتله حتى لو طلب المريض أو أهله ذلك، تلك كانت الرؤية الإسلامية وهي منبثقة من نظرة الإسلام للإنسان على أنه خليفة الله في الأرض وأن الإنسان بناء الله - ملعون من هدمه - واعتبر أن: من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً. وناشدت المنظمة جميع الهيئات الطبية والدينية والمنظمات المهتمة بالجوانب الأخلاقية أن تتصدى لهذا الأمر الخطير وتضغط على هولندا لسحب قانونها حتى لا تكون مثالاً يُحتذى ■

منظمة العفو الدولية تدين تعذيب إسرائيل للأطفال الفلسطينيين

في تقرير أصدرته منظمة العفو الدولية حديثاً، عن تعريض الأطفال للاعتقال والاضطهاد والتعذيب، ألقت الضوء على معاناة الأطفال الفلسطينيين على يد قوات الاحتلال الإسرائيلية، وقالت إن: «الأطفال يعانون كثيراً، خصوصاً في ظروف القمع الإسرائيلي ضد «انتفاضة الأقصى» الحالية، فقد قتل أكثر من ٩٠ طفلاً حتى الآن، وأصيب مئات آخرون بجروح، كما يتعرض الأطفال بوجه عام للاعتقال خلال الليل، وفي الساعات الأولى من الصباح، ليواجهوا الاستجواب بمجرد وصولهم إلى مراكز الشرطة، ويظل معظمهم مقيدين بالأصفاد منذ القبض عليهم طوال فترة التحقيق، ويعانون من الضرب والتهديد والضغط العصبي على يد أفراد الشرطة».

وفي إشارة إلى أساليب التعذيب التي يتعرض لها الأطفال، قال التقرير إنها «تشمل الضرب في شكل عادي، ويتم اللجوء - في بعض الأحيان - إلى التعذيب كجزء من متطلبات الاستجواب، ويتضمن ذلك الضرب بقبضة اليد والعصي وأرجل الكراسي، ومقابض البنادق والسياط، والمواسير الحديدية وأسلاك الكهرباء»، ثم استطرد قائلاً: «إن بعض الأطفال عانوا من حالات ارتجاج في المخ، ونزيف دموي في الأعضاء الداخلية وتمزق، وتكسير للعظام وفقدان الأسنان، كما تعرض بعض الأطفال للاعتداء الجنسي والإحراق بالسجائر أو الكهرباء، وتعريضهم للبرد القارس أو الحرارة الشديدة، إلى جانب حرمانهم من الطعام والشراب والنوم وإجبارهم على الوقوف أو الجلوس، أو تعليقهم لفترات طويلة».

وتطرق التقرير إلى واقعة محددة، فقال إنه: «في الساعة الثانية صباحاً من يوم ٢٤ أكتوبر الماضي، داهم العشرات من رجال الشرطة الإسرائيلية - مسلحون بالبنادق الرشاشة - منزل الصبي بكر سعيد (١٥ عاماً) في بلدة كفر قانا لاعتقاله، واقتحم أربعة منهم المنزل، ودخلوا الغرفة التي كان ينام فيها للقبض عليه»، وأوضح أن «الصبي خضع للاستجواب بضع ساعات في الصباح الباكر، أمام ثلاثة من المحققين كانوا يرتدون ملابس مدنية، تكرر رفع أصواتهم بإهانته وتهديده، ثم قدّموه إلى المحاكمة في اليوم نفسه، دون السماح لوالده بالتحدث إليه»، ونقل التقرير عن معتقل آخر أنه «شاهد فرداً من الشرطة الإسرائيلية وهو يصفع بكر سعيد على وجهه».

وطالب التقرير «أن يُدان تعذيب الأطفال علناً على المستوى العالمي، وتقصّي الحقائق في شأن أي وقائع في هذا الشأن، وتأكيد حماية الأطفال من أي اعتداءات، وتقديم أولئك الذين يقترفونها إلى العدالة»، ثم قال: «إن ميثاق حقوق الطفل هو أكثر وثيقة في مجال حقوق الإنسان، تحصل على مصادقة واسعة من حكومات دول العالم، لكن حكومات كثيرة لا ترقى إلى مستوى المبادئ بالتمسك بتنفيذها لأن قبول تعذيبهم يجعل حياتهم ومستقبلهم عرضة لمخاطرة محققة» ■

سكان اسرائيل ٦ ملايين و٤٠٠ ألف

ذكر «راديو العدو الصهيوني» بأن عدد سكان الدولة بلغ بانتهاء عام ٢٠٠٠م ستة ملايين و٤٠٠ ألف نسمة.

وأوضح «الراديو» أن التعداد صدر عن دائرة التعداد في الكيان الصهيوني، وذكر التعداد أن عدد المواطنين العرب بلغ مليوناً و٢٠٠ ألف نسمة، وأن عدد السكان العرب يعادل ١٨,٦٪ من مجموع السكان في فلسطين المحتلة ■

فرنسا تشرع العقم الاختياري

شرَّع البرلمان الفرنسي يوم ٣٠ نوفمبر العام ٢٠٠٠م، العقم الاختياري بعد أن باتت هذه العملية مألوفة ومشرعة في معظم الدول الأوروبية من دون أن تكون مسموحاً بها أو محظورة في القانون الفرنسي.

وأفاد التعديل الذي صوتت عليه كتلا اليسار واليمين البرلمانيتيان أن «أي شخص راشد يستطيع أن يفيد من عملية ربط الأنابيب (للنساء) أو القناة المنوية (للرجال) بهدف العقم».

وتم تبنِّي هذا التعديل في إطار النظر في مشروع قانون يهدف إلى تمديد المهلة القانونية للإجهاض مدة أسبوعين، بحيث تصبح المهلة تتراوح بين ١٠ أسابيع و١٢ أسبوعاً من بدء الحمل.

ويجري ٢٥ إلى ٣٠ ألف شخص عملياً عمليات العقم الاختياري في فرنسا، وخصوصاً النساء وذلك خارج أي إطار قانوني.

وحظر النواب العقم الاختياري للقاصرين كما وضعوا قيوداً قاسية على عمليات العقم للمختلين عقلياً.

وكان الأطباء الفرنسيون يمتنعون عن إجراء عمليات العقم الاختياري بطلب من الأشخاص الراغبين، ولا تزال القضية تعتبر من المحرَّمات الاجتماعية لدى النساء كما لدى الرجال ■

الأقلية العربية في فلسطين تعيش تحت عتبة الفقر

أفادت أرقام رسمية نشرت في القدس أن إسرائيلياً من أصل خمسة - أي أكثر من مليون شخص - يعيشون تحت عتبة الفقر، وأن الأقلية العربية هي الأكثر تضرراً. وأفاد التقرير الصادر عن المعهد الوطني للتأمينات المكلف بالقضايا الاجتماعية أن ١١٣٣٩٠٠ إسرائيلي، من بينهم ٥١٠ آلاف طفل - أي طفل من أصل أربعة - عاشوا في العام ١٩٩٩م تحت عتبة الفقر. والأقلية العربية هي الأكثر تضرراً، حيث إن الفقر يُطال طفلاً من اثنين لدى العرب الإسرائيليين، والفقر هو أكثر بثلاث مرات لدى هذه المجموعة التي تبلغ ١,١ مليون شخص، منه لدى اليهود. وتحدد عتبة الفقر في إسرائيل بـ٤٠٪ من متوسط الدخل البالغ تقريباً ١٣٠٠ دولار شهرياً لعائلة من أربعة أشخاص. وأوضح المصدر أن القدس التي يتمحور حولها النزاع بين الإسرائيليين والفلسطينيين هي التجمع السكاني الأفقر في إسرائيل. ويفيد التقرير أن هذه الإحصاءات المرتفعة قياساً إلى العام ١٩٩٨م، ناجمة عن فشل الدولة في إقرار حد أدنى لأجور يكون مضموناً وكذلك بسبب ارتفاع عدد العمال الياومين الذين يتلقون أجوراً منخفضة للغاية. وبلغ عدد سكان إسرائيل ٦,٣ ملايين نسمة في سبتمبر العام ٢٠٠٠م من بينهم ١٨٪ من العرب الفلسطينيين ■

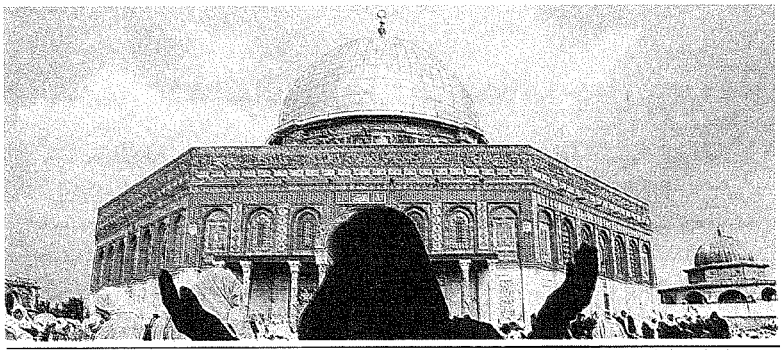

قناة فضائية إسلامية تنطلق من قطر العام الحالي

بدأت قطر إجراء دراسات تمهيدية لإنشاء قناة فضائية إسلامية ستنطلق هذا العام من هذه الدولة العربية الخليجية التي تتولى حالياً رئاسة منظمة المؤتمر الإسلامي.

ويأتي إنشاء هذه القناة الإسلامية، الأولى من نوعها بناء على اقتراح تقدمت به قطر إلى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» في مؤتمرها الأخير الذي عقد في الرباط الشهر الماضي، وعرضت قطر استضافة هذا القناة على أرضها لتغطية جميع أنحاء العالم باللغات الحية للمسلمين.

وقال مسؤول قطري رفيع المستوى: إن «قطر تريد أن تتوج رئاستها لمنظمة المؤتمر الإسلامي، التي تولتها أخيراً لمدة ثلاثة أعوام بعد إيران، بشيء يخدم المسلمين».

وأضاف: أن إدارة القناة الفضائية الإسلامية تكون «تحت مظلة الايسيسكو لكي تتخذ البرامج طابعاً إسلامياً» موضحاً أن قطر «ستخصص لها مكاناً مستقلاً» عن مجمع الإذاعة والتلفاز الذي يضم القناة القطرية الفضائية وقناة «الجزيرة» الفضائية التي تبث من قطر. وستتناول القناة التي يفترض أن تنطلق خلال عام «الجانب الثقافي الإسلامي وحوار الحضارات والديانات في برامجها» حسبما ذكر المسؤول القطري نفسه، وستتكفل قطر على الأرجح نفقات هذه القناة كافة، بالتنسيق مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ■

رئيس غامبيا يطبق الشريعة العام المقبل

أعلن الرئيس الغامبي يحيى جاميه يوم ٢٠٠٠/١٢/٢٨م في «بانجول» أن حكومته تعتزم تطبيق الشريعة اعتباراً من العام الحالي، من دون أن يوضح الوسائل العملية التي ستعتمد لتطبيقها.

وقال الرئيس الغامبي لدى استقباله بعض فقهاء المسلمين لمناسبة عيد الفطر الذي احتفل به أخيراً في غامبيا «كنت متسامحاً للغاية في الماضي، ولكن حكومتي تستعد لتطبيق الشريعة العام المقبل». وقد وعد الرئيس الغامبي الذي ولد في عائلة كاثوليكية واعتنق الإسلام منتصف الثمانينيات، بضمان احترام حرية المعتقد.

وقال إن «السلام غير ممكن إلا بالتسامح الديني وينبغي ألا توضع العراقيل أمام حرية التبشير والتعبد» مضيفاً أن الهجوم الذي وقع الشهر الماضي في سيريكوندا «١٥ كلم غرب بانجول»، واستهدف بارات ومتاجر لبيع الكحول يشكل «مثالاً ينبغي ألا يُحتذى به».

وهدد من جهة أخرى بمعاقبة كل الذين يعتدون على الديموقراطية باسم الدين. وقال: «إني أحذر كل الذين يحاولون تعريض أمن المجتمع لأسباب دينية أو سياسية وأني عازم على معاملتهم كمجرمين» ■

أميركا خليط فريد في العالم

قال المدير لمكتب الإحصاء الأميركي: إن الولايات المتحدة أوشكت أن تصل إلى ما لم تبلغه أي دولة أخرى في العالم، أي أنها خليط من جنسيات العالم كله.

وذكر: أن البيانات المستقاة من إحصاءات العام ٢٠٠٠م ستكتشف، حين الإعلام عنها، مدى التنوع الذي أضحت عليه الولايات المتحدة.

وسيظهر الإحصاء أننا على وشك أن تصبح أول دولة في العالم تضم بين جنباتها جنسيات من البشر من كل حدب وصوب وأن جميع لغات الأرض وأديانها وجماعاتها العرقية موجودون فيها.

وأضاف أن الولايات المتحدة استوعبت على مدى تاريخها الكثير من الجماعات المهاجرة، إلا أن التحدي الأكبر هو المقبل، وقال: إننا على أبواب إعادة تشكيل أنفسنا كدولة كونية، وبلوغنا هذا الوضع كدولة سيكون بمثابة إنجاز ضخم للقرن الحادي والعشرين.

تناقص عدد المواليد الجدد في إيطاليا جعل المجتمع أكثر شيخوخة في العام ٢٠٠٠م

يشعر الإيطاليون حالياً أن حياتهم المعيشية أفضل مع زيادة امتلاكهم لوسائل الرفاه مثل السيارات والهواتف المحمولة لكن مجتمعهم أصبح في المقابل أكثر ميلاً للشيخوخة بسبب تناقص عدد المواليد الجدد وذلك استناداً إلى التقرير السنوي للمعهد الوطني للإحصاءات الصادر في إيطاليا العام ٢٠٠٠م. فقد كشفت الإحصاءات أن إيطاليا إحدى دول العالم التي يتناقص فيها معدل الإنجاب من ٢،١ طفلاً لكل امرأة في سن الإنجاب، وربما تنجب المرأة طفلها الأول «وغالباً الوحيد» وهي في نحو الثلاثين من العمر. وأشار المعهد إلى أن الفارق بين المواليد (٥٣٧٢٤٢) والوفيات (٥٧١٣٥٦)، جاء سلبياً بمقدار (٣٤١١٤) وحدة العام ١٩٩٩م، وإذا كان عدد سكان إيطاليا سجل زيادة بمقدار (٦٧٢٨٠) وحدة بين عامي ١٩٩٨م و١٩٩٩م، فإن ذلك كان بفضل الهجرة زيادة بنسبة (١٣,٨٪) في عدد المهاجرين الجدد بين أول يناير ١٩٩٩م والشهر نفسه في العام ٢٠٠٠م. وفي نهاية العام ١٩٩٩م، بلغ عدد سكان إيطاليا ٥٧,٥ مليون نسمة من بينهم ١,٢ مليون مهاجر (٢,٢٪ من السكان).

ويزيد عمر ربع سكان إيطاليا عن الستين عاماً، مع ٤٪ من السكان فوق الثمانين. ويبلغ عدد المتقاعدين في إيطاليا ٢١,٦ مليون، وعدد القوى العاملة ٢٠,٦ مليون، ويقدر متوسط الأعمار بـ ٨١ للنساء، و٧٥ للرجال. ويشعر معظم الإيطاليين أنهم في صحة جيدة ويمثل المدخنون ٢٤,٥٪ من السكان.

ويقول التقرير: إن ٦٤,١٪ من الإيطاليين يشعرون بالرضى عن مستواهم المادي، إلا أن ٤٠٪ من سكان الجنوب الفقير يعترفون بمواجهة صعوبات في توافر احتياجاتهم مع نهاية الشهر، وتنفق الأسر الإيطالية في المتوسط نحو (٢٠٠٠ يورو) شهرياً ٢٠٪ منها على الغذاء.

وتملك نصف الأسر الإيطالية ٤٨,٣٪ هاتفاً محمولاً واحداً على الأقل، ويستخدم أيضاً ربعها ٢٣٪ جهاز كمبيوتر.

ويشكو ٤٩,٣٪ من الإيطاليين، المولعين عادة بالسيارات مع وجود ٣٢ مليون سيارة خاصة في شوارع البلاد من صعوبة في حركة المرور. وبالنسبة لنصف الإيطاليين فإن السيارة أكثر خطورة على الحياة من الجريمة.

وسجلت الشكاوى من الجرائم انخفاضاً بنسبة ٢,١٪ خلال عام. ورغم زيادة عدد السجناء بنسبة ٨,٤٪ أكثر من ٥٢ ألف سجين في نهاية ١٩٩٩م، يشكو الإيطاليون من بطء إجراءات التقاضي، حيث يستمر نظر القضية في المتوسط ١٣٧٧ يوماً.

ويستخدم ربع سكان إيطاليا بانتظام وسائل النقل العام، يشكو نصفهم من عدم انتظام مواعيدها، كما يبدي الإيطاليون بعامة استياءهم من عمل أقسام الطوارئ في المستشفيات ومحطة البريد. وأن ٤٥٪ من الإيطاليين ذهبوا مرة واحدة على الأقل إلى السينما سنة ١٩٩٩م، «١١٨,٥ مليون بطاقة بيعت العام ١٩٩٩م مقابل ١٠٢ مليون العام الماضي»، ويشاهد (٩٤,٤٪) من الإيطاليين التلفاز، لكن نسبة القراء الشغوفين لا تتجاوز ٣٢٪ من الإيطاليين الذين تتراوح أعمارهم بين ٤٥ و٥٤ سنة ■

ثلاثون مليون لاجيء في العالم!

إعداد عبدالمنعم أحمد

تفيد تقارير الأمم المتحدة أن عدد اللاجئين في العالم يفوق الثلاثين مليون شخص يعيشون مأساة إنسانية مستمرة وسط عدم اهتمام عالمي وتجاهل تام من الحكومات الغربية.

وبالإضافة إلى اللاجئين الذين اضطروا أو أجبروا على الرحيل عن بلادهم، هناك أيضاً لاجئون تشرَّدوا داخل بلادهم.

ويقول دنيس مكنمارا المنسِّق الخاص للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين: إن «معظم هؤلاء اللاجئين قد اقتُلعوا من ديارهم بالقوة وطُردوا من بيوتهم أو بلادهم وتم إتلاف وثائق الهوية والجنسية الخاصة بهم».

وكثير من هؤلاء الناس لا يعيشون في مخيمات للاجئين بل يحاولون الاختفاء عن الأنظار فبعضهم اختلط بالمجتمعات الجديدة وبعضهم الآخر ظل يهيم على وجهه في الشوارع.

وكان مندوب الولايات المتحدة الدائم لدى الأمم المتحدة «ريتشارد هولبروك» قد التقى في أثناء جولته الأخيرة في أفريقيا، عدداً من اللاجئين في أنغولا ممن لا مأوى لهم على الإطلاق، ولا حتى خيام بلاستيكية تقيهم حرَّ الصيف وأمطار الشتاء.

أما اللاجئون المحليون فهم أناس أجبروا على الفرار من خطوط المعركة لكنهم لم يغادروا بلادهم، ويقول مكنمارا: إن «أوروبا أصبحت تحسُّ بشيء من الهستيريا لأن كل لاجئي العالم يحاولون الدخول إلى أراضيها، ولكن هذه خرافة، لأن معظم اللاجئين يحاولون البقاء قريباً من الأرض التي طردوا منها».

ويقول مكنمارا الذي أشرف على أعمال الإغاثة الأخيرة في كوسوفا: إن «كوسوفا تمثل لمحة بسيطة من مشكلة أوسع بكثير»، لقد فرَّ أكثر من ١٠٠ ألف لاجيء من كوسوفا، كما أن هناك ٤ ملايين لاجيء «محلي» داخل السودان».

ووفقاً لتقارير الأمم المتحدة، فإن هناك بين ٢٥ ـ ٣٠ مليون لاجيء في جميع أنحاء العالم، وفي العادة تكون المشكلات التي يواجهها اللاجئون المحليون أصعب من تلك التي يواجهها اللاجئون الذين يعبرون الحدود الدولية.

ففي كثير من الحالات لا تفعل حكوماتهم لهم شيئاً، لأن هذه الحكومات هي المسؤولة عن طردهم من بيوتهم.

بل إن الحكومة أحياناً لا تسمح للجان الإغاثة الدولية بتقديم المساعدة لهم.

ويكشف مكنمارا أن نحو ٩٠٪ من اللاجئين «المحليين» هم من النساء والأطفال «إنها مشكلة من صنع الرجال فالرجال هم الذين يشعلون الحروب ويخرجون للقتال وعادة أكثر ما يكون النساء والأطفال هم الضحايا».

وتتعرض النساء المهاجرات لمخاطر شتى تتراوح بين التعرض للاغتصاب والاضطهاد، وإجبارهن على ممارسة الدعارة.

وفي أفريقيا تصبح المأساة مضاعفة لأن النساء اللواتي يتعرضن للاغتصاب يواجهن خطر نقل عدوى الإيدز إليهن ■ انتهت

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

من حاضت أو طهرت في وقت الصلاة

ما الحكم الشرعي في امرأة أخرت صلاة الظهر لعذر شرعي كالسفر مثلاً، ثم حاضت في وقت العصر، وأخرى طهرت في وقت العصر، والمهم في المسألتين:

الأولى: هل تقضي صلاة الظهر أم تسقط عنها مع ذكر السبب؟

الثانية: هل تصلي الظهر أم لا مع ذكر السبب؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إن التي أخَّرت صلاة الظهر وجاءها الحيض وقت العصر عليها أن تقضي صلاة الظهر التي فاتتها بعد أن تطهر من الحيض، لأنها تركت صلاة الظهر بعد أن وجبت عليها، وأما التي انقطع حيضها في وقت العصر وقد بقي وقت يتسع للغسل والتحريمة وهي: «تكبيرة الشروع في الصلاة» فعليها أن تصلي صلاة العصر، وإن فاتتها فعليها أن تقضيها، وأما إن لم يتسع الوقت للغسل والتحريمة فإنها تسقط عنها صلاة العصر ■

إظهار المرأة زينتها

هل يجوز للمرأة إظهار الزينة الموضوعة على الأعضاء التي يجوز كشفها، كالكفين مثلاً إن لم يترتب على ذلك فتنة الزينة الظاهرة؟!.

أجابت اللجنة:

إن إظهار ما على الكفين من زينة، فهو مباح لقوله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يُبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) النور:٣١، متى كان ذلك على الوجه المعتاد، فإذا ما بُولغ في ذلك وكان من قبيل الفتنة فيكون محرماً.

وفي هذه المناسبة، فإن طلاء الأظفار بطبقة عازلة لوصول الماء إلى الأظفار يُعتبر مفسداً للوضوء، مانعاً لصحة الصلاة ■

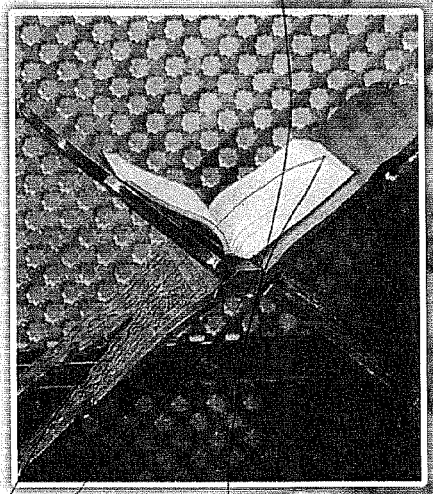

تحديد الفتنة بالنسبة للمرأة

كثيراً ما يتردد على السنة الفقهاء كلمة «فتنة»، فيقولون: «حل ذلك إن لم يترتب على ذلك فتنة»، فما الضابط العلمي الشرعي للفتنة؟ هل هو الانتصاب، أم انشغال القلب، أم تعطيل الواجبات، أم نظرة الإعجاب العابرة، التي لا يبقى لها أثر في القلب بعد قليل؟

أجابت اللجنة:

إن جميع ما ذكره السائل هو من الفتنة، ولكنها تتفاوت في مراتبها بقربها أو بعدها عن الإثارة الجنسية، فكلما كانت أقرب إلى الإثارة الجنسية، كان الإثم أعظم ■

قص المرأة شعرها

ما حكم قص شعر النساء؟

أجابت اللجنة:

إنه إن كان القصد من قص الشعر التشبه بالرجال فلا يجوز ذلك، وإن قصته لمجرد التخفيف أو الزينة على الطريقة الخاصة بالنساء فلا مانع منه ■

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

المتاجرة بأدوات التجميل والمكياج والعطور

إنني حريص على الكسب الحلال، الذي أباحه الله سبحانه، وبعيداً عن الحرام وما اشتبه به، أعرض عليكم الاستفسار التالي:

إنني صاحب شركة تعتمد على استيراد وتجارة الروائح والعطور والكالونيا وكل أدوات التجميل والمكياج، وإنني أريد الاطمئنان على كسبي واعرف هل العطور التي يدخل في تركيبها الكحول حلال أم حرام، وكذلك أدوات المكياج التي تستخدمها النساء في التبرج.

أجابت اللجنة بما يلي:

لا شيء في المتاجرة في الأشياء المذكورة، لأنه يحل للمرأة أن تتزين لزوجها في بيتها، فإذا استعملت هذا المكياج أو أدوات الزينة للتبرج خارج بيتها كان إثمها على نفسها.

وأما الكولونيا، فقد سبق للجنة الإجابة على ذلك، وترى اللجنة أنه لا بأس ببيعها واستعمالها للتعطر ■

لوحات عاكسة ومزخرفة فوق المصلين

يوجد في أحد المساجد برواز مزخرف ومنقوش بداخله لفظ الجلالة، وهذا المنظر يعكس صورة المصلين، مع العلم أنه فوق قامة المصلين، فهل مثل هذا المنظر جائز وضعه في المسجد أم لا؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز وضع هذا المنظر في المسجد فوق قامة المصلين، ومن الأدب للمصلين أن ينظروا في موضع سجودهم إذا كانوا قائمين في الصلاة.

الصلاة بعد استعمال الكحول في العلاج

إذا قام الطبيب قبل إعطاء المريض حقنة بتطهير الجلد بالكحول، هل يستطيع المريض الذهاب لأداء الصلاة قبل غسل هذا الموضع؟

أجابت اللجنة:

حيث إن الكحول ليس بنجس فلا بأس بالذهاب إلى المسجد دون غسل موضع استعمال الكحول ■

قراءة الفاتحة خلف الإمام

هل يجوز قراءة سورة الفاتحة خلف الإمام وهو يقرأ سورة ثانية؟ وهل يوجد لديكم أدلة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم؟

- أجابت اللجنة:

ليس على المأموم أن يقرأ خلف الإمام إذا سمع قراءته، فإن لم يسمع لكون الصلاة سرية أو لبعده فالأولى أن يقرأ، والدليل هو قول الله تعالى: (وإذا قُرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) الأعراف:٢٠٤، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

فهذا هو الأصل، أما من كان مؤتماً وسمع قراءة الإمام فإن قراءة الإمام تكفيه لحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» ■

استعمال الأحجار الكريمة

س١: هل يجوز للرجل استعمال الألماس والمجوهرات والأحجار الكريمة الأخرى؟

أجابت اللجنة:

إن الشرع لم يحرم الأحجار الكريمة على الرجال، إلا إذا كان فيها إسراف، أو قصد منها التشبه بالنساء

س٢: أعطاني أحد الأصدقاء هدية غالية جداً، وهي عبارة عن ساعة يد فيها أحجار كريمة، وهي تقدر بخمسة آلاف دينار، فهل يجوز لي استعمالها؟

أجابت اللجنة:

أنه إن لم تكون ذهباً فلا بأس بها، أما إن كان فيها ذهب فلا يجوز استعمالها ■

تربية الأسماك والطيور للزينة

يلجأ كثير من الناس هذه الأيام إلى اقتناء أحواض زجاجية توضع بها أسماك ملونة، يُطلق عليها لقب «أسماك الزينة»، وتتوافر في هذه الأحواض جميع العوامل التي تساعد على إبقاء هذه الأسماك حية من حيث وضع الغذاء لها وضبط حرارة الماء، والأكسجين وعوامل التعقيم، وهذا السمك الصغير إذا استمر حياً فترة طويلة، فإنه ينمو ويكبر ويصبح في حجم الأسماك العادية، فهل هذا العمل يعتبر مكروهاً أو محرماً مثل تربية طيور الزينة مثلاً، نرجو بيان الحكم الشرعي في ذلك.

- أجابت اللجنة:

أنه لا حرمة ولا كراهة في تربية الأسماك في الأحواض ما دام يتوافر لها وسائل البقاء، وكذلك الأمر في تربية الطيور، شرط ألا يترتب على ذلك، أي أمور محرمة تلهي عن الصلوات أو الواجبات أو الاطلاع على عورات البيوت أو غصب طيور الغير، وألا يترتب على ذلك مقامرة أو مراهنات محرَّمة، وألا يخل ذلك بإعالة من تجب عليه نفقتهم، والله سبحانه وتعالى أعلم ■

من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة

بقلم: عبدالرحمن فرد حمود

الموت سفر بلا عودة، من مكان إلى آخر، سبقنا بعض أهلنا وأحبّائنا إليه، وسيلحقنا من نتركهم وراءنا منهم، و«المرء يحشر مع من أحب».

فحين يموت الكافر ينتقل من مكان ضيّق إلى آخر أضيق منه، إذ مهما لاقى في الدنيا من الشقاء الذي كتبه الله عليه: (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) فهي بالنسبة لما ينتظره من عذاب الله جنة.

أما المؤمن فإن قتل في سبيل الله لا يموت: (ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)، وإذا مات فينتقل من مكان صغير ضيّق إلى آخر كبير واسع، لذلك فالموت راحة له: «ولا راحة لمؤمنَ إلا بلقاء ربه». لأنه خروج من دار الشقاء الفانية إلى دار النعيم الباقية، (وللآخرة خير وأبقى).

وإذا كان فراق الأهل والأحبة صعباً: «وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون»، فإن اللقاء بعده ممتع.

ولو علم الناس التلاقي وحسنه، لحبب من أجل التلاقي التفرّق، لذلك فإن السيدة فاطمة. رضي الله تعالى عنها. حين أسرَّ إليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرب أجله بكت، وحين أخبرها بأنها أول من سيلحق به من أهله ضحكت.

ومما يخفف على المؤمن ألم الفراق آلام أخرى تخفّف من حبّه للدنيا، كالشيخوخة والمرض، وفقد بعض الأهل والأحبة الذين سبقوه، وغيرها من المصائب.

وإذا كان الميلاد انتقال من ضيق رحم الأم إلى سعة الدنيا فإن الموت انتقال من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

والفرق بين ضيق الدنيا وسعة الآخرة، كالفرق بين ضيق الرحم وسعة الدنيا، بل هو أكبر بكثير، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

كما أن من حق الأرض التي بنيت أجسادنا من ترابها ومائها وغذائها أن تسترد ما أخذ منها. و(إنا لله وإنا إليه راجعون) ■